

الحاج أحمد سهوم

الملحون المغربي

من منشورات « شؤون جماعية »

صحيفة الجماعات المحلية بالمغرب والبلديات العربية والدولية

● الطبعة الأولى : نونبر 1993

طبع منها 3000 نسخة

حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة

« شؤون جماعية »

الفهرس

6

تقديم : ثمرة الاحتضان .

7

موجز عن حياة المؤلف

9

المقدمة

15

الفصل الاول : فنون الملحنون الثلاثة

☆ "لمبيت" أو الملحنون العمودي

☆ "مكسور جناح" أو الملحنون المرسل

☆ "السوسي" أو النثر الفني في الملحنون

☆ "السرابا" أو الاغنية الملحونة

☆ اصطلاحات تقنية مطيلعات .. عروبيات .. سارحا ..

65

الفصل الثاني : أغراض الملحنون

☆ "التوسلات الالهية" بين الذهن والشعور والتصوف

☆ "المدائح النبوية" بين العقل والوجدان

☆ "لوصيات" بين الدين والدنيا والمجتمع والناس

☆ "الربيعيات" أو شعر الطبيعة في الملحنون

☆ "العشاق" في العاطفة والغزل ، والنسيب والتشبيب

☆ ملحنون الغربة ، والرحلات والمراسلة

☆ "الساق" خمريات الملحنون ، والرمزية الصوفية

☆ "الترجما" أو القصة الملحونة

215

الفصل الثالث : بديعيات الملحنون ، تضمين - تجريد - جناس

☆ وأخيرا ما معنى كلمة ملحنون ؟

تمرة الاحتضان

لا يحتاج الاستاذ أحمد سهوم الى تقديم .. كما لا يحتاج الملحن الى تعريف، فقد ظل ملازمين لبعضهما ما يزيد عن أربعين سنة، بلياليتها ونهاراتها، حتى أصبح الواحد منهما لا يذكر في غيبة الآخر.

وإذا كان عمر الملحن يقاس بعمر الأمة المغربية، منذ أن رأت نور الشمس، فإن شخصيته واغواره وسحر بيانه... ما كان لها أن تتجلى في شفافياتها، لو لم يقيض لها الله فنانا مبدعا، وبحاثا مقنعا، كالشاعر أحمد سهوم. فلقد كافح الرجل كفاحا مريرا منذ مطلع الخمسينات، لكي يكون اليوم للملحن هذا الحضور الواسع في حياتنا اليومية، وعبر أرجاء البلاد كلها، ببيوتاتها، وأنديتها، وأن يحوله الى سمر للفقراء، وجليس للأغنياء.

ولا ريب أن مدينة الصويرة كانت محظوظة يوم انتقل إليها علم من أعلام الملحن، واختار الإقامة فيها مواطنا صالحا، وعبقريا مثقلا بالاحلام والهموم المقتربة بمحنة الميلاد والنشوء والارتقاء. فلعل الصويرة، بما تحمله من دلالات تراثية وشاعرية، وبما تمتاز به من سكينه وحوار داخلي مع التاريخ، ومع الانسان، كانت، كقطع من الاحجار الكريمة، قد ترسبت في وجدان هذا الشاعر، بأزقتها الضيقة، وحصونها الجبارة، ودفنها الذي لا يضاهي، فبقيت في قرارة الكأس الى أن حان الوقت المناسب.

وإذا تقوم اليوم مؤسسة « شؤون جماعية » باحتضان أستاذ الملحن والمنتج الاذاعي الشهير، ساعية الى نشر كتابه «الملحن المغربي» الذي كتبه في رحاب الصويرة، فإنها بذلك تكرم الملحن ورجاله في شخص أحمد سهوم، وتؤكد مساهمتها في حفظ هذا التراث، بنفس القوة التي تدافع بها عن مجموع التراث الوطني والحضارة العربية الأصيلة. إن هذا العبقري الأصيل القادم من واحات تافيلالت، عبر همس القرون، وخطر الحضارات، أصبح جزءا من تراث الصويرة، بما أسهم به من تجديد انتمائها للملحن، وكتابة تاريخها الفني.

فله الشكر والتقدير ... ونرجو الله أن يوفقه في مواصلة مسيرته الفنية الطموحة، حتى يعم فضلها على مدينتنا وعلى مملكتنا السعيدة

أحمد هناوي

مدير جريدة « شؤون جماعية »

هوجر عن حياة المؤلف



... ولدت عام 1936 بفاس الجديد ، من أمي عائشة بنت العربي ، الملقبة بـ « الغمرية » .. ومن والدي سيدي محمد بن علي الفيلاطي .. غير أنني لا أتذكر جيدا ملامحه ، وإن كنت اسمعهم يقولون عنه بأنه كان عازفا ماهرا على الكمان لأغاني المراسوي (العيطة) .. وأنه كان يتوفر على مخزون ثقافي . وعندما توفي لم يترك وراءه من متاع الدنيا سوى « الغمرية » ، وأربعة ذكور ، هم : حمان ، والعربي ، وعبد العزيز ، الذي لم يعيش طويلا ، وأحمد سهوم

(آخر المصران) ، وأختنا جمعة .. والذي أتذكره أيضا هو أن عائلتنا كانت فقيرة جدا .

كانت بجانب دارنا امرأة ميسورة الحال ، لكنها لم تكن تنجب أطفالا ، ولما كانت أمي على علاقة وثيقة وطيبة بهذه السيدة ، فقد ألتقيتني ، ذات يوم ، تحت رحمتها ، ولا أدري ما إذا كانت أمي قد أهدتني إياها ، أم أجرتني لها !

و هكذا فرض علي أن أنشأ في بيت غير بيتنا ، وبين أهل ليسوا هم أهلي ، بعيدا عن أمي وإخوتي . وكان زوج السيدة الميسورة يعمل سائقا لحافلة المسافرين ، يربط فاس بتافيلالت ذهابا وإيابا ، فيضطره عمله هذا إلى أن يتغيب عن داره أربعة أو خمسة أيام ، وليس بها سوى زوجته و خادمته وهذا الطفل أحمد سهوم . ومع الأيام اهدت هذه السيدة إلى طريقة ذكية تخفف بها من وحشتها وفراغها .

كانت - بفطرتها - مولعة بالفن والادب ، رغم أنها لم تكن قد حظيت بنصيب من التعليم والثقافة .. ومع ذلك فقد جعلت من دارها منتدى فنيا وثقافيا أشبه ما يكون - « صالون مي زيادة » في المشرق .. وكان هذا المنتدى قبلة لرواة العنترية ، والأزلية ، من أمثال « أبا الحمار » الذي كان يروي في كل لقاء فصلا من أزلياته ، ويترك الفصل الآخر للجلسة القادمة ، حرصا على التشويق كما كان يرتاده العازفون والمطربون ، من أمثال الكمنجاتي البارح حماد النشار ، والذي تتلمذ على يديه مشاهير فاس ، كالفنان محمد عمور المودن .



في هذا الجو ترعرع الفنان أحمد سهوم ، عندما كانت تأخذه الخادمة كل يوم إلى المسجد لحفظ القرآن ، وتعود به مساء ليجد الدار وقد امتلأت بكل أصناف الرجال المولعين ، وبالمجاهذ والدراويش وعشاق طرب الملحون . وقد عرف هذا المنتدى بـ « دار زبيدة المراكشية » .. أما أحمد سهوم فكان يومئذ يلقب من طرف الصغار والكبار بـ « حميدة ولد زبيدة » !

بالنهار ينصرف إلى حفظ القرآن في المسجد ، وفي الليل ينخرط في حفظ قصائد الملحون وغنائها بين زمرة من المهووسين بالملحون والعازفين على الكمان ، وبين رواة عشاق العنترية والأزلية والمجاهذ !

هل كان فن الملحون قدرا مقدورا لهذا الطفل منذ نعومة أظفاره ؟

يبدو أن تقلبات الحياة ، وستين التشرد لم تنجح في انتشاله من هذا المصير . فقد صادف ذات يوم ، عندما كان يغني بعض قصائد الملحون ، أن سمعه السيد أدريس العلمي ، وهو يومئذ من هو في شعراء الملحون .. فأعجب بصوته ، وقرر إسناد قصائده إليه ليغنيها بصوته . ومن يومها أصبح أدريس العلمي شيخ أحمد سهوم في الملحون .



... هذا فصل مختصر من حياتي ... في أعقابها بدأت تطرأ على نفسي تحولات خطيرة وغامضة . لم أعرف كيف أصبحت فجأة أكره الحياة عند هذه السيدة . فعندما فتحت عيني ، وجدت نفسي خارج أسرتي ، منفيا عن أمي وإخوتي ، أخضع لمراقبة

صارمة بين محور المسيد ودار زبيدة المراكشية . كنت محروما من اللعب ومن حرية الأطفال ، وكان إخوتي هنالك طليقين سعداء . كانت زبيدة المراكشية امرأة مصونة وقورة لا يحوم حولها الشك .. ذات أخلاق عالية ممتازة .. غير أنها كانت تعيش فراغا قاتلا ، تيسر لها أن قتلها بما هو مفيد . كانت شغوفة بالاستماع الى الموسيقى والى تبادل الافكار ... حتى أنها اكتسبت ثقافة لا بأس بها من خلال جلسات السمر .. وبدأت تتلقن دروسا شفوية في الاخلاق وفي الملحون وفي الموسيقى .

الذين يتذكرون فاس في ذلك التاريخ ، لا يزالون يتذكرون بيوتا أخرى على هذه الشاكلة ، إما وراعا نساء مثل «عطو الشلحة» ، وإما رجال كسيدي محمد الحمري الذي كانت داره ملتقى للشيوخ والشعراء والكتاب ورجالات الحركة الوطنية ، ذلك أن حياة المغاربة آنئذ كانت تسودها عادات التكاثف والتضافر والتعاون في الامور الدنيوية والدينية .



لم يطق أحمد سهوم مواصلة العيش في دار زبيدة المراكشية .. لكنه لما أراد العودة الى بيته الأصلي رفضه هذا الوسط بقسوة وقظاظه ، معتبرا إياه غربيا .. فبرجع الى الدار الثانية مكسور الجناح ، فتقابلته السيدة المراكشية بالعنف ، انتقاما من هروبه من بيتها . و تكررت رحلة الكر والفر المأساويتين بين الدار الراضة والدار القاسية ، الى أن عيل صبره ، فقرر الهجرة بعيدا عن الدارين معا ... وهام في الأرض على وجهه طريدا شريدا ، مدة عامين كاملين ، بين دروب فاس ، ومكناس ، ومراكش ، وتادلة ، وسلا ... منتقلا بين حوانيت الخرازة ، حيث كان يكسب عيشه اليومي .. وقد أفاده ذلك كثيرا في الاختلاط بالصناع التقليديين ، الذين كان بينهم شعراء وفنانون ومفكرون وسياسيون .

لقد تعلم أحمد سهوم داخل السور بفاس القديمة ، وبالضبط في حي مولاي عبد الله ، المبادئ الاولى لحرفة الخرازة في دكان الخراز محمد الطالب . وفي هذا الدكان كان يجتمع الناس من مختلف المستويات والاهتمامات ، يتبادلون الفن والعلم والافكار الوطنية ، وجديد الاخبار المحلية والدولية ، فكنت تجد بهذا الدكان الامراء ، من أمثال الأمير مولاي الامين ، والامير مولاي مصطفى الحافظي ، والأمير مولاي عبد السلام ولد مولاي عثمان - الخليفة السلطاني بفاس يومئذ ... وكنت تجد الى جانبهم العلماء والفقهاء .. وكان يتردد عليه المرحومان علال الفاسي ومحمد بلحسن الوزاني ، قبل أن تفرقهما السياسة !

كان ذلك بين سنوات 1945 و 1947 قبل سفر المرحوم محمد الخامس الى مدينة طنجة سفرته المشهورة . في تلك الفترة التحق أحمد سهوم بمدرسة القرويين .. لكن سلطة الملحون عليه كانت قوية .. فقد ترسبت في وجدانه كأمواج جارفة .. ولم يشعر طالب القرويين إلا وهو محاصر من كل جانب بالملحون ، يقرؤه ويفسره ، باحثا عن مصادره وروافده ، منشغلا به الى درجة التصوف .

هكذا بدأت رحلة أحمد سهوم مع فن الملحون

من حوار أجرته معه

جريدة « شؤون جماعية »

في عددها لشهر يناير 1993



الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى آله وصحابه أجمعين .

«إن التنكر لتراث الاجداد جنائية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ، ليست جديرة بالاعتبار .

ونحمد الله على أن لنا تراثا .. وحضارة .. وتاريخا في العمران والعلم ، والادب والشعر والطرب .

وفي الشعر والطرب ، لنا الموسيقى الموروثة عن الاندلس ، ولنا الملحن الذي تأصل عن بيئتنا القديمة ، وطبيعتنا الخاصة .

وهذا الملحن يحق لنا أن نتدارسه ، ونعرف به ، ونؤرخ له ونستخرجه من ظلماته المظلمة ، بيد أن الحكم على الشيء ،

يستلزم إدراكه . .. »

بهذه الكلمات صدر لي أحد أساتعتي الاجلاء ، أول مقال كتبته عن الملحن في الخمسينات ، ونشرته مجلة الاذاعة الوطنية التي كان يشرف على تحريرها يومئذ ، إنه الانسان الفاضل الكريم ، الطيب القلب ، الاستاذ عبد الله شقرون ...

وإذ أصدر هذا الكتاب الذي أكتبته في أوائل التسعينيات ، بنفس الكلمات التي صدر بها مقال الخمسينيات ، فلان هذه الكلمات كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لي ، بل ورافقتني أزيد من ثلاثة عقود ، كورقة عمل ، لا أتحرك إلا في إطارها ، ولا أعمل إلا وفق مقتضياتها .

والحق أنه لا يمكن لأحد أن يقدر هذه الكلمات حق قدرها ، إلا إذا كان قد بلغه خبر ما عانته يومئذ ، وأنا أحاول أن أجعل لجنة البرامج الاذاعية توافق على إذاعة ركن "الادب الشعبي" ولو مرة واحدة في الاسبوع ... وبعض أعضاء اللجنة يقول : "ماذا يمكن أن يكون في هذا الملحن حتى نخصص له برامج إذاعية ؟ ... والبعض الآخر يتسائل في سخرية لأذعة : "وإش هذ الملحن هو ذاك اللي كايدبروا به لحلاقي ؟" في هذه الفترة بالذات ، وأنا أتجرع كؤوس الخيبة والهوان والذل ، يطلع مقالتي الاول في مجلة الاذاعة الوطنية .. وقد افتحه هذا الانسان الممتاز ، المدعو عبد الله شقرون بقوله : "إن التنكر لتراث الاجداد جنائية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ليست جديرة بالاعتبار" وانطلق ركن "الادب الشعبي" ، وانطلقت بعده إلى الآن برامج وبرامج "مع التراث" كل عشية ، ملحن ، طقطوقة جبيلية ، مرساوي ، حصبواي بروال .

و"مع الاغاني كل صباح" و "البيت السعيد" و "مشاهد باسمة" و"البها مساعف" والبرنامج التلفزيوني "التراث الحي" واطلالات على التراث "وإبداعات وإبداعات ... كانت هذه الكلمات بالنسبة لها كالضوء الاخضر الذي يؤذن ببدء الانطلاق .

هذا عن الكلمات التي صدرت بها هذا الكتاب ...

أما الكتاب فيمكن اعتباره بداية الطلب ، كما يمكن اعتباره نهاية الارب ... بداية الطلب بالنسبة للباحثين والدارسين وكل المهتمين ، لانه اليخت الذي يمكنهم الابحار به في كل بحار الملحن ، والعودة منها بالف خير وسلامة ، وهو يخت متقدم الصنع ، ويقدر حتى على الفوص إذا لزم الامر .

ونهاية الارب بالنسبة لعشاق الملحن وهواته ، بل وحتى بالنسبة للقارئ الذي يقرأ قصد الاطلاع ، أو الذي يقرأ من أجل

الفرجة أو المتعة ...

فالنصوص الكاملة التي نشرتها تحت مساقط ضوء شاملة ساطعة ، وفي مختلف الموضوعات التي تناولتها في هذا الكتاب وصل عددها إلى الأربعمائة ، والمقطوعات التي تعتمد الوحدة العروضية ، أو الأبيات التي ترجع إلى الملاحون العمودي القديم ، والتي سقتها للدلالة هنا وهناك ، يصل عددها إلى الألف . أما الشروح التي وضعتها للمصطلحات التقنية وغير التقنية ، قصد تقريبها إلى الأذهان ، أما التحليلات التي أرفقتها ببعض غرر قصائد الملاحون لتوصيلها إلى أعماق القلوب ، فذلك كله وغيره مما لاداعي لذكره في هذه المقدمة ، قد جاء والله الحمد فوق الوصف .

لقد أقمت هذا الكتاب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

* الشكل في فنون الملاحون

الفصل الثاني :

* مضامين الملاحون

الفصل الثالث :

* فنون البلاغة في الملاحون

وبما أن بحث الشكل بأدق تفاصيله لا يهم إلا القارئ المهتم أو القارئ المتخصص ، أو على الأقل المتتبع ، وهم قلة جد قليلة وبالأخص في موضوع هذا الكتاب ، فقد أرتأيت أن أتناوله ببعض التفصيل لا بكل التفصيل ، وذلك لأخلص سريعا إلى مضامين فنون القول في الملاحون إلى المتعة .. إلى الفرجة .. إلى التحصيل .. إلى شؤون الفكر ، ومجالات المعرفة ، وقضايا الثقافة .

وهكذا ، فقد تناولت الشكل باختصار لا إفراط فيه يسبب للقارئ العادي السأم أو الضجر ، ولا تفريط يفوت على الدارس أو الباحث فرصة تتبع ميكانيزمات الشكل في سائر فنون القول الملاحون .

تتبع أوزان القصائد التي لا تعتمد إلا الصدر والعجز فقط إلى أن فاق عددها عدد أوزان الخليل ، فقابلتها بها .

وتتبع القصائد التي يتكون البيت الواحد فيها من ثلاثة اشطار ... فاربعة ... فخمسة ، إلى أن بلغت العدد الكافي ، فقابلته بشعر الفروع والفصون من موشحات وأجزاء وماشبه ...

وعند الفراغ من ملحون النغمات الإيقاعية التركيبية ، التي تنبني عليها الألفاظ لتشكيل هذا السلم أو ذاك ... انتقلت إلى شعر الوحدات العروضية ، "مكسور جناح" وقابلته بالشعر الحر ، أو المرسل ، ثم النثر الفني في الملاحون ، "السوسي" وأخيرا الأغنية الملاحونة أو «السرابا» ، وبطبيعة الحال لم أغفل الاصطلاحات التقنية الأساسية التي لها علاقة وثيقة بالشكل في كل فنون القول الملاحون .

وفي الفصل الثاني حددت الموضوعات الرئيسية التي تعامل معها الملحون في الماضي والحاضر ، وتناولت منها سبعة أغراض هي :

" التوسلات " " المدائح " " الوصيات " " الربيع " " العشق " " الساقى " " الترجمة " ، على أن أتناول الباقي في الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله .

أما الفصل الثالث والآخر ، فهو فصل بلاغة الفصيح ، وكما هي في فنون القول الملحون ، بما فيها البديع ، جناس ، اشتقاق لزوم ما لا يلزم الخ ... الخ ...

ويبقى الكتاب في مجمله كتاب الشعر الملحون ، وليس كتاب شعراء الملحون ...

فإننا وإن كنت أعلم أن " الشاعر ابن بيئته " وأن التاريخ له لا بد منه ... لم أعتد الكتب التي أشارت إلى بعض شعراء الملحون ، كالإعلام والاتحاف في الماضي ، ولا الكتب الخاصة بالملحون ، كالقصيدة والمعلمة في الحاضر ... ولم أستأنس بالمستشرقين الذين تناولوا الملحون ، وإنما اكتفيت فقط بالإشارات التي أجدها في القصائد نفسها ، والتي تحدد زمان ومكان الشاعر بما لا يقبل الشك .

فعلت ذلك حتى لا أجهض التراجم المستفيضة التي هيأتها لكتاب : " اعلام الملحون " أولا ... ولكي لا أفوت على القارئ فرصة التمتع بكبر عدد ممكن من النصوص الكاملة ثانيا ، ولأ نني لا أريد لذاك الانسياب العفوي السلس أن يتعثر بين كل حين وآخر ... في فقرات من هذا الكتاب وأخرى من ذاك ، فإن أنا أفصحت قبلت واستطعت أن أجعل القارئ يحس بروعة هذا التراث وجماله وكماله وشموليته ، فذلك ما أتمناه وأصبو إليه ... وإن أنا قصرت فاعلمت ، وانتهى القارئ من القراءة لي كمثل ما بدأ ... ف ... العذر ... العذرا والكمال لله على كل حال .

أحمد محوم



فنون القول في الملحون

* فنون القول في الملحون ثلاثة *

- 1 / الشعر العمودي ، ويسمى "لَمْنِيَّتْ"
- 2 / الشعر الذي حاولوا تحريره من الاوزان العمودية ويسمى "مَكْسُورْ جَنَاحْ"
- 3 / النثر الفني ، ويسمى "السُّوسِي"

وسنحاول في هذا الفصل إن شاء الله ، أن نعرف بشكل كل فن من هذه الفنون على حدة .

1 / الشعر العمودي الذي يسمى "لَمْنِيَّتْ" يتكون من أربع "مَرَمَاتْ"

- أ - "المَرْمَا" المثنوية
- ب - "المَرْمَا" الثلاثية
- ج - "المَرْمَا" الرباعية
- د - "المَرْمَا" الخماسية

ولكل "مَرْمَا" من هذه "المَرَمَاتْ" الأربع "قياسات" ، سوف نستعرض منها ما يكفي للدلالة عليها . إنما قبل ذلك لا بد من وقفة قصيرة أمام هذه التسمية "المَرْمَا" و "قياساتها" :

ربما لا يخفى على أحد أن فن الملحون نشأ في ربوع سجلماسة ، ونما وترعرع في كل من مراكش ، فاس ، مكناس ، سلا أي في أحضان الصناعة التقليدية ، التي كانت ولا تزال متمركزة في هذه المدن .

ولا غرابة ، والحالة هاته ، أن تكون جل المصطلحات التي استعملتها مدرسة الملحون القديمة ما هي إلا من عطاءات الصانع التقليدي ، ومنها بطبيعة الحال هذا الاصطلاح الذي وقفنا عنده "المَرْمَا" و "قياساتها" .

ذلك لأن «المَرْمَا» تسمية تطلق على الآلة الصناعية التقليدية المختلفة الحجم والشكل والتي يستعملها الحارار والدَرَّاز ، كما تستعملها "الطَّرَازَة" و"النَّسَاجَة" .

وكذلك «الْقِيَاس» لأنه وكما يقال «كُلُّ مَرْمَا قِيَاسَاتُهَا» فكما أن لكل من "الحَرَّار" ، و"الطَّرَازَة" ، و"الدَرَّاز" و"النَّسَاجَة" مَرْمَا خاصة ، و«قياسات» تخص تلك «لَمَرْمَا الخاصة» ، ولا تستعمل في غيرها ، كذلك لكل مبدع من مبدعي الاوزان - بَن حُسَيْن الجَد ، بَن حُسَيْن الحَفِيد ، حَمَاد الحَمْرِي ، وَلَد بُوغَمَر المَغْرَاوِي ، المَصْمُودِي ، مَنِيرْد - مَرْمَا خاصة ، و«قياسات» تستعمل في تلك «لمرما» ولا تستعمل في غيرها ، ومع أن إنشاء «لمرما» توقف منذ حوالي 1780 ، إلا أن لقياسات «ظلت

تلتحق بهذه «لَمَرَمَات» إما من بعض مجدي الملحون - سيدي قنور ، « بَنَعْلِي » بَنَسْلِيمَان « السِّي التَّهَامِي وإما من فنون القول المحلية في هذه الجهة أو في تلك - إلى يوم الناس هذا ، وسوف نتعقب هذه « الْقِيَاسَات » بقدر لإفراط فيه ولا تفريط . ويرحم الله العبقري الجريئ سيدي محمد ولد بوعمر مبدع « مكسور جناح » إذ يقول :

- الْمُعَانِي هِيَ الطُّيُورُ

- وَالْقَفُوزَا مِنْ لَمَرَمَاتُ

- وَالْقِيَاسَاتُ

- وَالْمَسَادُ

- الْقَافِيَاتُ

- أَحْ أَنَا ...

سيأتي معنا ذكر هذا الرجل الفذ عند تناولنا للقسم الثاني من اقسام الملحون أو هو الفن الثاني من فنون القول الملحون . أما الآن « وبعد هذه الوقفة القصيرة قصد توضيح إصطلاح « لَمَرَمَاتُ وَالْقِيَاسَاتُ » نشرع في تتبعها الواحدة تلو الأخرى .

١* « لمرمات المثنية »

يطلق إصطلاح « لَمَرَمَاتُ الْمُثْنِيَّة » على سائر الإبداعات الشعرية الملحونة التي تقتصر في أبياتها على الصدر والعجز فقط ، أو بإصطلاح أهل الملحون « لَفَرَّاشُ وَالْفَطَا »

الْوَرْدُ وَالزَّهْرُ فِ غُصَانُو وَشَجَارِ وَالنَّخْلِ وَأَطْيَارِ

ايسْبَحُو لِسَيِّدِي رَبِّي وَالْمَافُ : قَلْبُ كُلِّ غُذِيرِ

هكذا تمضي القصيدة ، الصدر والعجز فقط ، من البداية الى النهاية ومع ان التصريح في الشعر الملحون ليس مكانه هذا الفصل ، وإنما مكانه : « البديع » من فصل « فنون البلاغة في الملحون » مع ذلك اريد ان الفت الانتباه الى ان القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الصدر والعجز الى نهاية القصيدة وليس في العجز فقط كما هو الحال في الشعر الفصيح :

☆ فَصَلْ الرَّبِيعَ نَاسِجَ حُلَا فِيهَا عَقُولُنَا تَحْتَارُ

مَا هِيَ مِنْ الْوَيْزِ مَا هِيَ مِنْ صُوفٍ أَوْ مِنْ لَحْرِيرِ ☆

- ★ حُلَا مِنْ الضِيَا لَمُتُونْ مَا هِي صَنَعَتْ شَيْ حَرَارْ
- ★ اَمْنَبَتَا وَمَاشِي بِالْجَوْهَرِ أَوْ بِالذَّهَبِ لَمْنِيرْ
- ★ اللَّهُ عَظَّمَ الْقَلْبَ الْمَحْرُوقَ إِلَى اتَّجِيبَ لَوْ الْإِبْصَارْ
- ★ نَظَرَا مَنْ الْحَرَا جِ الْخَضْرَا وَتَخَمَّرُوا بَلَا تَخْمِيرْ
- ★ اللَّهُ عَنِ النَّفْسِ إِلَى تَاهَتْ فِي تَسَارُحِ النُّوَارْ
- ★ وَنَفَاسْ وَأَسْقَا الْإِنْسَايِمَ لَمُعْطَرَا بِكُلِّ غَيْرْ
- ★ اللَّهُ عَنِ الرُّوحِ الَّتِي خَلَّظَهَا السَّمْعُ بَيْنَ خُضَارْ
- ★ مَنْ حَيْثُ جَابَ لِيَهَا الْإِنْتِغَامَ أَمْعَا وَزَانَ فَرَقَ الطَّيْرْ

هكذا هي القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الشطرين معا مهما تعددت أبيات القصيدة .
ولنعتبر هذا الوزن الذي قامت عليه رباعية الحمري : «القياس» الأول من «لَمْرَمَا المَثْنِيَّة» . والغالب على الظن أن واضح هذا
القياس : هو الشيخ الجليل مولاي عبد الله بن حسين الجد ... ذلك لأنه ليس هو صاحب القصيدة :

- وَصَفَ الْهَوَى وَعَدُو خَبَرُوا بِهِ الْكُتُوبَ
- صَفَى نَعْدِيكَ حَسَابَ عَدَاوُ
- عَلَى لَلِّي سَوَّلَ بَجْهَانُو
- وَجَالَ مُحَالَ فَنَرَشَانُو
- عَلَى اسْتَانُو
- لَلِّي رَادُ
- مَعَ مَرَادُو

فهذه القصيدة هي للحفيد ... وقد ساند بها ولد بو عمر شكلا ومضمونا ، كما سيأتي بيان ذلك في الحديث عن نشأة
«مكسور جناح» الذي نشأ بعد وفاة بن حسين الجد بأزيد من نصف قرن ... نعم ابتكر بن حسين الجد «لرما المثنية» ،
و «لرما الثلاثية» ولكنه لم يعرف «مكسور جناح» ولا سمع به .. ونعم قصد القصيدة الملحونة ، ولكن للمناجاة الإلهية ،

والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية وليس للحب والهوى والغرام ...

على كل حال كتب ابن حسين الجد في هذا القياس :

★ لله تَبَّ يَارَاسِي وَرَجَعَ لِلْغَنَى الضُّوِّيَّانُ

يَزَاكَ مَنْ الْغَفْلَا وَفَصَلَ مَا بَيْنَ كُلِّ زَيْنٍ وَشَيْنٍ ★

وكتب فيه تلميذه «حمادى الحمري» الربيعية الالفة الذكر ثم جاء ولد بوعمر فكتب :

★ الْعَاقِلُ الْفَطِينُ إِلَى كَانَ مَعَ رِيَانِ الْحَمَاقِ

هُوَ يَكُونُ الْاحْمَقُ وَالْحَوْمَقُ عَاقِلِينَ بِالتَّحْقِيقِ ★

وتبقى إبداعات ابن حسين الجد ، وحماد الحمري ، وولد بوعمر وبن أحسين الحفيد ، هي كل ما في هذا «القياس» من العصر السعدي ، إلى عهد الملك الجليل مولاي سليمان العلوي ، لكن ابتداء من هذا العهد ... بدأ العمل بهذا الوزن من جديد ، إذ جعله ابن علي ، ولد أرزين «قياس» لشوقيته التي لازمتها :

★ صَلُّوا عَلَى الصَّدِيقِ الصَّادِقِ جَدِّ الْأَشْرَافِ نُورِ الْعَيْنِ

إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ بَلْقَاسَمَ مَحْبُوبِ رَبَّنَا الرَّحْمَانَ ★

وكتب فيه الحاج محمد بنمسعود الأزموري هذه الاستغاثة :

★ أَيَا سَرِيعِ الْإِغَاثَةِ وَقْتُ مَا سَتَاغَتْ الْمَضْطَرُ

وَلَا اللَّيْ يَغِيثِ الْمَضْطَرُ إِلَّا الْعَالَمُ بَ : حَالُو ★

وكتب فيه ابراهيم السوفقاني هذا المديح النبوي :

★ رَحِمَا لِكُلِّ مَا فَ : الْأَرْضُ وَشَفِيعَنَا فِ يَوْمِ الْعَرْضِ

وَاللَّهُ وَأَعْدُو بِالْمَعْطَى حَتَّى حَبِيبِنَا يَرْضَا ★

ويستمر العمل بهذا الوزن ... وتكثر فيه القصائد ، الى أن يأتي مولاي علي العلوي : فيكتب فيه سنة 1954 أروع قصيدة عرفها الملحون النضالي ... إنها «حورية» ، والمرأة هنا رمز للحرية والانعقاد :

★ أَنَا اللَّيْ سَبَّاتِ الْقَلْبَ وَغَفَلِي وَدُوحِ دَاتِي حُورِيَا

عَنْهَا نَمُوتُ بِهَا نَحْيَا يَمْتَنِي نَعُودُ .. ؟ يَمْتَنِي يَا لُخْوَانَ ★

اتفقنا على اعتبار هذه «لرما» هي الاولى من بين سائر «مرمات» الشعر الملحون ، وأن هذا الوزن أول «قياس» في هذه «لرما» بقي أن أضيف أن هذا «القياس» يقوم على عشر حركات في الصدر ومثلها في العجز .

«القياس الثاني» من «لرما المثنية» يقوم على تسع حركات في الصدر ومثلها في العجز ويسمى قياس مشرقى ، لأنه ليس من إنشاء أهل الملحون ، وإنما هو أحد الأوزان المحلية في الأدب الشعبي بالمغرب الشرقي ، وسوف يأتي معنا ذكره عند تناولنا لبعض المصطلحات التقنية : «لشرقي» كعروبي «لطيلعات» «السارحة» «السراية» وما شابه . ويبدو أن ولد بوعمر ، هو أول من كتب في «قياس مشرقى» ...

☆ هَذَا وَهَنِي رَتَحْ وَرَتَاخْ يَا الْمَلْحَاخْ

عَشْشْ وَعِشْ .. وَعِيشْ فَارِقْ أَشْحَاخًا ... ☆

طبعاً لا نستطيع ذكر كل ما في هذا الوزن من قصائد ، ولو بالعناوين .. لأن عدد قصائده تريبو عن الالف قصيدة ، وباستعراض بعض ما لشاعر أو اثنين من قصائد في طبع المشرقي ، تبين استحالة الاتيان بكل ما كتب فيه الشعراء ، من عصر ولد بوعمر إلى زماننا هذا ، فمثلاً سيدي عبد القادر كتب فيه : «دُرْتُ الْكُؤَاكِبْ»

☆ يَا مَشِيْمَمَ لَعَوَاتِقْ يَا سَرَاخَ الْاَهْدَابْ

يَا الشَّمْسُ الْمَحْجُوبَا دُرْتُ الْكُؤَاكِبْ ☆

وكتب فيه «المزيان»

☆ جُدْ وَعْطَفْ وَشَفَقْ بَرَضَاكَ يَا الْمَزِيَانْ

عَفْ وَسَمَحْ لِيَسِيرْ هَوَاكَ يَا لَهَاجِرْ ☆

وكتب فيه «التائي»

☆ لَعَبْ مَنْ غَيْرْ شَطَارَا فُوقْ رُؤْسْ حَرَبَاتْ

هَكَذَاكَ ابْنَادَمْ مَلَّتْ فِي عَشْرَتُو ☆

وكتب فيه «الدار»

☆ أَشْ مَنْ عَارَ عَلَيْكُمْ يَا رَجَالَ مَكْنَّاسْ

مَشَاتْ دَارِي فَ حَمَاكُمْ يَا أَهْلَ الْكُرَايمْ ☆

وكتب فيه «الشافي»

★ يَا شَافِي بِحُكْمَتِكَ حَالُ كُلِّ مَضْرُورٍ

شَفِي عَطَائِلِ دَاتِي مَنْ دَ الْوَجَاعِ نَبْرَا ★

وكتب فيه «إدريس الأكبر»

★ يَا حَفِيدَ الْمُصْطَفَى يَا الْقَوْتَ لَهْمَامُ

غَنَّا يَا مُوَلَايَ إِدْرِيسَ يَا لِكْرَائِمِ ★

وكتب فيه «التوسل»

★ يَا الْوَاجِدَ بِالْصُرْخَا عِنْدَ ضَيْقَتِ الْحَالِ

جَلَّ مُوَلَايَا عَنْ شَبَةِ الْمَثَالِ عَالِي ★

وكتب فيه «مدرسة الصوفية»

★ تَاجِرَ بَغِيرٍ بِضَاعَةٍ بِالْفُضُولِ يَتَهَامُ

كِي دَخَلَ يَخْرُجُ حَدَّ شَطَارَتُو يَسَاوَمُ ★

وكم من مديح للاولياء ، وكم من اجتماعيات ...

ونجد - ودائما على سبيل المثال لا الحصر - السي التهامي لدغري يكتب في "قياس مشرقى" «العرصة» :

★ يَا عَرِصَةَ صَوْلِي صَوْلِي بَطِيبِ الْأَطْيَابِ

سَاكُنَكَ سَيِّدِي وَأَدُّ السَّاكُنِينَ طَيْبَا ★

وقصيدة "الربيع"

★ جَادَ يَا مَحْبُوبِي فَصَلَ الرَّبِيعَ بِرِضَاةِ

مَا بَقِيَ غَيْرَ اللَّهِ وَرَأَاهُ لِلنَّزْهَا ★

وقصيدة : " الجفن "

★ مَا لَ جَفْنِي يَبْكِي بِالدَّمْعِ لَيْلَ وَأَنْهَارَ

★ مَا لَ جَفْنُ حَبِيبِي سَاحِي مَنِ الدَّمْعُ

وقصيدة : " لام مرشوق "

★ لَا يَعِيدُ لِفِرَاقِ الْمَعْشُوقِ يَا لِعَشَاقِ

★ بَعْدَمَا عَقَّنِي تَعَنَاقَ لَامَ مَرَشُوقِ

وفي هذا الوزن كتب متيرد أصدق قصائده العاطفية ، ولا أقول الغرامية أو الغزلية لا العاطفية ... كما سنرى في فصل الاغراض والموضوعات :

★ فَاطِمَةُ شَرَعَ اللَّهُ مَعَكَ بَيْنَ الْأَرْيَامِ

★ وَأَشْ حَبِيبُ يَكَا فِي بِالْجَفَا حَبِيبُ

ولشعراء آخرين قصائد كثيرة في موضوعات مختلفة ، بل الشعراء الذين ذكرتهم لهم قصائد أخرى لم أذكرها ، إن هذا الوزن بالذات يسمونه : "لحويط لقصير" ، لانه من السهولة والبساطة ، بحيث يستطيع أن يكتب فيه الاقل من ناظم ، فضلا عن الناظم الممتاز ، والشاعر الفحل .

"أقياس مشرقي" في الملحون كالرجز في الشعر الفصيح ، وليس من بين شعراء الملحون من لم يكتب فيه خمس قصائد أو ست ، بل إن منهم من لم يكتب طوال حياته إلا في هذا الوزن مثل لهويتر ، والحاج اعمار ، فما عرفنا لاي واحد منهما أية قصيدة في أي وزن آخر .

" ا لقياس " الثالث من لمرما المثنية " كتب فيه عبد القادر العلمي "حجوبة" 8 + 12 :

★ شَفَقِي مَنِ حَالِ اللَّيِّ هَوَاكَ تَدْبُلُ لَوْنُو وَسَفَرَتْ وَرَقَتُو يَا حَجُوبَا

★ تَعْلَمِي وَتَحْقِي بَيْنَ عَوْضِكَ مَا كَانَ حَبِيبُ

كتب فيه التهامي لدغري "الصبوحى"

★ غَنَمُ صَبُوحِي يَا نَدِيمَ وَسَطَابِ رَضِيعِ الْكَاسِ وَالْأَطْيَارِ فِ مَغْنَاهَا

★ لَا تَرْتَا يَا سَاقِي وَكَبْ وَرَا رَبِّي سَمَاحُ

وكتب فيه "الدبجور"

★ شَوْفُ الشُّكَايَا ، شِي شَكَا بَحْبُو ، شِي بِالْفُرْقَا ، وَشِي بَعَشْفُو وَغَرَامُو

★ شِي مَنِ الْجَفَا ، شِي جَايِبُ الْهَدِيَا يَرْحَلُ وَقِيمُ

وكتب فيه " لغوي " المرسول :

★ خَبَّرْنِي يَا مَرْسُولُ عَنْ سَرَّاجِ أَعْيَانِي وَأَشْمَنِ أَنْهَارِ نَظْفَرٍ يُوصَالُو ★

★ عَرَّاضِ الرِّينِ أَنَا عَيْدٌ وَمَوْلَايَ الْفَتَّانُ ★

وكتب فيه : " الجيلالي لعقيقي " " الخلل "

★ خَلْخَالَ عَوِيشًا دُرَّتِ الْبَهَا فِي مَكْتُوبِي يَا وَلِيفِ دَرَّتُو وَمَشَالِي ★

★ كَيْفَ الْمَعْمُولِ إِلَى اتْسَالِنِي مَوْلَاتِ الْخَلْخَالِ ★

وكتب فيه " الميساوي الفلوس : " الدملج "

★ دَمْلِجْ زَهِيرُو سَابِغِ الشَّفَرِ كَانَ فَ: جِيبِي يَأْهَلِ الْهَوَى وَمَشَالِي ★

★ بِأَشْ أَنْجَاوَبُ مَنْ اللَّيِّ اتْسَالُ عَنْوُ سَابِغِ الْأَشْفَارِ ★

وكتب فيه : " مولاي قنود البلغيثي " زبيدة "

★ صَلِّ بِحُسْنِكَ وَبِهَاكَ يَا كَمَالَ سُرُورِي سُودَ النَّيَامِ وَلَفِي زَبِيدَةَ ★

★ اللَّهُ يَزِيدُكَ يَا سُرُورُ رُوحِي عَزَا وَتَمْجِيدُ ★

لا أريد أن أقول وأعيد : - مع كل مجموعة من كل قياس - عبارة " وقصائد أخرى كثيرة لعدد من الشعراء وحسبي أن أسجل هنا للمرة الأولى والآخرى .. أنني لا أستعرض من قصائد كل "قياس" ، إلا بمقدار قطرات قليلة من بحر زاهر . فالقصد ليس الاحاطة بكل ما في "القياس" من إبداعات ، وإنما التعرف فقط على "لزمات وقياساتها" .

القياس الرابع ، ونحن دائما مع لهما المثنية 8 + 9

فيه " هنية " للزومروي :

★ أَنْتِ الْخَطْفَانِي مَنِّي يَا لَا لَاهِنِيَا ★

★ رَفَقِي بِحَالَتِي وَتَهْلَايَ وَحَاسَنِي مَعَايَا ★

فيه ابتهالات ل : ولد أوزين :

★ مَوْلَايَ جِيَّتْ قَاصِدٌ بِأَبْكَ نَرْجَاكَ يَا لَغَانِيَا ★

★ لَكْرِيمٌ مَا يَرِدُ الطَّالِبُ ، جُونُو مَعَا أَحْسَانُو ★

فيه قصيدة "الحب" لابن سليمان :

★ أَنَا الَّذِي شَفَقَانِي قَلْبِي بِالْحُبِّ يَا أَهْلِي ★
★ وَالْحُبُّ طُولُ عُمْرِي مَنُومًا صَائِبَ الْمَقَالَا ★

فيه للتهامي لدغري "الغاليا"

★ أَنِيَا مَزَاوَكُ مَنْ ذَا الشَّرْبِ الدَّاهِيَا ★
★ لَقِيتُ الصَّدْرَ حُوزِينِي وَتَكَاسِي عَلِي ★

وفيه للحاج إدريس "الياسمين"

★ فُوحِي بِطِيبِ لِمَحَاسِنَ يَامَشْمُومَ كُلِّ زَيْنَ ★
★ أَنَا فِ عَارِ ذَاكَ الْخَدِّ الذَّهَبِيِّ وَمَسْكَ خَالِكَ ★

وفيه ل: بلعيد السوسي :

★ جَنَانَ السَّبِيلِ الْجَلَسَا يَأْمَنُ بِنَا الزَّيْنِ ★
★ يَمْرَحُ الْأَهْذَابُ أَوْتَرَاتُحَ جَوَارِحُ شَوْيَا ★

القياس الخامس 8+8

كتب فيه المغراوي ثناء للملك العلوي مولاي اسماعيل :

★ هَزْنِي رِيحُ الشُّوقِ وَقَلَّتْ فِيكَ يَا سَرَّ فَهَانِي ★
★ عَلَى اسْلَامًا يَسْعَدُنَا بِالْمَقَامِ فِي فَاسٍ مَعَانَا ★

وفيه لابن سليمان : الوردة :

★ لَا تَلُومُونِي فِي ذَا الْحَالِ جِيتْ نَشْهَدْ وَتَوَدِّي ★
★ يَا عَنُولِي فَ : الرُّوحُ سَبَابِي خَالَ فِ وَرْدَةٍ ★

وفيه للفقيه لعمرى "السلبية" - كما سماها شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي " :

☆ شُوفْ وَسَكْتُ وَسَمِعَ تَبَقًا عَزِيزَ غَايَتِ لَمْعَرَا ☆

☆ وَلَا تَقُولْ غَلَّاشَ؟ وَكَيْفَاشَ؟ بِأَشْ؟ وَلَسَانَكَ حَقَرُو ☆

وفيهِ للمداني التركماني " الحقيقة "

☆ يَا لَلْأَيَمِ خَلِّي الْعِبَادَ كُلَّ وَاحِدٍ فِي حَالُو ☆

☆ الشَّهَادَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ تَكْفِي مُوَلَاهَا ☆

وفيهِ للحاج أحمد الغرابي " الشريعة "

☆ يَا لِدَا عِي بِالْعُرْفِ صَنَعِي لَهْلَ الْعِلْمِ فَمَا قَالُوا ☆

☆ الشَّهَادَا مَنْ غَيْرِ أَعْمَالٍ لَيْسَ تَكْفِي مُوَلَاهَا ☆

القياس السادس 9 + 8 كتب فيه " الازمودي "

☆ شَاهَدَتِ النَّارُ عَنْ خُدُودِكَ وَعَلَى الْوَجْنَا نَظَرَتْ جَنَّا ☆

☆ شَاهَدَتِ الْمَوْتُ فَ: الْعَيْنُ أُولَفِي امْهَانِي ☆

فيه لمولاي بلفيتي " اصيل "

☆ رَاحَتِ شَمْسُ الْعَشِيِّ وَطَاحَتْ خَلَاتُ انْوَارِهَا تَهْبَلُ ☆

☆ يَا سَاقِي بِالْكَبِيرِ غَدْرٌ وَمَلَاهُ كِبَالًا ☆

فيه ل : بوعزا " الكاوي "

☆ أَنَا الْكََاوي بَكِي مَخْفِي ، وَالْكِي فَ: الدَّاتُ مَا بَرَّالِي ☆

☆ مَنْ بَعْدَ مَا كُوَيْتَ وَبَرَيْتَ جَرَّاحِي طَالُو ☆

فيه للحاج أحمد الغرابي " مديح نبوي "

☆ صَلُّوْا عَلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ مُحَمَّدَ خَاتَمِ الرِّسَالَا ☆

☆ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالرُّضْوَانُ عَلَى آلُو ☆

القياس السابع : 7 + 8 *

كتب فيه الامام العسني العراق :

☆ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبْشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ ☆

☆ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاءُ ☆

كتب فيه المصمودي "يامنا "

☆ قُولُوا لِيَا مَنَا تَهْلِيلُ الْعُثْمَانِي ☆

☆ مِينَا .. يَا مِينَا مَعَكَ شَرَعَ اللَّهُ ☆

وكتب فيه بجيوات "الجيران "

☆ يَا شومَ لِيَعْنِي شَيْ يُصْبِرُ جِيرَانِي ☆

☆ جِيرَانِي لَقَدَرُ عَيْبٍ لِلْجِيرَانِ ☆

وكتب فيه بوزيان "المحبوب "

☆ مَحْبُوبُ خَاطِرِي مَنْ فَقَدُ وَعْدَإِي ☆

☆ عَمْدَإِي لَحَبِيبٍ مَا انْعَمَ بِوَصَالِ ☆

وكتب فيه الحاج إدريس بنعلي "الصاحي "

☆ يَا صَاحُ لِيَمَتَا وَأَنْتَ عَاشَ صَاحِي ☆

☆ وَيَرَايِقُ لَعْدَامُ طَافِحًا بِالرَّاحِ ☆

وفيه لابن علي ولد أريزين "الشماثل الحمدي "

☆ أُجِي تَشَاهَدُ السِّرَّ الْمُحْمَدِي ☆

☆ وَشُعَايِلُ شَلَا تُحَدِّثُهَا لَعْدَادُ ☆

القياس الثامن : 8 + 4

كتب فيه متيرد " لبابة "

★ طَارَ بَجْفَاكَ صَوَابِي ★

★ يَا لِي تَهْتِي بِيهِ كَثِيرٌ لِيَمْتَايَا لُبَابَا ★

وفيه شوقية لولد أرزين :

★ الصَّلَاتُ عَلَى الثَّاقِي ★

★ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ جَدُّ الْأَشْرَافِ مَنْ جَانَا بِالْحَقِّ ★

وفيه لابن سليمان "سلطان المشور"

★ يَا هَلْ الزَّيْنُ الْفَاسِي ★

★ صَافُو مَجْمَعَكُمْ وَيَا بَعُوا السُّلْطَانَ الْمَشُورَ ★

وفيه للتهامي لدغري "حصان"

★ سَأَلَ عَوْدِي عَنْ وَعْدِي ★

★ يَبَاتُ يَرْثِي وَيُضِلُّ مَعَ الْأَجَامِ مَسْكِينَ اِيَكْدُ ★

القياس التاسع 6 + 7 كتب فيه بنسليمان "غصن الخيزران"

★ كُنْتُ وَبَاقِي فَانِي ★

★ يَا رَاحَتِ الْخَوَاطِرِ يَا غُصْنَ الْخَيْرَانِ ★

وكتب فيه النجار "المعجزات"

★ نُورُ الْحَقِّ السَّامِي ★

★ صَلَّى عَلَيْهِ رَبِّي وَعَلَى الْوَسْلَامِ ★

ولسبيدي عبد القادر العلمي "البيستان"

★ سَعْدُ الْكَلْبِ الْهَانِي ★

★ سَعْدَاتُ مَنْ فَأَلُو مَرْتَاخَ مَنْ الْحَانِ ★

وفيه حالية العمري :

☆ زَخْرَفَ رَوْضَ جَنَانِي ☆

☆ وَشَمَنْ جَنَانَ فِيهِ اللَّيْ فِ قَلْبِي الْآنَ ☆

"القياس" العاشر 6 + 11 لعل أول قصيدة فيه هي ل: بن حساين الحفيد "

☆ صَلَّى اللَّهُ عَلَى الصَّادِقِ التَّائِي ☆

☆ مُحَمَّدٌ أَشْفِعُ الشَّافِعَ إِمَامَ الْإِنْبِيَاءِ رَاكِبَ الْبُرَاقِ ☆

وفيه لسيدى عبد القادر العلمي :

☆ قَالَ الْمَرْيَانُ صَيْفٌ لِي زَيْنِي ☆

☆ وَمَدَحَ امْحَاسِنِي كَيْفَ يَمْدَحُوا نَاسَ الْفَرَامِ بِدُورِ الْحَسَنِ ☆

وفيه للحاج إدريس "خمريه"

☆ مَنْ ذَرَا يَكْمَلُ فَرْجِي وَسَلَوَانِي ☆

☆ وَيَعُودُ فِي مَكَانِي سَاقِي غَانِي ضِيَاءَ عَيْنِي ذَاتَ الْحَسَنِ ☆

كان عليّ أن أكتفي بهذا القدر من "لمرماً المثنية وقياساتها" إلا أن الخاطرة التي خطرت في خاطري تستلزم الاتيان بطائفة أخرى من "قياسات" هذه "لرما" ، ولو بنموذج واحد لكل قياسي" ، حتى لا أسجل هذه الخاطرة ... إلا وأنا في غاية الاطمئنان عن نتائجها.

القياس الحادي عشر 5 + 6 والنموذج "رد الوله" ل: ولد بوعمر

☆ أَهْلَ الْبَنَاءِ حَمًا قُورِدَ الْوَلَهَا ☆

☆ مَنْ شَعَا .. مَنْ شَعَشَوْعَ الْكَامِلَ الْبَنَاءِ ☆

القياس الثاني عشر 3 + 6 والنموذج لابن سليمان

☆ أَمَا مِنْ كَلْظَمَ ☆

☆ صَحَّتْوَ كَانَتْ لُوْهي الطَّامَا ☆

القياس الثالث عشر النموذج لسبيدي حلال العلوي

☆ رَضَعْتُ الْفِيَالُ فَ تَدِّي ☆

☆ وَكَبَرْتُ فَ : الْقَلَاعِي فَ : الدَا ☆

القياس الرابع 5 + 7 النموذج من شعر ولد أريدين

☆ صَلَّيْ عَلَى النَّبِيِّ فَ : اللَّيْلُ أَوْ النَّهَارُ ☆

☆ تَنْظُرُ وَبِالْبَصَرِ أَوْ بِلَبْصِيرَا ☆

القياس الخامس عشر 5 + 8 النموذج من شعر اليوسفي

☆ أَنَا اللَّيْ نَظَرْتُ غَصِينُ الرِّيحَانِ ☆

☆ فَتَحَ الْوَرْدُ الْفِيلَالِي عَلَى فَنَانُو ☆

القياس السادس عشر 6 + 8 والنموذج للتهامي لدغري

☆ شَدُّ أَسِيدِي رَمَانُكَ ☆

☆ بِيَدِيكَ زَوْجُ مَتَكُ لِيَهْ أَشْ عَلِي ☆

القياس السابع عشر 6 + 7 والنموذج من شعر الناصري

☆ أَنَا لَغَرِيبُ فِي بِلَادَاتِ النَّاسِ ☆

☆ مَفَارِقُ وَطَانِي وَحِبَابِي مَعَاوَنَاسِي ☆

القياس الثامن عشر والنموذج من شعر مولاي عبد الرحمان بوقطيب ، وهو من الاوزان الواقعة بالنظر الى

نوع إيقاعاته 4 + 4 -

☆ شَعَلَاتُ فَ خَلَوْتِي مَنَارًا ☆

☆ وَاللَّيْلُ فَ : حَلَكْتُ اللَّيَالِي ☆

وكذا القياس التاسع عشر "11 + 11" والنموذج من شعر مولاي الحبيب العبار :

★ الزَيْنُ الزَيْنُ مَا نَدُوذُ لَوْ كَانَ يَطْوِقُونِي لَمَحَالُ ★

★ ياكويينا اللي خطفت .. أو من فوق لعود ديك مولات الخال ★

هو أيضا من الاوزان الراقصة التي تشيع المرح في النفوس ، فتنتقل من "التحيرا" أي التواجد مع الايقاعات الحضارية ... إلى شيء من الترويح مع أوزان الايقاع الراقص ...

"القياس العشرون" والنموذج من شعر بلعواني 4 + 6 :

★ زِدْ فْ : لَمَحَاجِي حَاجِي ★

★ مَا عَلَحَجَا مُحَاجَا ★

القياس الواحد والعشرون 4 + 5 والنموذج من شعر ناصر الدكالي

★ سَالُوَهَا لَاشْ غَادَ يَالُو ★

★ سَالُوَهَا لَاشْ تَابَعَاهُ ★

ونختم هذه الاوزان بما يسمى "لعروبي" 6 + 6 والنموذج من شعر الجيلالي متيرد .

★ هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَّبِيعِ الْخَيْرِ ★

★ مَوْلِدُ حَبِيبِنَا أَحْمَدَ شَارِقِ الْأَنْوَارِ ★

هذه بعض "قياسات" "لرما المثنية"، و "لرما المثنية" وكل "قياساتها" سواء منها ما ذكرت أو ما لم أذكر ... لا تمثل إلا ربع ثلث الملاحون . أي أن مدرسة الملاحون تستطيع أن تقابل بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بل وتضاعف عددها بـ "قياسات" "رما" واحدة فقط هي "لرما" "الاولى" لرما المثنية .

وقد سبق القول أن فنون القول في الملاحون ثلاثة : الشعر العمودي ويسمى "لمبيت" والشعر المتحرر نسبيا ويسمى "مكسور جناح" والنثر الفني ، وقد أطلقوا عليه إسم "السوسي" وسبقت الإشارة أيضا إلى أن الشعر العمودي في الملاحون "لمبيت" يتكون من أربع "مرمات"، و"لرما المثنية" التي استعرضنا "قياساتها" واحدة من أربع ، وبها وحدها تقابل مدرسة الملاحون سائر بحور الشعر العمودي وزيادة ، أما الثلاثة أرباع الباقية من "لمبيت" أعني "لرما الثلاثية" و "لرما الرباعية" و "لرما الخماسية" فهي تقابل كل شعر الفروع والأغصان من موشحات ، وأجزاء ، وطلائق ، وما شابه .

ولا يفوتني أن أذكر هنا "أدب الطفولة" ، ففي الاستسقاء مثلا... وعندما يردد الكبار "اللهم أسق عبادك وبهيمنتك ، وأنشر

رحمتك ، وأحيي بلدك الميت .

يردد الشباب والفتيان

هَـا السَّبَّوْلَا عَطَشَانَا غَيْثَهَا يَا مُوَلَانَا

ويستجيب المجيب جل جلاله ، ويرحم عباده بالامطار ، وتعم الفرحة ويتسابق الاطفال إلى ساحات الاحياء ... وهم يرددون :

أَشْتَا تَا تَا تَا تَا
أَوْلَادَ الْحَمَامَاتِ
الْمَعْلَمَ بُوَزْكَرِي طَيْبَ لِي خُبْرِي بِكَرِي

أو يرددون :

أَشْتَا صَبِّي صَبِّي وَالرِّزْقَ عَلَى رَبِّي

وهي كلها مرددات على وزن واحد ... ولا يتغير الوزن إلا إذا انخرط الجنس الآخر (البنيات) بلعبة (حيناً)

أَحِينَا أَلْمَحِينِينَا
حِينَا صَبَاتُ عَلِنَا
حِينَا فَايْنُ بُوَعْرَا
حِينَا مَشَا لِلْسُّودَانِ
حِينَا نَجِيبُ اللَّبَانِ

أما ربّات البيوت ... لهن أيضاً أذهبن النسوي الذي يعتمد الصدر والعجز فقط .

الْعُودُ الْمَرْبُوطُ الرَّبِيعُ قَدَامُو مُوَلَايَ الْحَسَنِ يَزِيدُ ف : يَا مُو
بَيْنَا وَبَيْنَ الْجَامِعِ رِيحَتُ الْجَاوِي وَأَيَا مُوَلَايَ عَبْدِ اللَّهِ يَا الْكََاوِي
هَكَذَا خَلْقُهُ أَمَالِيهِ الْمَلْحَا وَالسَّرُّ عَلَيْهِ

ويظهر وزن الاطفال : أَشْتَا تَا تَا تَا مرة أخرى ، في مظاهرات الافراح بمناسبة رجوع محمد الخامس طيب الله ثراه

مَلِكُنَا وَاحِدُ مُحَمَّدُ الْخَامِسُ
الْإِسْتِعْمَارُ إِلَى قَبْرِهِ بَنُ يَوْسُفَ إِلَى عَرْشِهِ

وأدب الطفولة كالادب النسوي ، كلاهما يحتاج الى عناية خاصة ليس هذا مكانها على كل حال . وقبل أن أنتقل الى "لرمات" الموالية ... لابد من الاشارة إلى أن من ضروب المستحيل محاولة تتبع نشأة الاوزان ، ورصد تطورها ، وارتقائها ، وتحولاتها من نمط إلى آخر . وكل ذلك يتم في فصل من كتاب :

نستطيع أن نثبت مثلا أن مولاي الشاد - وهو من الذين شاهدوا نهاية الحكم السعدي ، وقيام الدولة العلوية الشريفة - أنشأ هذا الوزن :

رِيَّاحُ الْيَنْبُوعِ هَبْتُ فَ : هَازُ الْأَرْضِ وَخَيْرَهَا نَبْعُ

وأن ولد بو عمر ... حوله إلى "رياعي" بإضافته لشطرين آخرين في قصيدة "بأها"

غَارُو الْبَوَاهِي مَنْ بَهَا مِنْ لَا لَبْهَاهَا شَبِيهْ

مُولَاتِي بِأَهَا زِينَهَا صَانُو سَرَّ الْجَاهْ

ويكتب الشعراء في وزن مولاي الشاد الذي يعتمد الصدر والعجز فقط كما يكتبون في وزن "بأها" الرياعي الاشارة إلى أن يأتي بنعلي ولد أرزين - في العقد الثالث من عهد السلطان العلوي المصلح مولاي سليمان - فيحول الرياعي إلى ثلاثي في قصيدته "أطلال المدن"

لَوْ كَانَ تَنْفَرَمَ يَا حَمَامَ انْفَرَمُو الْمَدَا الْفَايِتَا

وَاللِّي شَفْنَا فِي زَمَانَا مَا شَافُوهُ انْجَالْ

ويأتي لحبابي في عصر الحسن الاول ، فيعود بالوزن إلى ماكان عليه أيام ولد بو عمر ، ولكن بإضافة حركات في الشطر الثاني والشطر الرابع تلانمه جدا جدا .

قُـوْلُو الْخَنَائَا يَا تَرَى فَ : الْعَاهِدُ تَبْقَى ثَابِتَا

صَانَتْ بِحَمَالَهَا حَيَاتِي رَاحَتْ رُوحِي الصَّائِلَا عَلْلْ لَبْدَرْ بَنْعُوتْ

ويأتي بن ريسول ، وهو من المتأخرين ، يتلمذ عنه شيفي وأستاذي وولي نعمتي سيدي إدريس العلمي رحمه الله ، فعاد بالوزن إلى عصر نشأته الاولى ، وكما أراده مولاي الشاد :

يَا مَنْ هُوَ مُسَلِّمٌ فَ : النَّبِي وَوَلَادُ وَقَوِي امْحَبَّتْكَ

أستطيع أن أثبت مثل هذه التحولات في كل أوزان الملحون ، إنما ليس في فصل من كتاب أريده "بداية الطلب" بالنسبة

للباحثين والدارسين ، و "نهاية الارب" بالنسبة للمولمين والمفرمين ... وكتاب هذا شأنه لا ينبغي لمصنفه أن يفرق في موضوع على حساب الموضوعات الاخرى ، خصوصاً وأنها كثيرة ومتشعبة أي الموضوعات ، وتلزم الاحاطة بها جميعها ولو باختصار شديد .

"ب" (لرما الثلاثية وقياساتها) :

ثلاثية لان البيت الواحد يتركب من ثلاثة أشطار : "الصدر والعجز ، والدل" بخلاف لرما السابقة التي كان البيت في كل قياساتها ... يتركب من "صدر وعجز ... فقط

القياس الاول كتب فيه مولاي عبد الله واحساين "وصايا لقمان" (9 + 9 + 9)

أَرَأْسِي نُوصِيكَ كَيْفَ وَصَى وَلَدُ لُقْمَانَ وَنَتُ تَصْغَى كَيْفَ مَا صَغَا وَلَدُ لُبَّيْنَانِي
وَتَوْصِي بُوَصَايَتِي الْمَرْوِيَّاءُ قَوْمَ آخَرِينَ

وفيه للتهامي المدغري قصائد كثيرة أذكر منها "حكاية زنجية"

مَا اعْظَمَ ذَاكَ الْيَوْمَ فَاشَ صَدُو نَاسِي وَمَشَاوَا تَرْكُونِي نَوَاحَ فَ : الرَّسَامَ قَلْبِي كَاوِي
يَحْسَنُ عَوْنُ اللَّيِّ امْضَاوَا نَاسُو مَنْ بَعْدَ كَوَا

وفيه للسعداني قصائد وقصائد أذكر منها "المشموم"

جَاتْ لِعُنْدِي مَا عَرَفْتَهَا فِيدِيهَا "مَشْمُومٌ" أَوْ مَشْمُومٌ انْضَرَّتْ فِي وَجْهِهَا بَنِيَامِي
وَاحِدٌ لِلتَّقْيِيلِ زَايِدٌ عَلَى النُّضْرَا وَالشَّمْ

وفيه لبنعلي المسفيوي "الطومويل" الثانية.

سَعْدِي زَارْتَنِي حَبِيبَتِي الْغَزَالُ أَمْ ادْلَالُ وَتَنْزَهْنَا بِالْجَمِيعِ وَرَكَبْنَا طُومُوَيْلُ
وَتَسَارِينَا بِالْجَمِيعِ فَالْدُنْيَا عَرْضُ وَطُولُ

وفيه للحاج أحمد الطرابلسي مديح نبوي :

يَا عَيْنَ الرَّاحِمَةِ الرَّاحِمَةِ يَا قُرَّةَ الْأَنْيَامِ يَا قُرَّةَ الْأَنْيَامِ جُدْلِي يَا بَحْرَ التَّعْظِيمِ
يَا بَحْرَ التَّعْظِيمِ وَالْفَضْلُ يَا عَيْنَ الرَّحْمَةِ

"القياس الثاني" من "لرما الثلاثية"

فيه للحاج أحمد بنمسعود الازمودي "قطومة"

شَفَّتْ الشَّمْسُ وَشَفَّتْ الْقَمَرُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي خُدُودِ غَزَالِي قَطُومُ
شَمْسُ الْحُسْنِ أَلَالُ الطَّامِ رَوْنَقُ السَّرِّ عَنْ جَمَالِكَ يَاطَامُ

وفيه ل: التهامي لدغري "النحلة"

صُولِي يَا شَامَةَ الضَّرِيفَةِ وَزَمَائِي وَغَنِّي وَدَنِّدَنِي نَغْمِي عَلَى الْاَوْتَارِ
مَا مَتَّكَ قَضَّةً وَلَا اَتَبَّرَ يَا بَنْتَ الْمُلْكِ فِيكَ هَمَّةٌ وَتَجَارَةُ

وفيه للحاج ادريس "الكاس"

أَسَاقِي لَمْدَامُ صَبَغِ نَحْكِي لَكَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ كَاسِ رَحِيقِ الْمَسْطَارِ
قَصَّةٌ وَعَجُوبَةٌ وَتَرْجَمَةٌ صَارَتْ لِي الْبَارِحُ اَمْعَا جَلَّاسِي

وفيه لادريسي العلمي "مديح نبوي"

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا الْمَاحِي مُحَمَّدٌ يَا شَرِيفَ الْأَسْمِ سَيِّدُ لَمْلَاحِ
يَا مَنْ بِكَ النَّاسُ فَرَحَةٌ مَنْ شَهِدَ بِكَ نَالَ رَبْحًا وَصَلَّاحًا

"القياس الثالث ،

فيه لابن علي ولد أرزين "زنوبة"

يَا بَدْرَ مَا غَطَّكَ حِجَابُ فِي دُجَايَا شَمْسِ النَّهَارِ السَّعِيدِ يَا زَنْوَبَةَ
شَاقِقَ انْشَوْفِكَ يَا زَيْنَبَ

وفيه للحاج ادريس "حبيبة"

يَا لِي زَيْنَكَ زَيْنَ عَجِيبَ عَالَجِينِي بِرُضَاكَ أَرْوَحُ رَاحَتِي حَبِيبَةَ
مَا ابْحَالَكَ عَنْدِي مَحْبُوبَ

وفيه للحاج أحمد الغرابلي "العمرية الصوفية"

كَبُّ لِّلْسَاحِي كَاسُ الرَّاحِ يَا لِسَاقِي رَادَفٌ لُّوْلًا تَكُونُ فِيكَ جَحَاحَةٌ
حَضَرُوا فَ : الْغَيْبَةُ يَرْتَاحُ

القياس الرابع من "المرما الثلاثية..."

فيه لمحمد بن سليمان

نُبَكِّي عَلَى دُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَةِ الْقَبْرِ
بَدَلٌ يَارَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَةِ

وفيه ل : التهامي المدغيري

أَلَا لِلْأَزْهَرِ أَزْهَرِي وَزَهَارُو بِكَ رِيَاضِي فَأَيْحُ الزَّهَرِ
صَوْلِي صَوْلِي يَا غَزَالِي زَهْرَةٌ

وفيه لنفس الشاعر

أَنَا عَشِيتُ الْجُمُعَةَ شَابَ شَبَابِي مَلَكْتَنِي عَزَبَةٌ وَشَابَةٌ
مَنْ شَاهَدَهُمْ مَا اسْخَى بِشَبَابِهِ

وقريب منه " اثلاثة زهوة ومراحة " لنفس الشاعر

اِثْلَاثَةُ زَهْوَةٍ وَمَرَاةٍ بِهِوَاهُمْ مَا أَنَا سَاحِي
رُكُوبُ الْخَيْلِ وَالْبَنَاتِ وَكَيْسَانُ الرَّاحِ

"لمرما" "الرباعية" وقياساتها

تتدرج في هذه "لمرما" كل القصائد التي يشتمل البيت الواحد منها على أربعة أشطار غير متوازية، أي أن الأشطار الأربعة التي يتكون منها البيت الواحد ، لا بد وأن يكون فيها الشطر الطويل والشطر الأطول ، والشطر القصير ، والشطر الأقصر . ذلك لأن القصيدة المتوازية الأشطار ، وإن كانت رباعية فمكانها "لمرما المثنات" وليس "لمرما الرباعية" اقروا معي مثلاً هذا البيت من قصيدة الحاج أحمد الغرابلي .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ الْعَصَاةِ الْهَادِي يَا عَيْنَ التَّعْظِيمِ وَالْهَدْيِ
يَا مُحَمَّدَ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ يَا نُورَ ائِمَّادِي فَصْلَاتِكَ سَطْوَةٌ وَفَايِدَةٌ

فهذا البيت وإن تركب من أربعة أشطار ، لا يعتبر إلا "مثنى" متكرر إذ أن الوزن كما تلاحظون واحد : الصدر الاول على وزن الصدر الثاني والعجز الاول على وزن العجز الثاني ، وكذلك الحال في قصيدة الشهداء ل : بن مخلوف .

مُحَمَّدُ يَا نُورَ تَعْدِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَدًا
عَدَا النُّحْلَةَ الَّتِي ائْتَدِي تَعْمَلُ شَهْدَةً فَوْقَ شَهْدَةٍ

وكذلك وصية الحاج ادريس :

لُطْفُ اللَّهِ يَغْمُ يَا لِسَاهِي وَطَلْبُ رَبِّي سَلَامَتُكَ
إِلَى رَدَّتِي تَغْنَمُ أَوْ تَعْلَامَا بَيْنَ النَّاسِ دَرَجَتِكَ

وللشاعر الصوفي الكبير الحسني العراقي في هذا المثنى المتكرر :

جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبَشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاهُ
انْكَى الْحُسُودَ وَظَفَرَ بِالْعَزِّ الدَّائِمِ وَاصْبَحَ يَتَمَخَّرُ فِي ثِيَابِ هَنَاهُ

وله ايضا في "المثنى" المتكرر ، وعلى وزن آخر

انْسَى بِحَبِيبِكَ كُلُّ شَيْءٍ وَجَمَعَ فِي ذَاتِهِ هَوَاكَ
وَشَكَرُ مَعْبُودِكَ مَنْ ضَحَى بِالْقُدْرَةِ يَهْدِيكَ

كل هذه القصائد وغيرها مما شاكلها ... هي من "لمرما المثنوية" أما "المرما الرباعية" هي التي يشتمل البيت الواحد من قصائدها على أربعة أشطار غير متوازية كما سبق القول . وإليك نماذج منها للدلالة عليها .

"لمرما الرباعية وقياساتها"

القياس الاول : حب حبيب الرحمان ... للجيلالي امتيرد

صَلُّوا عَلَى الْعَدْنَانِ مَنْ جَانَا بِالْبَيَانِ
فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ طَهَ مَفْتَاحُ الْكُونِ

القياس الثاني : "مديح نبوي" للنجار

جَلَّ الصَّلَا مَهْدِيَّةٌ عَلَى النَّبِيِّ مَزْدِيَّةٌ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ وَأَنْصَارِهِ
وَعَلَى الْأَسْبَاطِ وَعَلَى الشُّرَفَاءِ الْأَحْرَارِ وَعَلَى الزُّهْرِ بَنَتْ الرُّسُولَ وَعَلَى هَزَامِ الرُّومِ

القياس الثالث : ... حجویة "لابن علي تركوب الخيل والبنات وكيسان الراح

يَا لَلِي زَيْنِكَ فَاقِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْبَرْقَ فَالْأَحْبَابَ صَلَّيْتُ بِحُرُوفٍ عَجَابٍ
صَبِغَ لَجْوَابِي عَالَجِينَا بِالزُّورَةِ يَا لَرِيمِ حَجُوبِي

القياس الرابع : "الشهادة" ل: بنسليمان

يَا صَاحَ زَارِنِي مَحْبُوبِي يَا مَسْ كُنْتُ صَائِمٌ
مَهْجُورٌ كُنْتُ مَدَّالِي
شَهْدَةٌ قَطَعْتُ وَجَنِيْتُ الْوَرْدَ كَالْوِ كَلَيْتَ رَمَضَانَ
يَا حَبِيبَ الْخَاطِرِ يَاكَ الْمَرِيضُ يَقْطُرُ ؟

القياس الخامس : "طامو" لعبد القادر العلمي :

طَامُو يَا بَهِيجَتِ الْخَدَادَةِ يَا لِحُرَّةِ الْمُنْكَادَةِ يَا غَايَتِ التَّمْجِيدِ
دِيرِي لِعَاشِقِكَ مَرَانُو يَنْكِ بِكَ كُلَّ حَسُّودِ

القياس السادس : "قاضي العشاق" ل: التهامي المدغري .

أَقَاضِي قِصَّةَ جِرَاتِ لِي مَعْتَاهَا
مَحْبُوبٌ لِيكَ دُعَانِي
مَا جِرَاتِ لِحَدَفَ : نَاسٌ لِفَرَامِ
وَحَلَفَ لَاهْتِنَانِي

القياس السابع : "خندوج" ل: بنسليمان .

من يوم ريتها دراجة
وناطلوع هلالها نرتجى
ماوسنت داجي
رانا في عار للاخندوج

القياس الثامن : "المحبوب للحاج فضول .

محبوب القلب زارني يامس ياعشراني
وأصَلَّنِي الرُّسَامَ وَنَكَى جَمَعَ الرُّقَبَابِ

صَايِلْ مَايْنِ قَرَانُو سِيدِي بُووَجْنَة مَنَكَلَة

القياس التاسع : فارحة ل : التهامي لدغري

دَاسِينِي تَحْتِ الْخَلَالِ بَيْنِ دَرُوعِكَ لَمَلَاخِ وَاللُّبَّةُ وَالسُّدُوحُ
وَنَهَيْدَاتِكَ تَفَاحَة خَفْتُ ايشُوفُونِي عَيْنُكَ يَجْرَحُونِي يَا فَارْحَة

القياس العاشر : الدواح لابراهيم السوفاني .

دُوحُ غَزَالِي طَـــــــحُحُ مَن جِيبي فِيهِ صَلَاحِي
كَيْفَ اَنْدِيرُ إِلَى اَتْسَالِنِي مَوْلَاتِ الدُّوحُ حَبِيبَة قَوْتِ الرُّوحُ

هذه عشر نماذج من "قياسات لمرا الرباعية" اثبتتها للدلالة على القياسات الرباعية الحقيقية . والتي هي غير متوازية الاشطار

طبعاً لم أسجل كل قياسات لمرا الرباعية ، لاتفادي التطويل ولم أشير إلى القصائد التي هي على وزن القصائد التي هي على وزن القصائد التي أثبتتها والتي تعد بالعشرات .

"لمرا الخماسية وقياساتها"

لمرا الخماسية هي "لمرا" الاخيرة في "ملحون الابيات" الشعر العمودي في الملحون وقياسات لمرا الخماسية هي آخر قياسات هذا القسم من اقسام الملحون الثلاثة :

1 - لمبيت 2 - مكسور جناح 3 - السوسي

فبالمرمة الخماسية وقياساتها ننهي قسم "لمبيت"

القياس الاول فيه للجيلالي امتيرد "الطير المفقود"

طِيرْ اَمْشَالِي وَلَا عَرَفْتُهُ فِينْ مَشَى سَابِغِ الْاَشْفَارْ
فَدَفَدَ بَجَوَانَحُو وَطَارْ تَجْمَعْنِي بِهِ يَا الْمَوَالِي
طَالَتْ بِالْوَحْشِ غَيْبَتُو

وجاء التهامي لدغري ، فكتب فيه "فارحة المنشوية" ولكن بالتزام تام بالقافية في كل شطر من الاشطار الخمسة التي يتكون منها البيت الواحد

سَلَّتْكَ بَبْهَاكَ يَا الرَّايِحَ مَا لَكَ سَكْرَانْ دُونِ رَاحِ
وانا عقلي معاك راح بَايْتْ مَن لِيَعْتَ الْجَرَايِحَ
سَاهَرُ وَالنَّاسُ رَايْحَة

ثم عاد وكتب فيه وينفس الالتزام : "زايدة"

أَنَا الْمَشْرِي بِلَا مَزَايِدَ وَاللَّائِمَ فَا : الْمَلَامَ زَادَ
بِمَلَامُو حَرَمَنِي الزَّادَ كَفَ اللُّومَانِ لَيْنَ زَايِدَ
يَبْلِيكَ بِحُبِّ زَايِدَةَ

وكتب الشعراء الكثير في هذا القياس وبالالتزام تام بالقافية في سائر الاشطار الخمسة ، لكن عندما جاء الحاج ادريس تساهل في القافية ... وعاد با "القياس" الى نمط "الطير المفقود" للجيلالي متبردا .

أَنَا فِي عَارِ قَامَتِكَ يَا رَأَيْتَ الْهَمَامَ فَا : اللَّطَامَ
لَوْجِبَةِ لَا لِلَّ الطَّامَ رَفَقِي بِي وَحَنَ وَعَطَفَ
يَا أَبُو نُوَاحٍ فَاطِمَةَ

الشطر الاول لا يخضع لقافية ، وكذلك الرابع

وعلى هذه الشاكلة عاد فكتب فيه :

أَسَادَتِي أَوْلَادَ طَطَّةَ بَرَضَاكُمُ عَالِجُوا الْحَالِ
يَا نَاسَ الْجُودِ الْإِفْضَالِ أَنَا فِي عَارِ لَالِ
فَطِيمَةَ الزَّاهِرَةِ الطَّاهِرَةِ

بل هنا تساهل أكثر فاكتر على كل حال لا أريد أن أستمر مع هذه الاشياء التقنية التي قد لا تهتم بها الا قلة قليلة من الناس وأكتفي بهذا الجرد لقياسات لوما الخماسية .

القياس الثاني من لومة الخماسية

هَاجُوا الْإِفْكَارَ اللَّائِمَ يَبْلِيهِ يَبْلِيهِ بِالْهَجَرِ مَنْ لَا ذَاقَ الْحُبِّ مَا عَذِرَ
جَايَحَ نُونِ قَرَارَ مَا هَزُو رِيحِ جَمَارَ زَاْفَرَةَ

السلوانية لبلقاسم ، وفيه أيضا قامت لَعْلَامَ وقصائد أخرى

القياس الثالث فيه لابن علي : "خروج"

يَا قُمْرِيَّةُ لَبْرُوجُ يَا يَقُوتَةُ فِي تَاجُ يَا الرِّيمُ خَدِيجَةُ

زُودْنِي يَا نَعْتُ الدَّرُوجُ يَا بُوَسَالْفُ خَنُوجُ

القياس الثالث من "لرما الخماسية" فيه للكنوز "الرقاس"

عَوْلُ يَا رَقَّاسُ بِالرُّضَا وَحَتَّالُ لُوصُولُ بُوَشْفَرُ قَتَّالُ لِيهَا حَتَّالُ

حَسَنُ بَهَاها الْعَانَسُ الْبَتُولُ مَالُومَثِيلُ

بهذه "لرما" نكون قد تعرفنا على شكل الملحون العمودي ، ويسمى "لمبيت" بقي لنا أن نتعرف على شكل كل من القسم الثاني "مكسور جناح" والقسم الثالث "السوسي" لنفرغ من الشكل ، وننتقل إلى المضمون ، ونبدأ بـ : "مكسور جناح" إنه لون من ألوان فن الملحون ، أشبه ما يكون بالشعر الحر أو الشعر المرسل في عصرنا الحاضر ، لا يتركب من أبيات كما هو الشأن في الملحون "لمبيت" وكما تعرفنا عليه فيما سبق ، بل أن كل قسم من أقسام قصائده وكأنه بيت بذاته ، فهو أي مكسور جناح ، وحدة عروضية تشمل المقطع الشعري كله .

"شكل مكسور الجناح"

الْحُبُّ وَالْهَوَى وَالْعَشْقُ وَنَارُ الْغَرَامِ

مَنْ حَالَتْ الصَّبَا فَ : غَضَايَا قَامُوا

كُلُّ وَاحِدٍ دَارَ مَقَامُ

ف : مَهْجَتِي وَضَحَى بِحَسَامُ

امعَا اسْهَامُ

هنا ينتهي مكسور جناح ، إذ أن ما سيأتي بعده هو من الشعر العمودي "لمبيت"

يَطْعَنُ وَيَزِيدُ فَ : الْجَرَّاحُ اَعْدَامِي فِي غَرَادَ هَذَا الدَّامِي

غَيْرُ مَلَكْتُ عَقْلِي بِجَمَالِهَا وَغَلَقْتُ عَنْوَةَ بَابِ الْمَرَاخِمَةِ

وكذلك لازمة القصيد ... لابد وأن تكون من الشعر العمودي "لمبيت"

رَحْمِي يَا رَاحَةَ الْعَقْلِ تُرْحَامِي مَنْ جَفَاكَ طَالَ سَقَامِي
كَيْفَ نَبْقَى حَايِرَ وَنْتَ مُسْلِيَّة رُوْفِي يَا لُغْزَالَ فَاطْمَةِ

فمكسور جناح إذن ... يتحرر من سائر قياسات لمومات السالفة الذكر ، ويتخلّى عن رتابة القافية الثابتة ، لكن في البداية فقط ، أما النهاية : نهاية كل مقطع ، لابد من الرجوع إلى الاصل ، هكذا :

عَيْنِيكَ زُوجَ كِسَانٍ مِنْ عَتِيقِ الْمَسَامِ
مَنْ ذَاقَ مِنْهُمْ شَيْءٍ يَصْبَحَ هَايِمَ
وَالْعَطْرُ فَ: الْخَذَ النَّاسِمَ
وَرَدَّ عَكْرِي تَحْتَ صَوَارِمَ
فَاحَ نَاسِمَ

وَالْمَعْطَسُ طَيْرٌ طَارَ لِي بِمَنَامِي بَيْنَ الْوَرْدِ مَسَامِي
وَالسِّنَانُ صَفَا مِنْ حَبِّ الْغَمَامِ وَالْجِيدُ غَزَالَ خَشَى مِنَ الرَّمَا

هذا مقطع من قصائد مكسور جناح ... بدايته تحرر من الوزن الرتيب والقافية الثابتة ، ونهايته رجوع إليها معا . وسوف لا أكتفك قارئ الحبيب أن هذا الوزن الثلاثي - سواء الذي في آخر المقطع أو الذي في اللازمة .

رَحْمِي يَا رَاحَةَ الْعَقْلِ تُرْحَامِي مَنْ جَفَاكَ طَالَ سَقَامِي
كَيْفَ نَبْقَى حَايِرَ وَنْتَ مُسْلِيَّة رُوْفِي يَا لُغْزَالَ فَاطْمَةِ

هو قياس " من قياسات " لمرما الثلاثية .. ولقد كتبت فيه قصائد وقصائد قبل أن يتحول إلى " مكسور جناح " ... بل قياسات كثيرة تلك التي تحولت إلى " مكسور جناح " من كل لمومات التي استعرضناها معا فيما سبق .. من ذا الذي يصدق أن " لغزيل " للسي التهامي هو على وزن " جل الصلا مهدية " للنجار ؟ ... حتى أهل ملحون العصر الحاضر لا يعرفون مثل هذه الدقائق .

اقرأوا معي هذا المقطع من قصيدة لغزيل ل : التهامي لدغري لنلاحظ جميعا ... كما لاحظنا ونحن نقرأ ذلك المقطع من فاطمة للحاج ادريس ... أن بداية المقطع مكسور جناح ونهايته قياس من " لمرما الرباعية " يعرف بقياس : " جل الصلا مهدية "

حَالِي اَعْلَا الْغَزِيلُ يَا لَايْمَ نُونُ حَالُ
 سَهْرَانِ طُولُ دَاجِي نَرْتِي مَنَحُولُ
 فِي غَلَالِ هَوَايَا مَوْحُولُ
 سَاخَفِينِ غَضَايَا لَاحُولُ
 عَادَمَ الْحُولُ
 مَنَحُولُ كَمَ مِنْ حَوْلُ
 فِي حَالَتِي اَمْبَدُّ
 غَيْرُ اَسْـؤُولُ

الى هذا العد ، وينتهي جانب " مكسور جناح " من المقطع ، ويبدأ ما يسمى "الروح" أي الرجوع الى الاصل ، الى الشعر العمودي :

عَلَى الْغَزِيلِ يَتَشَرَّغِي بِالصَّنُودِ عِيَانِي	بَاقِي صَفِيرُ نُونُ صَنِيَامُ أَوْغْطَلَانُ
خَلَانِي خَلَانِي هَمِيمُ هَايْمَ عَقْلِي مَشْطُونُ	وَحَلَاقِي مَذْهِيَّةُ
السَّايِلُ شَافَتْ عَيْنِي غَزِيلُ سَبَّـانِي	اشْعَلْ فَ : الْحَشَا نَارُ اِبْلَا دُخَانُ
مَبْقَانِي مَبْقَانِي اَعْلَا لَهِيْبُ الْخَدِّ الْمَكْنُونُ	وَالْعَيْنُ السَّرْدِيَّةُ

وهذا الوزن هو من أوزان ، أي من قياسات لمرما الرباعية ، وفيه قصائد كثيرة من بينها "جل الصلا مهدية" واثبتت لازمتها هنا قصد المقارنة .

اعْلَا النَّبِي مَزْدِيَّةُ وَعْلَا الْاَزْوَاجُ وَأَنْصَارُو	وَعْلَا الْاَسْبَاطُ وَعْلَا الشُّرَفَا الْاَحْرَارُ
وَعْلَا الزُّهْرَا بَنَتْ الرَّسُولَ وَعَالِي هَزَامُ الرُّومُ	جَلَّ الصَّنْـلَا مَهْدِيَّةُ

على كل حال "مكسور جناح" هو لون من ألوان التطوير التي وقعت في الأوزان العمودية الرتيبة . وأرى شخصيا أن هذا أول تغيير يقع على الأوزان التقليدية القديمة فيكسر فيها رتابة الوزن من جهة وينقلها من قافية ثابتة الى قافية متحركة من جهة ثانية ، كان ذلك في عهد "بوعمر" وهو القائل :

"الاشعارُ ف : لَعْقُولٌ لِطَيَّارُ"

وَالْقَفُوزَةُ ف : الْقَافِيَاتُ"

و"المَرَمَاتُ"

او "الاقْيَاسَاتُ"

على أن هذا التحرر الكامل الشامل الذي دعى إليه بوعمر ، لم يقبل عليه الناس برمته ، فكانت هذه الوحدة العروضية التي تشمل ماهر مكسور جناح من كل مقطع ، وكانت هذه القافية المتحولة أي التي يسمح للكاتب بتغييرها متى شاء ، إنما لا بد من أن تكون على كل حال ... وشروط منها أن لا تخرج لازمات مكسور جناح على مرمات الشعر العمودي : "لبيت" وكذلك الرواح ... أي نهاية المقطع ... ومنها أن لا تنتهي القصيدة من مكسور جناح إلا ب ... "سارحة" ... والسارحة كما سيأتي الحديث عنها هي مجموعة أبيات على وزن اللزامة لا تقل عن عشرة أبيات ، وقد تبلغ المائة بيت ... ومنها ... ومنها .

وهكذا لم يتحرر الملحن من قيوده القديمة كما أراد له "بوعمر" وإنما "زاد قيدين على قيود" كما قال "متيرد"

وقد جاء بعد أزيد من مائة سنة مرت على ظهور "مكسور جناح" ، وسيأتي معنا ذكر "متيرد" إذا ما وصلنا إلى "السوسي". وعندي أن الجيلالي متيرد أحس بتجربة بوعمر ، وصِلَتْهُ وَتَفَاعَلَهُ معها ، وعقد العزم على إحيائها، بل وفعل، كما سيأتي بيان ذلك في معرض الحديث عن "السوسي" . أما الآن ، فلا يزال أمامنا تصنيف "مكسور جناح" فتعالوا بنا إليه .

سبق القول أن من شروط طبيعة العمل في قصائد ... مكسور جناح أن لا تخرج اللزامة عن "مرمات" الشعر العمودي في الملحن ... وكذلك نهاية كل مقطع ونهاية القصيدة أيضا والمتتبع للقصائد مكسور جناح ، لا بد وأن يلاحظ أن سائر مرمات الملحن العمودي حاضرة في مكسور جناح ، بل لا يمكن تصنيف قصائد مكسور جناح ، إلا بواسطة ، ومن خلال اللزامة "رواح لقسم" والسارحة ، أي الجوانب الخاضعة للوزان القديمة .

أما ما تحرر منه فقد تحرر وأنتهى أمره .

ولكي لا أطيل ساكتفي بتقديم نموذج أو اثنين فقط من كل "مرما" من "مرمات" مكسور جناح .



* لمرما المثنية *

فيها قصيدة " عيشة " لابن علي :

اللازمة صدر وعجز .. أي " فراش وضطأ " على حد تعبير أهل الملاحون :

★ مَالِكُ يَا لُفْرَازَ تَائِيهَا وَعَلَّاشُ أَخِيَّتِي وَفَاشُ ★

★ بَيْنَ الْبَارِحِ وَالْيَوْمِ طَالَتْ الْغَيْبَةُ يَا عَيْشَةُ ★

هذه هي اللازمة ، وهي كما لا شك لا حظ القارئ الكريم ...

من أوزان الشعر العمودي ... لكن عندما يبدأ المقطع يبدأ بوحدة عروضية ، هكذا :

- مَاكَانَ لِي فُ : ظَنُّنِي لَوْ تَفَرَّقْنِي نَعِيشُ .

- صَبَرْتُ مَا كَفَى وَقَوَى تَشْوِشِي .

- حَالَتِي لَا حَالَةَ رَأْشِي .

- هَكَذَا نَبَغِي لِلْوَاشِي .

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور جناح من المقطع ، ليبدأ الرواح ... والرواح هو الرجوع إلى الاصل .

★ بَعْدَ أَنْ كُنَّا لَامَةً مَعَاشِرَةً وَحَنَّا زَوْجَ عَلَى فَرَّاشُ ★

★ نَسِيتِي لَمَحَبَّةِ السَّابِقَةِ وَاللِّي فَاتَ مَشَى ★

★ مَالِكُ يَا لُفْرَازَ تَائِيهَا وَعَلَّاشُ أَخِيَّتِي وَفَاشُ ★

★ بَيْنَ الْبَارِحِ وَالْيَوْمِ طَالَتْ الْغَيْبَةُ يَا عَيْشَةُ ★

ومن هذه لمرما أيضا " غيبة للحاج إدريس " :

- أَلَا لِلْأَغْوِيَّةِ حُبُّكَ وَهَوَاكَ سَاكُنِ الذَّاتِ

- الذَّاتُ فَانِيَّةٌ مَا تَقْوَى لِلْتِيهِ

- وَالْعَقْلُ بِغَرَامِكَ حَزَنِيَّةٌ

- لَأَشْ عِلَّ لَجَمَارَ رَمِيَّتِيه
- رَحْمِيه بِقَبْلَةٍ يَا الْهَاجِرَةَ قَبْلَ يَفُوتِ الْفُوتُ
- يَاكَ تَعْرِفِيهِ الْأَلْعَائِيْدُ عِنْدَكَ مَ—وَرُوثُ
- حَاضِي شَرْطُ الْأَدَبِ لَيْسَ يُ—وَتَا
- اَرْضَاهُ فِي رِضَاكَ وَهُوَ قُوَّتُهُ مَعَاحِيَاثُ—و
- تِيهِي وَتِيهَكَ اَيُّوَاتِي
- بِشَهَادَتِ الْقَدِيْدِ وَالْغَبَةِ وَالْجَبِيْنِ وَالْقَبِيْتِ

— اللازمة —

★ قُولُوا الْاَلَاغِيَّةَ مُوَلَاتِي ★
★ جَدُّ بُوَصَالِكَ عِلَّ لَعَشِيْقُ يَامُ الْغِيْثِ ★

* لِرْمَا الثَّلَاثِيَّة *

اختار لمكسور جناح من "لرما الثلاثية" .. قصيدة مليكة للحاج احمد الغرابلي :

- اللازمة :

★ اَرَايَةُ الْمَلَكَةِ يَا مُوَلَاتِي الْمَالِكَةِ ★ لِيكَ الْعَبْدُ وَكُلُّ مَا مَلَكَ ★
★ لَا لَنَا مَلِيكَةَ حَمَايَةِ الْمَلِيكِ ★

جانب مكسور جناح من المقطع :

- يَا مَنْ طَلُوْعُ ——— نَلَاكَ
- يَفْجِي ظِلَامَ الْاَخِ ——— لَانَ
- نَحْكِي شَمْسُ ——— لَفَلَاكَ

- لَهْ جُودِي بُوَصَاكَ

- تَنَكِّي بِزُودَتِكَ عَدَاكَ

- لَنِّي غَلَامٌ حُسْنٌ جَمَاكَ

- قَبْلَ الصِّيَامِ يَا مَلِيكَةَ وَأَنَا غَلَامٌ مَمْلُوكٌ

- وَمَنْ الْفَرَاقُ مَهْلُوكٌ

الرواح ... أي الرجوع الى الاصل ... إلى أوزان الشعر العمودي

★ إِلَى تَزُودَنِي تَتَعَاثَا ذَاتِي الْهَالِكَةَ ★ لَوْ تَجَفِّي قَلْبِي يَوَاصِلُكَ ★

★ وَيَلَا دَرْتِيْنِي بَقَى الْعَارُ عَلَيْكَ ★

* لمرما الرباعية *

نختار لهذه "لرما" كنموذج "خنانة" ل : لعبابي

★ قُولُوا لَخَنَانَةَ يَا ثَرَى ف : الْعَاهِدُ تَبْقَايُ ثَابِتَةٌ ★

★ مَنْ صَانَتْ بِجَمَالِهَا حَيَاتِي ★

★ رَاحَتْ رُوحِي الصَّائِلَةَ عَلَّلَ لَبَنَرُ بَنَعُوتُ ★

هذا الوزن كما هو الشأن في كل قصائد مكسور الجناح ... وكما سبقت الإشارة الى ذلك ... كانت فيه قصائد عمودية كثيرة قبل أن يطرأ عليه هذا التفسير الجزئي ويتحول الى مكسور الجناح ..

من القصائد الاصلية "المرسم" لابن علي ولد أوزين :

★ أَنَا وَالْمَرْسَمُ يَا حَمَامَ مَنَالَتْنَا ف : الزَّهْوَانْتُ ★

★ الْمَرْسَمُ يَبْكِي عَلَى الشَّمَاعَةِ ★

★ وَنَتَّ تَبْكِي عَلَى النَّثَا وَأَنَا عَلَّلُ لُفْرَاَلُ ★

هكذا كان شكل هذا الوزن ، أبيات رباعية الاشطار ، من بداية القصيدة الى نهايتها ، لكن عندما تحول الى "مكسور جناح" أصبح على هذا الشكل :

هذه هي اللازمة ... وعلى وزنها الخماسي الاشطار قصائد كثيرة ولكنها في مكسور الجناح تتحول الى هذه الشاكلة .

- مَا كَانَ لِي فَا ظَنِّي يَنْعَمُ لِي بِا الْعُطُوفِ

- وَنَافَ مَا مَضَى قَصْرَتْ فَا : حَقُّو

- وَلَا عَرَفَتْ فَا : يَوْمَ بَحَقُّو

- وَلَا عَطِيتُو شَيْ مِنْ حَقُّو

- جَا السُّاقِي

- جَاوَا اَرْقَا قِي

- عَلَى ثَقَا قِي

وللبقية مفهومة مما سبق ... يختم المقطع ببيت خماسي الاشطار على وزن اللازمة ، وبه يعود الى الاصل ... هذا هو مكسور الجناح ... مجرد تغيير طرا على بعض الاوزان الاصلية ... فاكسبها بعض الخفة والرشاقة ...

واستمرت الكتابات في المدرستين معا : مدرسة الملحون العمودي ومدرسة مكسور الجناح الى أن جاء الجيلاني لمتيرد في عهد الملك العلوي سيدي محمد بن عبد الله ... ففعل مثل ما فعل "بوعمر" أي حاول تحرير الكتابات الملحونة ليس من قيود الوزن الرتيب والقافية الثابتة فحسب ، ولكن من قواعد مكسور الجناح أيضا فهل نجح امتيرد فيما فشل فيه بوعمر من قبل ؟ أبدا ... بل أضاف بمحاولته تلك ... مدرسة ثالثة اصطلح الناس على تسميتها فيما بعد بالسوسي ...

☆ حَرَّازُ كَافَرُو نَصْرَانِي ☆

☆ شَتَوَى وَصِيفَ كَايْرَعَانِي ☆

حَاضِي حَرِيسَ ، كُلَّ مَا كَانَتْنِي يَرِييُو ، وَخَزُوبُو عَدَاوَا عَنْ خَزُوبِي وَالْبَابَ اللَّي افْتَحَتْ لِيهِ ايسَنُو .
حَرَامَ مَا ابْغَايْتَعَامَا . حَتَّى حَبِيبُ مَا هُوَ عَنَّا . مَتْلِي .. يَكْرَهْنِي مِنْ قَلْبُو وَجَوَارْحُو وَدَاخِلْ دَاتُو
وَيْلَا ايشُونِي يَتَكَحَّلْ بِمَحَاوَرِ الْعَمَا وَيَزِيدْ كُتُوبَ اَوْتَفَاقْ وَتَوَالِي تَقْلَ مِنْ الرِّصَاصِ عَنَّا ، شَوْفَا
وَحْدَا يَكْرَهْنَهَا فَا : خِيَالِي ... يَسْقَلْ جِبْهَتُو ... يَعْكُذُ الْعَبْسَا فَا : خَلَقْتُو ... وَيَوَالِي قَلْبُو ظَلَامَ
وَأَقْسَى مِنْ صِلَا الصَّمِّ لَيْسَ يَرْطَابُ وَلَا يَلْيَانُ ... مَا يَحْنُ وَلَا يَشْفَقُ مِنْ عَيْيدِ رَبِّي .. وَعَرَفْتُو مَنْ
زَمَانَ دَامَرَ مَتَعَادِي مِنْ سَلَاَتِ الْكُفَّارِ .

اللازمة

حَرَازُ لَا لَلْأَرْسَامُو جِيثُو قَلْبُو نَصْرَانِي كَيْفَ عَارَفُو غَدَارُ بَاقِي سَلَالَتِ الْكُفَّارُ . هكذا أنشأ الجليلي امتيرد هذا النمط من فن الملحون .. وهكذا كتب فيه كل الذين جاؤا من بعده

بدا الشاعر المقطع بيت شعري موزون مقفى :

★ حَرَازُ كَافِرٌ وَنَصْرَانِي ★

★ شَتَوَى وَصِيفَ كَايْرَعَانِي ★

هذا البيت الاول من كل مقطع .. في كل قصائد هذه المدرسة .. دائما على هذا الوزن .. لكن ماسيأتي بعده ما هو إلا نثر نعم فيه سلاسة ... ولا يتمتعر انسيابه ، وبين الفاظة تناغم، ولكنه لا يخضع لنغمات إيقاعية تركيبية معينة كتلك التي في الملحون العمودي، ولا لوحدة عروضية متفق عليها، كالتى في مكسور جناح ... اللهم إلا ما كان من مطالع المقاطع وخواتمها .. ونهاية القصيدة ولازمتها فلا بد لكل ذلك من أن يكون من الملحون العمودي ... تماما كما هو الحال في مكسور الجناح ، وكما سبق تبيانته ، بل لا يمكن تصنيف قصائد هذه المدرسة : مدرسة السوسي ... إلا بانتساب اللازمة ...

قد تكون اللازمة ثلاثية ... فتتنسب إلى "لرما الثلاثية" وقد تكون رباعية ... فتتنسب إلى "لرما الرباعية" وهكذا ... فمثلا كنا مع الشاعر الذي أنشأ مدرسة السوسي في أول حراز كتبه فيها ... وكانت اللازمة هكذا :

★ حَرَازُ لَلْأَرْسَامُو جِيثُو نَصِيبُ قَلْبُو نَصْرَانِي كَيْفَ عَارَفُو غَدَارُ ★

★ بَاقِي سَلَالَتِ الْكُفَّارُ ★

فهى إذن تنسب إلى "لرما المثنية"

وفي "الزطمة" وقد كتبها على نفس النمط .. أي في المدرسة الناشئة : مدرسة السوسي ... نجد أن اللازمة ثلاثية أي تنسب إلى : "لرما الثلاثية" .

★ جَانِي بَشَارُو جَانِي يَاكَ عَطَانِي صَحَّتْ الْخَبَارُ أَوْيَشْرُنِي بِالْوَصَالُ ★

★ هَاهُوَ صِيْفَطُ لِي كِتَابُ ★

هذه هي لازمة الزطمة ... أما المقطع ... فهو ككل مقطع من كل قصيدة في هذه المدرسة مدرسة السوسي

★ هَاهُوَ صِيْفَطُ لِي كِتَابُ ★

★ مَحْبُوبِي صِيْفَطُ لِي كِتَابُ ★

☆ قَرَيْتُو نَجْبَرَفَ : الْجَوَابُ أَمَحْبُوبِي يَا رُوحَ رَاحَتِي : يَا مَنْ لِيكَ الرُّوحُ شَايِقَةٌ ☆

حِينَ أَيُوصَلُكَ . يَا رَبِّيعَ قَلْبِي . مَرَسُولِي قُمْ ... لَا تَغَيَّبْ ، وَاجِبِي حَتَّى

أَنْشَأْ هَذَكَ وَتَشَاهِدَنِي ، بَارَتَ الْحَيَالُ أَبْدَيْتَ أَنْخَمَّ ..

وهكذا ... وهكذا الى أن ينتهي المقطع ب : "الروح" أي بالرجوع الى الاصل ... الى الوزن والقافية ... بعد أن كنا مع النثر الفني الجميل السلس ... الذي لا يخضع في انسيابه لا لوزن ولا لقافية ... ولا تطوره إلا تقطيعات النطق السليم ، وكيف ينبغي أن يكون في فن القول الدارج ... وهذا ما نسميه في حضيرة الملحون "لفصالة" أي ... فن الالقاء ...

وكنتي بالجيلالي امتيرد رحمه الله .. كان قد رأى بفراصة المومن أن شاعر الملحون ... سيتحول مع السنين والاعوام ... الى ذلك المثقف العضوي الذي ينقل المعرفة من مبدعيها ... ليوضحها ، ليبسطها ... وبالتالي لينقلها الى عامة الناس ... بلغتهم ، بتعبيراتهم بما عرفوا من معاني ، وما ألفوا من تمثلات ... ولذلك ابتكر جازاه الله بكل خير - هذا النمط الذي تيسر معه الحكيم ، واستقام به السرد ... وتجمع لنا فيه مع مرور الايام ، والسنون والاعوام ... الشيء الكثير والكثير جدا جدا من ألوان المعرفة وفنون الثقافة ... كما سيلمس القارئ الكريم في فصل المضامين .

نعم إن الجيلالي امتيرد أراد لهذه المدرسة "مدرسة السوسسي" ، غاية اليسر ، ومتمته البساطة ... فانت لا تجد داخل المقطع أي أثر للقافية لا ثابتة ولا متحركة ... بل وحتى السجعة لا يقبلها إلا إذا كانت عطوية ، تأتي من تلقاء نفسها ... أما أن تبحث عنها ... وتجري وراءها فلا . لكن الذين جاؤا بعد الجيلالي امتيرد حتى الآن ، فعلوا في هذه المدرسة : مدرسة السوسسي ، مافعله الذين كانوا قبل الجيلالي امتيرد في مدرسة مكسور جناح .

كما سيلاحظ القارئ الكريم من خلال النصوص الكاملة ... التي سننشرها بين يديه في فصل المضامين ، والتي سنراعي في اختيارها أن تكون مستوعبة لكل اشكال ... وأنواع ... وألوان ... المدارس الثلاث "لبيت" "مكسور جناح" "السوسسي" وحسبي الآن أن أسجل أن مدارس الملحون الثلاث ، قد اكتملت تشابها ، وبدأت مدارج الترقى ، على عهد السلطان العلوي المصالح المصلح ، سيدي محمد بن عبد الله ، أي أن كل الذين جاؤا بعد هذا العهد ... عهد سيدي محمد بن عبد الله الى يوم الناس هذا ، وإن كانوا ابتكروا وأبدعوا ، ولونوا ونوعوا ، فمن داخل هذه المدارس الثلاث ، "لبيت"

"مكسور جناح" "السوسسي" ووفق أصولها وقواعدها .

نعم توجد مدرسة رابعة .. هي مدرسة الاغنية الملحونة ... وليس القصيدة الملحونة ... الاغنية .. المقطوعة الخفيفة التي تقتصر الى أن تصل في أدائها الى دقيقتين ... وإذا طالت فلا تتعدى الخمس أو الست دقائق .. إنها "السراية" ورحم الله من أطلق عليها هذا الاسم : "السراية" فهي سرب من الاوزان يتلاحق بسرعة فائقة وفي انسجام بديع رائع ... ومع أنني لا أريد أن أجهضها بإشارة عابرة في هذا الكتاب الذي أردته للقصيدة الملحونة مبنى ومعنى وليس للاغنية ... مع ذلك أضع بين يدي القارئ نموذجا أو إثنين من هذه "السرايات" أي الاغنيات الملحونة ... على أن أفرد لها ماشاء الله من صفحات بعد فراغي من هذا الكتاب مباشرة ... وسيعلم الناس أن عاجلا ، أو أجلا أن الاغنية الملحونة التي كتبت قبل ما لا يقل عن ثلاث مائة سنة هي

أحسن بكثير مما يكتب اليوم ... بل لا وجه للمفاضلة ، أو المقارنة بين الاغنية الملحونة القديمة ، والاغنية الشعبية المعاصرة

★ اعْلَاشْ أَمَحْبُوبْ خَاطِرِي تَجْفِينِي ★

★ الْجَافِينِي وَعْلَاشْ الْجَفَا ★

★ حَبِيبَتِكَ مَنْ خَاطِرِي وَلَا رَدَّتْنِي ★

★ وَلَا وَصَلْتَنِي قَاصِيتْ مَا كَفَى ★

★ خَالَفْتِي فَ : الْوَعْدَ بَاشْ وَأَعْدَتْنِي ★

★ وَكَأْتَمْنِي يَا شَارِدَ الْعَفَا ★

قَالَتْ نَاسُ الشُّعْرُ قَوْلُ وَأَفِي

زَيْنَ بِلَاتِيهِ صُورَتُو تُعْدَا فَ

وَالْخَيْرُ صَاحِبُو يُعْرِافُ

★ عْلَاشْ ؟ عْلَاشْ ؟ عْلَاشْ ؟ يَا الْجَافِي ★ رَدَّتِي قَلْبِي شَغُوفْ ★

★ مَا ظَنَنْتُكَ بِالْخَيْرِ مَا تَكْـفَا فَي ★ يَامَسْرَاجَ الْحُرُوفْ ★

★ وَاللِّي نَاوِي بَزِيَارَتُو يَوَافِي ★ مَا كَايَرَتُو الْخُوفْ ★

★ خَلِيتِي عَيْنِي مِنَ الشَّفَقِ شَوَّافَا ★ نَعَايْنُ الرَّافَةِ ★

★ مَنْ صَاحِبِ الْعَفْوِ ★

★ يَجْمَعُ شَمْلِي بِكَ خَاطِرِي يَتَعَا فَا ★ الضَّرِيَّتْ شَا فَا ★

★ رَبِّي يَخَفُّو ★

★ تَكَبَّتْ فَ : اغْضَانُ نَارِكَ النَّازِفَا ★ أَبْدَيْتْ فَ : الْأَفَّةَ ★

★ وَعَدِي نَصْرَفُو ★

★ يَامَا افَوَانِي كَانَرُوجْ كَالْحُوتْ بَلَامَا فِي مَعَاظِنْ وَنَشْفُوا ★

وَبَحْبُكْ الْاَعْضَا سَخْفُ ————— وَ

★ ذَنْبُ الْعَشِيقْ وَاعَرَ مَا زَالَ يَنْوُورِيكَ

★ أَيَا جَافِي خُوفِي عَلِيْكَ —————

★ وَافِيْنِي وَافِيْنِي وَكَمَلْ الْمَقْصُودْ

★ وَاللِّي جَوَادْ يَاكَ تَجْ ————— وَ

★ لِلَّهِ وَاشْ قَلْبُكَ حَجْرَةٌ ، وَلَّ حَدِيدٌ ، وَلَّ زَبْدَةٌ ، كَلَيْتُ بِالْجَفَا وَالْهَجْرَةَ

خَلَيْتُ لِيكَ مَوْلُ الْجُودِ .

هذه هي "السرابية" وهي كما - أسلفت - سرب من الاوزان يتسرب أمامك في انسجام بديع وبسرعة فائقة .. وهذا السرب من الاوزان ... يختار بعناية من كل أقسام الملحون الثلاثة ... لمبيت "مكسور جناح" "السوسي" .. وهكذا فإن كل "سرابية" على حدة، لابد وان تشمل كل مدارس الملحون الأنفة الذكر ... وكمثال لذلك هذه "السرابية" ، فقد بدأ صاحبها - ونحن في حضيرة الملحون - لا نعرف أصحاب السرايات كما نعرف اصحاب القصائد ... ذلك أن أصحاب القصائد يُوقَّعون قصائدهم ، أما أصحاب السرايات ... فلا . ربما استطاع بعض التبهاء التعرف على بعض أصحاب السرايات بأشياء معينة، سوف أشير إليها في فصل المضامين فقلت إن هذه "السرابية" بدأها صاحبها بثلاثة أبيات على وزن من أوزان "لرما المثنية" في الملحون لمبيت ... أي العمودي ... ثم أردف للآبيات العمودية الثلاثة وحدة عروضية، كذلك التي في "مكسور جناح" ، ثم جاء بوزن من : "لرما المثنية" يختلف عن الأول فصاغ فيه ثلاثة أبيات أخرى ، ثم انتقل بنا الى "لرما الثلاثية" في ثلاثة أبيات ... وأردف وحدة عروضية ثانية ... وختم بنثر فني يقوم على السجع .. كما هو الحال في "السوسي"، وقد سبق تبياناه .

لِلَّهِ وَاشْ قَلْبُكَ حَجْرَةٌ ، وَلَّ حَدِيدٌ ، وَلَّ زَبْدَةٌ ، كَلَيْتُ بِالْجَفَا وَالْهَجْرَةَ

وهكذا تكون أقسام الملحون الثلاثة حاضرة في كل "سرابية" ، ومبالغة في الايضاح أضيف النموذج التالي : .. ، وأترك القارئ الكريم يلمس بنفسه هذه الحقيقة : حقيقة أن كل "سرابية" على حدة لابد وان تشير في شكلها الى كل مدارس الملحون الثلاث: مدرسة الملحون العمودي ، "مدرسة مكسور الجناح" ، "مدرسة السوسي" .

وبهذا النموذج أنهى الحديث عن شكل "السرابية" أي الاغنية الملحونة القديمة ، أما المضامين ... أما القيم : الشعرية منها أو التعبيرية ... أما ما فيها من تجارب إنسانية حية ، أما أسراب الصور .. والرؤى .. والخييلة ... فكل ذلك مكانه "فصل

المضمون "وليس" فصل الشكل .

★ شَايِنَ كَتَبَ الْعَالَمَ عَنْ جَبِينِ ابْنِ آدَمَ ★

★ مَا يَمْحِي وَعَدُو مَلَامَ ★

★ قُولُوا لَذَاكَ الْـلَايِمَ سَلَّمَ تَمْشِي سَالَمَ ★

★ مَنْ طَعَنَ سَيُوفَ النِّيَامَ ★

★ مَا يَهْضُوكَ عَوَارِمَ مَا لَسَعُوكَ حَوَارِمَ ★

★ مَا دَقَّتِي كَأْسُ الْقَدَامَ ★

★❖★

★ مَا بَاتَ رَقِيبُكَ مَنْ ضَنَّاكَ خَافَ ★ مَا نَاكِتِي حَسُودَ ★

★ مَا حَزَّتِي بِيَدِكَ سُودَتِ السَّوَالِفَ ★ مَا عَنَّقَتِي نُهُودَ ★

★❖★

- عَايَشَ هَايِمَ -

- وَاهِيَا الْـلَايِمَ -

- يَكْفُكَ الْيُومَ -

- لَا تَعُودَ تَلُومَ -

- وَلَا تَبُوحَ بِالْمَكْتُوبِ -

- أُمَامَنَ امْنَالِكَ لَامُو -

- التَّبَالُؤَا بِالْفَرَامِ وَهَامُوا -

- وَبَقَاؤَا لِلْهُوَى خَدَامُو -

- وَرَضَاؤَا سِيرَتِ حَكَامُو -

- يَسْتَاهِلُوا الْـلَّي لَامُو -

سَعْدَانَتَا نَهَارَ تَجِينَا .. تَوَقَّتَ الْهَلَالُ وَتَزَهَيْنَا .. وَبَطَّاسَتْ

اشْتِيَّةٌ تَسْقِينَا .. طَلَعَتْ الْبَدْرُ مِينَةً .

هذه هي الاغنية الملاحية ، أو "السراية" ، كما سماها الاوائل ... أما طبيعة العمل فيها .. أما الخصوصيات التي تختلف بها عن القصيدة ، فذلك مااستغرق إليه في الفصل القادم إن شاء الله ، أما الآن .. فتعالو بنا لنعالج ما تبقى لنا من شؤون الشكل في فن الملاحون "مطيلعات" مثلا . أو "عروبيات" . أو "سارحة" .. أشياء صغيرة من هذا القبيل ولكن لابد من التعريف بها ولو باختصار شديد لأنها تمس الشكل في جوهره .

يقولون : "مطيلعات" ويقصدون بالاصطلاح تلك الابيات الخفيفة التي تتخلل جل القصائد ، وتكون عادة في غير وزنها ... الابيات التي يقصدون بها تكسير الرتابة وتقادي الملل ، هذه الابيات المخالفة لوزن القصيدة ، والتي أرادوا بها الترويح ، حتى لايسأم المستمع ، يجعلونها عادة في بداية كل مقطع من القصيدة ، ومن هنا جاءت التسمية : "مطيلعات" .

نقول بالعربي الفصحى مثلا "مطلع القصيدة" أو "مطلع السنة الهجرية" . جاء أهل الملاحون الاوائل الى لفظ "مطلع" فنطقوه بالتصغير وقالوا : "مطيلع" ، وبما أنهم سوف لا يقصدون به البيت الواحد ، بل أبيات قد تصل الى ثلاثة ... أو أربعة أو حتى خمسة جمعوه فقالوا "مطيلعات" إشارة الى أن هذه الابيات لابد وأن تكون أصغر من أبيات القصيدة وأخف ، وأقدم أثر عثرنا فيه على "مطيلعات" هو للمصمودي ، ويرجع تاريخ المصمودي الى عهد الملك العلوي المولى اسماعيل ...

☆ قُولُوا لِيَا مَنَّةَ تَهْلِيلُ الْعُثْمَانِي ☆ مِينَةً يَا مِينَةً مَعَكَ شَرَعُ اللَّهِ ☆

هذه هي لازمة أقدم قصيدة وجدنا فيها هذه "مطيلعات" ومطلعها :

☆ مِيرَ الْفَرَامِ خَرَقَ حَشَايَا وَدَهَانِي ☆ جَرُّ عَنِي كَيْسَانَ مَن هَمُومٌ بِلَاةَ ☆

☆ حَتَّى حَرَارَ قَوْتِي وَالنُّومُ جَفَانِي ☆ يَأْنَسِي لَأَمَنَ يَفِيدُنِي بِنَوَاهِ ☆

☆ وَاللِّي هَوَيْتَ مُحَالَ يَكُونُ فَوَانِي ☆ بَدَلْنِي بِالْفَيْرِ لَا حَنِي مُورَاهِ ☆

قصيدة المصمودي هاته ، هي على هذا الوزن من بدايتها الى نهايتها ... لكنها وإبتداء من المقطع الثاني تظهر فيها أبيات

... في غير هذا الوزن ... وفي غير هذه القافية أيضا .

☆ صَيِّفَطْتُ لِلْفَزَالِ بَرَاتِي ☆ مَرَسُولِي مَشَى نَهْرَاتُو ☆

☆ قَرَأَهَا حُرُوفَ آيَاتِي ☆ قَبَضَتْ الْكِتَابَ رَمَاتُو ☆

☆ قَالَتْ لَوْ بَصُومُ سَنَاتِي ☆ بِي لَا ضَفْرُفَ : حَيَاتُو ☆

ويعد هذه الابيات الثلاثة ... يعود الى وزن القصيدة وقافيتها .

☆ مَنْ ذَا النَّهَارَ مَا يَتَصَوَّرُ فَ مَكَانِي ☆ وَلَلِّي لَا عَنَدُو بَكِي أَنتَاوِيَاهُ . ☆

..الى آخره

ولكي أوضح أكثر ... أقدم لك المقطع الثالث ب " مطيلعاته " لتكشف بنفسك الفرق بين " لمطيلعات " والوزن الاصلي في كل مقطع من القصيدة :

☆ ف : الْحَيْنَ قُلْتُ يَا مَرْسُولِي ☆ تَرَكَ النَّوَاحَ وَرَجَعَ إِلَيْهَا ☆
 ☆ شَكِي لَهَا .. وَكُنْ فَضُولِي ☆ لَا بُدَّ حَاجَتِي تَقْضِيهَا ☆
 ☆ بَادِرْ لَا تَكُنْ مَلُولِي ☆ وَنَا بَشَارَتَكَ نَعْطِيهَا ☆
 ☆ وَلَلُّ لَعَنَدُولِي بَكْتَابِي ثَانِي ☆ نَقَرُ بَابِ الدَّارِ صَابِهَا تَرْجَاهُ ☆
 ☆ بِالشُّوقِ بَاكِيًا بِالدَّمْعِ الطُّوفَانِي ☆ وَكَتَابِي مَحْلُولٍ فَيَدَهَا تَقْرَاهُ ☆
 ☆ مَرْسُولُ مَا لَكِي قَالَتْ هَذَا جَانِي ☆ أَهْلًا بِسَلَامٍ وَتَائِيَةً لِلَّهِ ☆

ربما أتينا بالنص الكامل لهذه القصيدة عند بحثنا ل : لشعر المراسلة في الملحون " المهم أن "لمطيلعات" ظهرت أول ما ظهرت في العصر الاسماعيلي ... ومن ذلك العهد وهي تتنوع وتترين ، شأنها في ذلك شأن سائر أشكال فن القول في الملحون ، نبحث عنها عند سيدي عبد القادر العلمي ، فنجدها في الساقبي مثلا ثلاثية .

يَا مَنْ دَرَى نَتَلَقَّا بُونَجَلَاتُ غَسَاقَا
 وَكَيُوسُ مَذَامِي يَنْذُقُ
 صَالٌ بَطْنِيعُ شَفَاقَا وَأَطَافَا وَلَبَاقَا
 يَخْجَلُ مَنْ شَوْفُ الرَّمُوقِ
 وَحَنًا زُوجُ رَفَاقَا وَالْخَمَرُ دَفَاقَا
 ف : دَوَاخِلُ غُمُقِ الْغُمُوقِ
 فِيكَ الشُّوفُ غَسَاقَا وَبُوصَالُكَ تَتَرَاَقَا
 رَافَا يَا شَمْسُ الشَّرُوقِ

هذه هي "لمطيلعات" ولا بد أن يفتح بها كل مقطع ... ابتداء من المقطع الثاني من القصيدة ... وهي بطبيعة الحال ليست على وزن القصيدة ... والقصد أن لا تكون على وزن القصيدة ... إذ الغاية منها تكسير الرتابة باستمرار ... حتى لا يتسرب الملل لا للملقي ولا للمتلقي وتحل "لعروبيات" محل "لمطيلعات" في بعض الاوزان ، و "العروبيات" هي على هذه الشاكلة .

هَلْ يَأْمَنُ دَرَى هُمُومٍ قَلْبِي تَجَلَّى لَمَّا يَتَدَرَّقُوا وَجَاعِي وَيَزُولُوا
مَا تَبَقَّى تَاكِبَةً عَلَى قَلْبِي دَبْلًا وَالْقَصْدُ الَّذِي طَلَبْتَ تَضْفَرُ بِوُصُولُوا
نَسْتَيْقِظُ لِلْسُرُورِ مَنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ لَا حَاسِدٌ لَا رَقِيبٌ نَخْشَى مَنْ قَوْلُوا
نَحْمَدُ رَبَّ السَّمَاءِ وَنَسْجُدُ لِلْقَبَلَةِ وَنَقُولُ الْيَوْمَ عَادَ صَادَفَتْ قُبُولُوا
عَانَتْنِي قُوَّتُو وَصَارَخْنِي حَوْلُوا

وبانتهاء "لعروبي" ب : "الردفما" ... أي الشطر المفرد ... يعود الشاعر الى وزن القصيدة الاصيلي :

مَا اِنْتَأَشِي غَايِبٌ نَرْجَاكَ يَا الْجَلِيلُ وَلَمَّا اِنْتَأَشِي عَاجِزٌ تُعَذَّرُ يَا الْمَوْلَى
قَرِيبٌ حَاضِرٌ نَاضِرٌ مَعْطَى حَسَانِكَ جَلِيلُ تَقْدَرُ تَشْفِي مَنْ ذَاتِ الْعَبْدِ كُلِّ عِلَّةُ
الْبِدَانِ ضَعِيفَةٍ وَالْحَمَلِ جَائِرٌ ثَقِيلُ وَالْخَلَائِقُ مَا تُعَذَّرُ حَالُ مَنْ التَّبَلَا

إلى آخر المقطع .

إلا أن "لعروبيات" - وقد استوردتها الحواضر من البوادي وبالضبط من نواحي الغرب - لم تستعمل فقط كمطيلعات خفيفة للتنويع داخل القصائد ، وإنما استعملت أيضا كأوزان لمقطوعات قد تطول الى أن تصل لمائة بيت ، وقد تقصر حتى لا تتعدى البيتين أو الثلاثة ... وهكذا أصبحت "لعروبيات" هي المجال الرائع لصياغة المعنى الجميل ، والتمثيل البديع والخاطرة العجيبة ... ومع أن هذا الفصل لا يبحث المضامين ، وإنما يبحث الشكل ...

مع ذلك لا بد من تقديم نماذج من "لعروبيات" التي تتداول بين الناس وحدها وليس داخل قصائد ... اقرأوا معي مثلاً هذه الخاطرة .

مَنَلْتُ الْعُمُرَ فِي كَلَامِي لِلْكُبَّةِ وَالْكُبَّةُ رَأَتْ زَاوِطُوهَا مُورُ الْخَيْطِ
أُورَاسُ الْخَيْطِ خَرَجُوهُ مِنَ النُّكْبَةِ السَّدَايَا نَاوِيَا فَ : الْغَزْلُ يَشْبِيطُ
مَا فَطَنَاتُ إِمْتَى وَصَلَهَا رَأْسُ الْخَيْطِ

هذا هو "عروبي" ينتهي بانتهااء الفكرة ، أو الفاطرة ... أو الانفعال المفاجئ ، أو الحالة الشعورية الطارئة . لا يجرأ الى مقاطع لا يحتاج الى لازمة ... ليس عليه أن يأتي بعدد معين من الابيات .

تَمَلِّي تَمَلِّي بِصِيرَتِي قَلْبِي يَنْسَخُ مَا فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ طُولُ الدَّاجِ نَسِيخُ
وَالْفَكْرُ قَرَأَومًا قَرَأَهُ بَدَأَ يَرْسَخُ عِلْمُ الْبَشَارِ فِي عَمَاقِي عِلْمِ رَسِيخُ
مَنْ طَلَّ عَلَيْهِ لَازِمٌ يَنْفَسَخُ وَيَسِيخُ

ليس في جبلي من لم يستمع الى هذا الوزن وهو في المهد ، أو على ظهر أمه ، أو في أحضانها .

رَأْرِي رَأْرِي .. يَا سَكَّاتِ الدَّرَارِي سَكَّتْ لِي أَوَّلِيدي ... يَا نَعَمَ الْبَارِي
النُّوْضُ انْشُوفْ لَأَشْ مَحْتَاجَةٌ دَارِي

كان يستعمل هذا الوزن في كل نواحي الغرب ولا يزال ، في توديع العروسة وهي تغادر خيام أهلها متجهة إلى خيام زوجها ... وتتخلله كلمة "يو" وحرف "تا" يتكرر وفق نغمات ايقاعية متفق عليها .

وَأَخِيَمْتُ بُوْكَ الْغَادِيَا خِيَمْتُ بُوْكَ وَأَصْدِيَّتِي خَلَاصٌ وَأَشْ جَرَاوُ عَلِيْكَ

على كل حال استعمل هذا الوزن لهذا الغرض ... كما استعمل للامداح النبوية ، ومناقب الهادي بنعيسى ... ومن أراد أن يستمع الى شيء منه في عصرنا الحاضر ، فليذهب في المولد النبوي الى "مكناس" ويقصد ضريح سيدي بنعيسى ، ويبحث عن حلقات "غريباو" في فناء الضريح ... وسوف يستمع الى إبداعات في هذا الوزن ، وكيف تلقى أصوات شجية من الجنسين تخفقها العبرات ... وتتلاحق فيها الشبهات .

هذا وإن "عروبيات" في بعض جوانبها ، لمن أصدق المراجع وأوثق المواثيق في مجال التاريخ لشعراء الملحن والتعرف على بيئة كل واحد منهم ، وظروف حياته ، وكل ما يتصل به من قريب أو من بعيد .

ذلك لا نهم اختاروا أن يتراسلوا فيما بينهم ، ويسألوا عن أحوال بعضهم ، بهذه العروبيات ، وليس بالقصائد أو السرايات ، بل أن بعضهم جعل من "عروبيات" ... شبه مذكرات ، يسجل فيها الاحداث والوقائع سواء منها التي عاشها هو ... أو التي عاشها غيره ، وشاهدها أو حدثه عنها .

خلاصة القول أن سجل "العروبيات" يبق هو السجل الحافل بأعرب المفاجآت ، وأروع المعاني والتأملات ، وامتد الطرائف ... والمستملحات ... والدعابات ... ويحتاج وحده الى أكثر من كتاب لتوثيقه كما ينبغي .. التوثيق بل أن منظومة واحدة من منظومات المطولة كآبجدية بوخريص ، أو نورانية مرفق تحتاج الى كتاب :

أَلِيفُ الْأَسْمِ الْأَعْظَمُ نَائِرٌ لِلْأَاءِ بِهِ اسْتَفْتَحْتُ قَرَبَ أَمْنٍ هُوَ نَائِي

لَاتَنَّا عَلَّ الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ امْرَأِي

بَالِكَ تَبْقَى فَرِيدٌ بَيْنَ النَّاسِ غَرِيبٌ اتَّغَرَبْتُ يَالْخَوَّ الْغُرْبَا لَغْرِيبًا

وَنَتَامَا بَيْنَهُمْ لَمَوْنَسٌ لَحْيِيْبٌ حَاضِرٌ وَقْتُ فَ عَزَّ حَالَاتُ الْغِيَا

هَبْ نُسِيمُ الصَّبَاحِ بَرَاوِيحَ طَيِّبَا

وهكذا تمضي أبجدية بوخريص من حيث الشكل : حرف الالف بيت واحد ودل حرف الباء بيتين ودل ... حرف التاء بثلاثة أبيات ودل ، وهكذا يمضي الرقم في التصاعد ... الى أن يصل في حرف الياء الى أزيد من ثلاث مائة بيت ... أما مضامين المنظومة فهي لا تكاد تغفل عن أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا ، ولكن بشاعرية رفيعة جدا جدا ...

لكم يعجبني عندما يوظف الامثال العامية في هذه المنظومة الجميلة :

النَّفْسُ الْخَامِدَا اَشْ كَاتَعْمَلْ بِهَا ؟ الْيَدُ الْبَارِدَا عَلَى الزُّنْدِ كَوِيْهَا

لَا تَحْفَرْشِي لُخُوكَ حَفْرًا فِي جِيْهَا أَنَا خَوْفِي عَلَيْكَ لَا تَوْقَعْ فِيْهَا

أما .. السارحا .. هي باختصار : الخاتمة التي توضع لا بداعات ... "مكسور جناح" و "السوسي" والتي لا بد وأن تكون من أوزان "الملحون العمودي" : "لمبيت" .

ذلك لأن إبداعات "مكسور جناح" وإبداعات "السوسي" - كما سبق وأن رأينا - تبتعد في شكلها عن "الملحون العمودي" ولكنها في النهاية لا بد وأن تعود إليه بأبيات مطولة تسرح ، وتسرح حتى لا تكاد تنتهي .

وأجترئ المقطع الأخير من "طير بنسليمان" وهو من "مكسور جناح" والسارحة التي تصل القصيدة بأوزان الشعر العمودي ، وما اخترت قصيدة "الطير" بالذات إلا لأن .. "السارحا" التي تأتي في آخره هي أقصر سارحة من بين سائر "سوارح" "مكسور جناح" حسب ما بلغ علمي .

المقطع الأخير من طير بنسليمان

مَنْ لَا يَكُونُ فَارَسٌ مَا يَنْخُلُ لِلزَّحَامِ

قُولُوا لِمَنْ دَعَا بِالْعَلَمِ الْمَوْهُوبِ

يَعْتَبِرُ ... وَيَقْصُرُ .. وَيَتُوبُ

جَايَحَارِبُ مَا طَاقَ حُرُوبِ

رَاحَ مَقْلُوبٌ

رَضًا لَهْرُوبٌ

وَنَظْفَى مَصْبَاحُ

السَّفِيهِ الْوَغْدِ الْمَفْضُوحِ

الى هنا وتنتهي الوحدة العروضية التي قام عليها المقطع ... لتبدأ السارحة وهي في أحد أوزان "لرما المثنية"

كُلُّ حَرْبٍ عَقِيدَ الْعَلْفَا ذَرَاوَنِي صَبَّاحُ فَ : الْوَغَا رَاكِبٌ شَلَوْ جَمُوحُ

كُلُّ مَنْ شَالَا وَيَحُوهُانَ بِالْعَمَرِ وَسَلَاحُ كَانَ عَاشَ نَتَرَكُو مَشْبُوحُ

بِالشَّجَاعَا يَشْهَدُ لِي كُلُّ مَنْ فَخَرَبَ .. سَلَاخُ فَ : الْغَرَبُ ، وَسَوْدَانُ وَشَلُوحُ

الطَّالِبَ طَيْرَ عَلَا مَعَا الْأَطْيَارَ وَرَاحُ فَيَدْنِي وَأَشُّ الْيَوْمِ يَرْزُوحُ

ذلك هو شكل السارحة ... وهذا هو مكانها ، تختتم بها عادة ... إبداعات "مكسور جناح" و "السوسي" وهكذا يمكن القول : أن "السارحة" صلة من الصلوات الثلاث ، التي توصل "مكسور جناح" و "السوسي" بالمدرسة الام ... مدرسة الملحون العمودي كما تركها بنحسين وجماعته "الرواح" ، اللازمة وأخيرا ، "السرحا" ، سنرى في فصل الاغراض أن ... سيدي عبد القادر سوف يكسر هذه القاعدة ، ويطلع على الناس بإبداعات "مكسور جناح" من نون سارحة ، بل وسيأتي بعده بنسليمان بإبداعات من "مكسور جناح" ، ليس فيها ... لا "رواح" ولا "لازمة" ولا "سارحة" ولكن الشعراء الذين جاؤا بعدهما وصفوا إبداعات الاول ب : "المقروطة وإبداعات الثاني ب .. الصياديا .. وعلا بالمثل الشعبي القائل : أجديد يلو جدا ، والبالى لا تفرط فيه ، تركوا مدرسة بنحسين حاضرة باستمرار ، لا في مدرسة ولد بوعمر "مكسور جناح" ولا في مدرسة "متيرد" "السوسي" أي تعاملوا معها حتى الآن من داخل "لرمات" و "القياسات" ولعل آخر اصطلاح يهمننا أمره هو : "القياس مشرقى" وهو "القياس الثاني من لرما المثنية" وشكله هكذا .

هَبَّتْ رِيَّاحُ الْغَيْثِ عَلَى غَصَانِ الْأَنْوَاحِ سَرَهَا يَسْرِي سَرَى الرَّاحُ فَالْجَوَارِحُ

سبق القول : أن هذا الوزن من أحد أوزان الشعر الشعبي المحلي في المغرب الشرقي . لا أعرف على وجه التحديد متى استقام نظم الملحون في هذا الوزن ، كل ما أعرفه هو أن المصمودي كتب فيه أكثر من قصيدة وكذلك المغراوي ، وكلاهما عاصر السلطان العلوي الحازم ، مولاي اسماعيل الذي كان يعاصره الى جانبيهما ، بل ويلازمه في العمل والترحال الشاعر الفحل ... بوعثمان .. ، وهو الذي كتب في مديح مولاي اسماعيل ، مالا يقل عن الف بيت من الشعر . كلها على هذا الوزن الذي تبنته مدرسة الملحون ، كما تبنته مدارس أخرى سوف يأتي معنا ذكرها أو ذكر بعضها على الاقل ... إنما قبل ذلك لا بد

من تسجيل بعض النماذج من شعر هذا الوزن ... الذي جاء منه قياس مشرقى وسوف نختار النماذج من شعر رائد المدرسة ... أبو سعيد بوعثمان

يقول عن نفسه :

أَنَا نَا بَغْتَ الزَّمَانَ فِ جِـيْلِي فَدُ
حَامِلٌ رَأَيْتُ هَلْ الشَّعْرُ أَرْيَابَ الْمَجْدِ
شَاعَرَ عَصْرِي حَقَّ لَكِنْ خَانَ السَّعْدُ
بُوعُثْمَانُ مَغْصَرٌ لِلْجَا حَدَفَ : الرِّيقُ
لَلدَّرِ إِلَى غَصَّتْ مَالِي حَدَّ رَفِيقُ
وَاللِّي خَانُوا السَّعْدَ عَاجَزٌ وَأَشْ يَطِيقُ

يقول في مديح السلطان مولاي اسماعيل :

مُولَايَ اسْمَاعِيلُ الاسْمَاسِيفُ النَّصْرُ
غِيثًا لِلْمَلْهَوْفِ يَا كَنْزَ الْمَدْطَرِ
انْتَى السَّفَرِ الْجَامِعَا الْحَكْمَا كَالدَّهْرِ
سَيِّتِكَ سَرَّ ، وَمِيْمِكَ أَمَانَ مِنَ الْمَكْرِ
مَنْ بِهِ رَحَا الْحَرْبِ فِ : الْمِيدَانِ تَدُورُ
يَا جَابِرُ مَنْ شَافَتْ أَرْمَاقُو مَكْسُورُ
فِيكَ عُلُومٌ وَبِكُلِّ مَحْمُودَا مَذْكُورُ
وَعَيْنَيْكَ عَفْوٌ وَلَا مَكَ الْيَأَنَا وَسُرُورُ

ويقول في أخرى عن مولاي اسماعيل أيضا :

يَا عَنَّتْرَهَا حِينَ تَنْتَهِيَا لِلْحَزَمِ
يَا حَجْرَا سَعْدَ جَادِبِ الطَّائِفِ لِلنَّمِ
يَاسِيفِ يَمَانِي يَشُقُّ صِلَادَ الصَّمِ
يَا قَسُورَ فِي زَهْرَتُو لِّلْسَمْعِ أَهْزَمِ
يَا حَاتَمَهَا فِي غُلُوتِ سَعْرِ السُّومِ
يَا بَذَرَ زَهْرَلَاخَ مِنْ قَبْلَا مَتْمُومِ
يَا رَمَحَ ارْدِينِي عَنْ أَعْدَاتِكَ مَشُومِ
يَا زَهْلُولَ رُقْطِ إِلَى يَنْحَازَ غَشُومِ

ويقول في أخرى عن السلطان مولاي اسماعيل كذلك :

انْتَ الدَّرَا الْوَاسِطَةُ فِي عَقْدِ الْمَهْوِ
يَلْقَى سَيِّتَ مَنْ خَطَا عَفْوِكَ بِالْمَحْوِ
سَيِّفِكَ يَهْلِكُ مَنْ تَعَدَّى الْوَلَا الْعَفْوُ
نُورِكَ فِي جِيدِ الزَّمَانِ الشَّهْبِ شَعِيلِ
يَصْفَحُ حَلْمَكَ عَنْ كِبَا يَرْغَى الْقِيْلِ
يَسْبِقُ بَطْشَكَ وَبَيْنَ مَالٍ مَعَاةٍ يَمِيلِ

حَتَّى صَارَ الذَّنْبُ عِنْدَ حَسَانِكَ حُلُوً مَا يَخْشَى مَكْرَكَ مِنَ الْجِرَانِ نَزِيلُ
أَنْتَ مَثْوَى الصَّفْحِ فَ: الدُّنْيَا وَالْعَفْوُ مَا تَحْرَمُ مِنْ فَيْضِكَ الْقَاضِي كَالثَّيْلِ
وَالنَّاكَرُ عَلَيَّ يَسْأَلُ اصْطِحَابَ النُّحُو يَعْرِفُ جُمَانُ الْمَعَانِي بِالتَّقْصِيلِ
لَا عَدَمَتِ شَخْصِكَ مَرَاتِبُ دَارِ الزُّهُو وَلَا فَقْدَاتِكَ عَيْنُ فَنَهَارٍ وَفَ اللَّيْلِ

وأخرى ... وأخرى ... وأخرى إنما المطولات السبع ، وكما تركها بوعثمان غر الشعر الشعبي في كل زمان ومكان .
نعم لشاعرنا الممتاز أبو سعيد بوعثمان قصائد كثيرة ومتنوعة إنما كلها على هذا الوزن ... الذي تحول الى أيقاعات
حضارية ملحونة وسمي لمشركي ...

هَاجَ فِكْرِي وَالسَّائِكُنْ هَاجَ يَا الْحُجَّاجُ لَا تَصْنَعُوا حَتَّى تَدِينُونِي مَعَاكُمُ

وهذا الوزن لم يتسرب الى الملحنين وحده ، بل نجده في نواحي كثيرة من أرض المملكة : في ناحية صفرو : "المنزل" لبهاليل
ويسمى "غيوان بن يازغا"

كَانْخَمُ وَلَكَيْتَ الرَّاسُ كَاغَ خَاوِي كَانْمُوتُ وَسُلْطَانُ الزَّيْنِ كَايْدَاوِي



كَانْخَمُ وَلَكَيْتَ الرَّاسُ فِيهِ لَفَوَاتُ شَحَالُ مَنْ كِيَا فَيَا دِي عَيُونُ لَبَنَاتُ



نجده في طرب الآلة :

يَا لَوَالَعُ بِالزَّيْنِ إِلَى سَخِيْتِ بِسِي غَيْرُ صَبْرٍ قَلْبَكَ دَبَا يَفْرَجُ الْآلِي

بل نجد هذا الوزن الذي يسمى "لمشركي" حتى في الاغنية الشعبية المعاصرة .

الْحَبِيبُ الْآلِي وَالْفَتْوُ مَشَا عَلِي مَا نَوَيْتُو بَعْدَ الْعَشْرَا يَكُونُ غَدَارُ

والاغنية لمحمد فويتح .

وأنا إذ أقول بقول شيوخنا الكرام في انتساب هذا الوزن الى المغرب الشرقي لا أطرح رأبي ، ولا أريد أن أتناقش على الأقل
في هذا الكتاب .. والا .. فيإمكانني أن أثبت بما لا يقبل الشك : أن هذا الوزن يعود تاريخه الى قيام الدولة المرابطية ، وأن أهل
مراكش ، وأهل فاس وأهل تازة كتبوا الجزل المغربي الجيد في هذا الوزن عند قيام الدولة الموحدية ، وفي عهد عبد المؤمن بن

علي بالذات ، ثم أن التعامل مع الأوزان المغربية ، سواء في الملحون ، أو في غير الملحون ، لا ينبغي أن يبدأ إلا بعد عملية مسح شاملة لكل النغمات الإيقاعية التركيبية التي تتبنى عليها الألفاظ بلهجة هذه الناحية أو تلك ، لتشكيل هذا السلم من الإيقاع أو ذاك .

أعطي ألف قصيدة لمن يستطيع أن يجيب على هذا السؤال : هل الجليلي أمثيرد هو الذي فتنه وزن قبيلة "أبني احسن" الذي يتغنى به على إيقاعات "المقس" و "البندير" أو هي "الطارا" .

الصَّلَاتُ عَلَى النَّبِيِّ وَنَافِي قَلْبِي حَلَاتٌ وَأَمَنْ لَّيْبَغِيكَ يَا لِهَادِي مُوَلَاكَ

ايشْتَوُ شَتَاتُ

☆☆☆

اشْفِرْ اللَّيْ عَلَيْهِ سَمَاوَا النَّاسِ زَمَانَ بُوَشْفَرْ اشْفَرْ اللَّيْ شَحَالَ مَنْ وَاحِدْ شَدَّ عَلَيْهِ

بِالْفَدْرِ

اشْفِرْ اللَّيْ شَحَالَ يَقْتُلْ وَشَحَالَ يَقْصِفْ الْعَمْرَ مَا نَا مَنْ فِيهِ مَا نَحَادِيهِ مَنْ صَغْرِي النَّا

لَلْكَبْرِ

☆☆☆

بين الصدر والعجز ترديد جماعي "وَأَكَاَلُ الدِّي يَاوَدِي"

قلت : هل "متيرد" هو الذي أعجبه هذا الوزن من "أبني احسن" فاختاره لقصيدة "الطير"

طِيرْ امْشَالِي وَلَا عَرَفْتُو فِينْ مَشَا سَابِغْ الْاَشْفَارْ

تَجْمَعْنِي بِهِ يَا الْمَوْلَى طَالَتْ بِالشُّوقِ غِيْبَتُو

كما أن عند ابن حسن ترديد جماعي هو "وَكَاَلُ الدِّي يَاوَدِي" بين الصدر والعجز ... كذلك عند أمثيرد جملة اعتراضية هي "فَدَقْدُ بَجَوَانَحُو وَطَارْ" وأعيد السؤال هل "متيرد" هو الذي اختار وزن "ابن حسن" لقصيدة الطير أم أن "ابن حسن" هم الذين اختاروا وزن "الطير" لشعرهم الشعبي المحلي ؟ كل ما أعرف هو أن "ابن حسن" وأهل الملحون لا يزالون يبدعون في هذا الوزن إلى يوم الناس هذا ، بل أن أهل الملحون نوعوا فيه ولونوا .

أَنَا الْمَشْرِبِي بِلَا مَزَايِدَ وَاللَّيْمَ فَالْمَلَامَ زَادَ : زَايِدَا "للتهامي لدغري

سَلِّتْكَ بَيْتَهَاك يَالرَّائِغ .. مَا لَكَ سَكْرَان نُون رَا ح : فارحا " لنفس الشاعر

أَسَادَتِي أَوْلَاد طَه بَرَضَاكُم عَالِجُوا الْحَال : الاشراف " للحاج إدريس بنعلي

دَابَا يَعْقُو اللَّه عَنِّي وَتَعُودُ مَلَا زَمَ الْفَجَر : "الخمسة أوقات" ل : أحمد الراس بل أن جدور الوزن الذي أقام عليه الجيلالي امتيرد الحراز . والذي يستعمله حتى الآن من أراد أن يكتب في موضوع الحراز ... هو من "العيطة الحوزية" ولا أقول : المرساوية ، أو الحضاوية ، وإنما الحوزية لقد استمعت الى "الشيخة بريكا" سنة 1942 تغني "طالق المسروح" للتهامي لدغري ، وهي من السوسسي ، أي من النثر الفني في الملحون . ولكن بطريقة العيطة ، لا على طريقة الملحون ، ويعد ذلك بسنة . أو هي سنة ونصف ... استمعت الى الشيخة العرجونية تغني "الهادي يَا الْهَادِي" بطريقة العيطة ، وهي أيضا ملحونة وطلى وزن طالق المسروح فأبدعت كما لم تبدع الشيخة بريكا .. مع حنكتها وتجربتها وتمكنها من العزف على الكمان ، كذلك قال "حماد النشار" وهو أستاذ "المرشال" في العزف على الكمان ، ولماذا الرجوع الى الوراء وبيننا المهدي بلعباس يغني سائر إبداعات النثر الفني على أنغام وإيقاعات العيطة الحوزية الى يومنا هذا ، وإذا مات - متعه الله بالصحة والعافية وطول العمر - مات آخر أمل في إعادة ربط الصلة بين الملحون والعيطة كما كانت من قبل .

يكفي هذا القدر من الايضاح فيما يتعلق بالشكل في فنون القول الملحون ، وننتقل الآن الى المضمون .





اغراض الملحون

* أغراض الملحون *

أغراض الملحون عشرة :

التوسلات الالهية ، والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية "الرييعيات" ، العشاق ، الساقى ، الترجمة - لغراض الهجاء - الرثاء . وتتفرع عن هذه الاغراض ، أو عن بعضها على الأقل - موضوعات وموضوعات ، ربما ضاعت هذا العدد ، مثلاً نجد في التوسلات الالهية موضوعات أخرى مثل "الحيرة" و "الغربة المعنوية" و "كفر الموت" وفي الامداح النبوية نجد "الشعر الملمحي" الطويل النفس "بدر" ، "حنين" ، "الفتن" أما الوصايا .. فكلها مفاجآت .. أما الرييعيات .. فهي شعر الطبيعة في الملحون ، وفيه كل ما في الطبيعة المغربية من بدائع الحسن ، وروائع الجمال .

وتبقى كل هذه الاغراض ، وما تنبني عنها من موضوعات قديمة جداً جداً بالنظر الى ما آل إليه أمرها في الملحون المعاصر ، وقد اتجهت اتجاهات أخرى بل وظهرت أغراض وموضوعات لا عهد لنا بها في الملحون القديم .

فمن قصيدة "للاكة" وقد كتبها الفاسي المراكشي الحاج الحسن بنشقرون سنة 1936 ، الى قصيدة "اليتيم" وهي التي كتبها "المراكشي السلوي عبد المجيد وهي" سنة 1976 .

في هذه العقود الأربعة ، ظهرت أغراض وموضوعات ، تضاعف الاغراض والموضوعات القديمة أضعافاً مضاعفة . فعرشيات مولانا محمد الخامس التي افتتحها الحاج الحسن بنشقرون بقصيدة "للاكة" ، وصلت في عيد العرش الفضي 1952 الى أزيد من أربع مائة قصيدة ، استنسخها جميعها "عبد الواحد العصفوري" وكان يقرأ منها - في حضرة شيخنا رحمه الله - بعض القصائد من حين لآخر .

أما منفى مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، فحدث عما كتب فيه من ملحون نضالي ولا حرج ، وحسبي أن أسجل هنا أن القصر الملكي بالرباط ، قد تحول في أيام المنفى إلى أطلال :

يَبْكِي فِيهِ الْجَامُورُ وَالتَّقَافُحُ * عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْعِيسَاوِي الْفُلُوس

كَأَيَّكِيُوا أَشْجَارُ وَمَعَ أَطْيَارُ ، وَأَرْهَارُ وَلَا عَجِيرُ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس ، من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون خيولاً كراماً ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرو ، بوشعرة ، معينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة ل : "تواركة" .. قصد .. البكاء على الأطلال :

يَبْكِي فِيهِ الْجَامُورُ وَالتَّقَافُحُ * عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْعِيسَاوِي الْفُلُوس

كَأَيَّكِيُوا أَشْجَارُ وَمَعَ أَطْيَارُ ، وَأَرْهَارُ وَلَا عَجِيرُ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس

من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحن بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة ل : تواركة .. قصد .. البكاء على الاطلال

جِيَّتْ يَا قَصْرَ الْمَاجِدِينَ صَبَّتْ خَالِي مَقْفُورٌ
سُكَّانُكَ جَابُونِي نَزَرَهُمْ لِلَّهِ وَأَيْنَ سَارُو ؟
وَأَعْطِينِي الْإِخْبَارَ

ويضل يتسائل في شجن ، تماما كما تسأل امرؤ القيس من قبل إلا أن الاطلال غير الاطلال ، والقصد غير القصد والخطب فضيع والامر جلل .

وفي هذه الفترة بالذات .. ظهرت قصائد أخرى في زعماء الحركة الوطنية من أمثال بلحسن الوزاني ، وعلال الفاسي ، وعبد الخالق الطريس .. بل وظهرت قصائد أخرى شبه أسطورية في وصف بطولات أبطال الفداء ، من أمثال : الزرقطوني ، والفظواكي ، والحنصالي وغيرهم وغيرهم من رجال المقاومة .

صحيح أن بنعلي ولد أرزين عبر عن تضامن المغاربة مع العرب والمسلمين في حملات "تابليون" على مصر : "مَا شَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مَصْرُ" وصحيح أن من لا تعرف من هو - لأن القصيدة فيها بتر لا تخلو منه نسخة من نسخها - كتب في نهج العلوم والمعارف العربية من مدينة الاسكندرية : "تَهْنِئُو نَحَايِرَ الضَّأْسِ"

ولكن ما كتب خلال هذه العقود الاربعة ، يفوق الحصر .

فقصائد "فلسطين" جمع منها الحسن اليعقوبي رحمه الله مائة قصيدة وقصيدة ، وقال معلقا "إنها بعدد حبات السبحة .

وقصائد الزعيم التونسي لحبيب بورقيبة : "هَرْبٌ لِيَهُمْ مِنْ سَوْسَا" العربي لبرادعي ، مكناس .

"خَادُوهُ الْمَاكْرِينَ" مولاي قدور البلغيثي فاس

"لَعَقَابُ حَطَّ عَلَّ لَحْمَامُ" العربي معينو سلا

وقصائد جميلة بوحيرد - وقصائد قراص الفضاء

استسمح ، فلقد ابتعدت بعض الشيء عن الموضوع ، وعذري هو أن قصائد هذه العقود الاربعة هي السجل الحافل بكل إنجازات الوطنية الصادقة الحقة ، التي وأكبها رجل الملحن ليس بمعاشيتها فقط ، ولكن بتحليلها أيضا .

وهي الديوان الذي يعبر بصدق عن تضامن الانسان المغربي - العربي المسلم ... مع الاخوة في العروبة - والاخوة في الدين فانا لم أذكر مثلاً قصائد الدعوة الى العلم ، بما فيه التقنية .

اقْرَأُوا الْعِلْمَ صَغَارَ بِهِ تَدْرِكُوا لَمَزِينَ
الرَّادِيْنَ وَمَوْلَاهُ صَانِعُو بِالْعِلْمِ لِلْخَبَرِ
زِدْ جِتْهَدْ وَقَرَّ

ولم أشر الى قصائد أيام الحرب "البون مثلاً"

نَاسَ السَّرِيْسِ يَا هَلِي صَبَارًا مَا تَخَافُ مِنْ دَوَّارَا
بنعمر "مراكش

ولا قصائد "طيفوا الضو"

غَلَقَ الْاَبْوَابَ وَالشُّرَاجِمَ لَا تَتْرَكَ ضَوْكُ يَظْهَرُ
لَا تَمَطَّرُ عَنْكَ الْكُوْرُ

لم أنتبه الى ما آل إليه امر المرأة عند الشاعر المعاصر . ذلك لان شاعر الملحون القديم كان يتعامل مع "نؤوم الضحي" لكن شاعر الملحون اليوم يتعامل مع التي تراحمه في حافلات النقل الحضري صباح مساء ، لانها كادحة مثله وتتاضل الى جانبه من أجل الغد الافضل ... والتوسلات ، والامداح ، وشعر الطبيعة ، كل ذلك وغيره قد تحول ، ولكن الى أحسن ، الى أروع ، بل الى حيث لا يبقى أي مجال للمفاضلة . لذلك لم أدرج الموضوعات الحديثة ضمن الاغراض القديمة ، حتى لا يقع الخلط وحتى نستطيع أن نتعرف على ما كان في الماضي لنرى على ضوئه ما جد في الحاضر .

ف "حسينيات الملحون المعاصر" وحدها تحتاج الى أكثر من كتاب وكذلك "أدب المسيرة" والمؤتمرات ، افريقية كانت أم عربية أم إسلامية .

على كل حال ، كل ما جد في "فنون القول الملحون" سواء في الشكل أو في المضمون، سنتناوله إن شاء الله في الجزء الثاني من الكتاب بالطرح الذي يلائمه ويناسبه . أما الآن فإلى الاغراض العشرة .. وكما تركها القدماء .



"التوسل" ويجمعونه على : "توسلات"

إنه غرض من أغراض الملحن يشمل قصائد الندم والتوبة ، وقصائد التضرع والاستغفار ، وقصائد التسبيح والحمد ، وقصائد الشكر والامتنان .

وكم في هذه القصائد من مناجات روحية عالية جعلها الصديق غضة باستمرار ، وكم من ابتهالات قلبية رفيعة تركها الشوق طرية الى الآن ، وكم من بوارق ولوامع وسوانح وإشراقات ، وكم من سياحات تخترق الحدود ، وتحليقات تعلو فوق الوجود ، فيتلاشى الزمكان ويفنى الشاعر الولهان ، ولا يبقى إلا الملك الديان .

هذا هو : "التوسل" الغرض الأقرب الى الأرواح والقلوب ، من بين سائر أغراض هذا الفن المحبوب .. بل إنه رياض الأرواح والقلوب ، فيه تمرح وبه تنتشي .

وليس من بين فحول شعراء الملحن ، من لم يكتب في هذا الغرض ولو قصيدة واحدة على الأقل ... وحتى أولئك الذين لم يكتبوا في هذا الغرض قصيدة كاملة . وهم قلة نادرة . نجدهم يخصصون له أبيات في جل قصائدهم .

ف : "التهامي لمذغيري" مثلاً لا نعرف له أي توسل ... ولكن قصائده العاطفية وقصائده في وصف الربيع لا تخلو من أبيات في "المناجات" يقول في بعض أبيات "زهراء" .

يَجُودُ وَيَصْفَحُ عَنْ ذَنْبِي وَوَزَارُو
السُّتَارَ يَجُودُ وَيَسْتَرُ
مَا كَيْفَ سَتَرْتُو لَعَبْدُ وَسَتَرَا

ويقول في بعض أبيات "الريمية"

وَاجِبُ انْحَمَدُ وَتَشْكُرُ وَتَبَارِكُ اللَّهُ
عَلَى النِّعَايِمِ لَكثيراً رَبَّنَا عَطَاها

وفي بعض أبيات قصيدة "الجفن"

مَا عِلْمُ مَا بِي إِلَّا الْكَرِيمُ وَخَدُو
عَالَمٌ عَلَى حَالِي لَنُو خَبِيرٌ وَاحِدُ

أما الذين كتبوا قصائد كاملة في هذا الغرض ، منهم : ولد بوعمر

أَهْلَ الْبَهَا حَمَاقُ رَدَّ الْوَلَهَا
مَنْ شَعَا مَنْ شَعَشَعُ الْكَامِلُ الْبَهَا

ومنهم "الحمري"

زَخْرَفَ رَوْضَ جَنَّاتِي
وَشَمَسَ جَنَّاتٍ فِيهِ اللَّيْ فِي قَلْبِي الْآنُ

ومنهم بنسليمان ، وسوف ندرج قصيدته : نَبْكِ عَلَى ذُنُوبِي وَصَلَاتَ أَوْقَاتِي ، ومنهم "الكراري" النطق بالترقيق .

يَا رَافِعَ السَّمَوَاتِ عَلَيَّ نُبْ لَا تُحَافِينِي بِذُنُوبِي امْحِي أَوْزَارِي

ومنهم بنعلي المسفيوي ، وقصائده في المناجات كثيرة ، أذكر منها على سبيل المثال :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخِيرَتُ الْإِسْلَامِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلَمًا مَشْرِفًا

ومنهم ومنهم ... إلا أن خير من أعطى العطاء الغزير في المتقدمين سيدي عبد القادر العلمي وفي المتأخرين شيخي الجليل سيدي إدريس العلمي .

وسوف أرجي التعامل مع شيخي إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله أما سيدي عبد القادر العلمي فسافتح هذا الغرض ببعض قصائده سبق القول أن سيدي عبد القادر عاصر الملك العلوي الورع مولاي سليمان :
كتب في هذا الغرض :

يَا مَنْ أَبْلَانِي عَافِينِي يَا كَرِيمَ الْكُرْمَا غَيْثًا بَفَرَجٍ يَا لَشَافِي بِحَكْمَتِكَ حَالَ كُلِّ مَضْرُورٍ

مَنْ صَرَخْتُو لِحَمَاكَ قَرِيبَةً وهذه هي القصيدة التي سنبدأ بها قصائد هذا الغرض :

"الصرخا" لسيدي عبد القادر .

ولعل من نافلة القول أن أقول : أن ليس في الملحون القديم كلمة لا تقوم على جدر عربي ... اللهم إلا النادر جدا جدا ،
والنادر لاحكم ... من هذا النادر مثلا :

"لبرا" أي "الرسالة" فهي من تمازيغت وأصلها تابرآت وهي عند المصمودي ،

صيفطت للفرزال براتي "أو" فالطا" أي "خطا" وهي اسبانية يقول ح فضل في "المحبوب"

تَاسُ اللّٰهُ يَرْضَاوُ فَالطَّا" ، أما ماعدا هذا النادر ، فكل ألفاظ الملحون من أصل عربي ، وعنوان هذه القصيدة "الصرخا"

و"الصرخا" من الاستصراخ أي طلب الإغاثة السريعة ، وفي القرآن الكريم :

فَاسْتَصْرِخْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ... الآية أي استغاث به .

"عَشَقُ الْجَمَالِ طَبِعُ غَرِيزٍ مَنْ هُوَ لَيْبُ"

عشق الجمال ... طبع غريز أي خلق متجدر في : مَنْ هُوَ لَيْبُ أي ذارقة وشفافية ، وهو هنا لا يخصص وإنما يعمم

عَشَقُ الْجَمَالِ جمال الطبيعة ، جمال الكائنات جمال الاخلاق ، جمال الخير ... جمال الحق .

عَشَقُ الْجَمَالِ طَبِعُ غَرِيزٍ مَنْ هُوَ لَيْبُ

وَيَحْسَ بِهِ وَسَطُ قَلْبِي (ديما معاه نعت احبيب)

كَالْمِسْكِ الدُّكِيِّ فِي جِيْبِ—وُ
وَمَوَالِفَا النَّفْسِ بِطَيْبِ—وُ
وَالْوَجْدِ رِيحَ غَمٍّ—لَابُ
مَتْرُوكٍ فِيهِ لَعَنَابُ
مَوْلُ الشَّرَابِ يُعْذَرُفَ حَالِ الْغِيْبَةِ دَائِعٍ بِهِ هَوَاةُ
مَا يَمِيْزُ دَاهُ مِنْ اَنْوَاةُ

الانبهار ، الانجذاب ، التواجد ، الشكر ... على كل حال نقد القصيدة بهذه الكيفية ، ربما اتلف معالمها ... وعليه ... فسنعمل بقول القائل إذا ظهرت المعنى فلا فائدة في التكرار ... فلقد قرر في البداية أن عشق الجمال من الطباع التي لا يتصف بها إلا أصحاب الرقة ، والرهافة ، والشفافية ... والحب عنده نتيجة العشق ... فإنك تحب ما تعشق ... ومن ثم فقد انتقل من العشق الى الحب .

الْحُبُّ فَتَنْجُلُ رَجِيْبُ قُوْ لَذَّةُ لِلشَّرِيْبِ
وَاللِّيْ هِنَقَاتٍ لِيْهِ اَنْشَوْتُ—وُ
وَدَرَكَ فَا : الْحَبِيْبُ شَهْوَتُو
تَبَنَّتْ حُجَّتُو وَدَعْوَتُو
وَاللِّيْ عَلَي الرضَا بَاتُ
يَنْسَى جَفَى اللِّي فَاتُ
رُوحُو هَنَاتُ
سَاعَتُ لَقْبُـوْلُ وَجِيْنَا وَالسَّرُّ لِمَنْ اخْفَاهُ
لَا غَنَّا شَرِيْبُو يَصْفَا مَا

وبعد أن يخصص هذا المقطع للحب في أوبيقاته الهنية ... ينتقل في كل من المقطع الثالث والمقطع الرابع ، والمقطع لخامس الى أحلك ظروف الحب ... وهو يرمز بكل ما جاء في هذه الفصول الى القواطع ، والموانع ، والعقبات التي تعوق المساعي في

الطريق الى الله ، إذ أن المعنى العميق للقصيدة ككل هو أن 'عشق الابداع إذا كان صادقا ، لا بد ، وأن يترتب عنه حب المبدع

مَغْلُوبٌ لِّلْمَحَبَّةِ قَلْبُ الْمَرْأِ النَّجِيبِ

الْحُبُّ لِيَنَّهُ كَمْ مِنْ صِفَةٍ

بَدَأَتْهُ اسْرَارُ لَطِيفَةٍ

نَهَّيَتْهُ اشْرَارُ عَصِيفَةٍ

مَنْ صَبَّحُوهُ تَلَّافٌ

يَمْسَا وَابَهُ عَرَّافٌ

امْعَاوَصَافٌ

سَرَّ الدَّعْوَةَ لِمَجْرِبَةٍ يَلْقَى الْعَبْدُ مِنْهَا

وَمَنْ وَقَفَ سَعْدٌ وَغَمٌ اغْتَدَاهُ

بَحْرُ الْهَوَى رَكُوبُ فِيهِ السَّرُّ الْعَجِيبُ

مَعَ فَرَأْتَنَّهُ وَكَلَّاحُو

وَعَوَّاصِفُو وَهَوَلُ رِيَّاحُو

وَزَلَّالُو وَرَعْدُ صَيَّاحُو

يَأْتِي بِشَيْءٍ الْاَفْرَاحُ

بِنَفَائِمُو الْاِلَى رَاحُ

بَابُ الصَّنَاحُ

مَنْ نَوَّنُو كُلَّ مُصَيِّبَةٍ يَلْقَاهَا مَنْ جَاءَ

عن

مَنْ بَلَغَ قَصْنُوْ. صَابَ مَنَاءً. غَمَّ عَدَاهُ

فسم

زَوَابِغُ الْهَوَى فِيهَا الْهَيْنُ وَالصَّغِيرُ

مَنْهُمْ مَنْ يَجِي بِكَرُوبٍ

وَوَسَاوِسُ وَعَجَبُ خَطُّو

يَبْلِي النَّفْسُ بَعْدَ يَتَوَبُّ

فِيهِمْ سَهْلٌ مَرَطُوبٌ

يَأْتِي ف: زِي مَحْبُوبٌ

يُطْفِي شُهُوبٌ

كَانَتْ ف: الذَّاتُ لِهَيْبَةٍ وَرَقِي مَعْنَاهُ

حِينَ يَشْهَدُ قَصْدِيْقُ مَنَاءً

فإذا كان المقطع السادس من القصيدة ... انتقل بنا من عام الى خاص ... كيف هو مع الصب ؟ وماذا يحب ؟ ... وهل

هنىء بلحظاته السعيدة، أم عصفت به عواصفه ؟

لَبَّهَا اللَّيْلِي افْتَتَّي سَوْقُو نَوْعُو غَرِيبٌ

نَجَلَاتُهَا لُتُوفٌ سَمَاءُهَا

ف: قُلُوبٌ هَلْ الْحَالُ ضِيَاءُهَا

مَرْمُودٌ الْبَصَرُ مَا رَأَاهَا

سَنَاءٌ لَامَعَ شَعَاءُهَا

خَطُّافٌ كُلُّ مَنْ رَأَاهَا

وَيْلَا اخْدَاهُ يَزْهَدُ فِي كُلِّ كَسِيْبَةٍ وَالصَّادِقُ ف: هَوَاهُ

كُلُّ مَا يَتَمَنَّى يَلْقَاهَا

ويبدو في كل من المقطع السابع ، والثامن ، والتاسع ... وكأنه يخاطب نفسه ، ينصحها ... يوجهها ، يفتح أمامها آفاق المعرفة في طريق القوم

تَدْعِي الْحُبَّ وَتَحْأَفِي بِصَنُودِ الْحَبِيبِ
يَاسْعَدُ مَنْ عَلَيْكَ تَوَكَّلِي
لَوْ كَانَ مَرَّةً عِنْدَكَ يَحُلَا
مَا عِنْدَشِ الْحَبِيبِ الزَّلَّةُ . *حبيب ليس عندنا زلة*
مَنْ لَيْسَ جَانِبَكَ الْحَالُ
طَبَعُوفُ : كُلُّ مَا قَالَ
زِكِّي فَعَالَ مَنْ نَفْسُكَ بِهِ شَفِيعَةً وَعَلَا جَكَ فَا : رُضَاهُ
كُنْ لَهُ عَنْ أَمْرٍ وَنَهَاهُ

فنسم

تَبِيهِ الْمَلِيحِ كَالسَّقَوَى لِلرَّوْحِ الْجَدِيدِ
تَدْفَعُ بَ : اللَّقَاحِ اشْجَارُ
وَتَفُوحُ بِالنَّسَامِ اَزْهَارُ
وَتَهِيجُ لِلنَّشِيدِ اَطْيَارُ
لَوْ لَا غَزَالَ لَقَفَّارُ
طَبَعُوشَرُودُ حَدَارُ
لَوْ كَانَ بَارَ : وَالرَّخْصُ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ وَالزَّيْنُ إِلَى تَاهُ
يَلْدُ عَشَقُ وَيَصُونُ بِهِاهُ

قَاضِي الْمَزَاجِ مَا يَدِي خَيْرٌ وَلَا يَجِيبُ
عَزَّ السَّلُوعُ عِنْدَ غُلَاهَا

فنسم جاف

وَتَهْـوَنَهَا أَيَّامَ أَرْخَاهَا
وَتَسَاوِمَ الْهَمَجِ مَشْرَاهَا
وَاللِّي اتَّكَاثَرُ ضَمَّاهُ
وَالْقَى حَبِيبَ وَسَقَاهُ
لَوْ مَا شَحَافَ مَا يَدِّي لِلْمَاطِيَّةِ
وَمَنْ جَرِيئُ عِيَاهُ
فَوْقَ الْفَضَى تَايَةَ بُوَاهُ

أما المقطع العاشر .. فسوف يعد ثنائه بما آل إليه أمره في عشقه :

طَفَحَ الشَّبَابُ فَ : الْعَاشِقُ وَعَذَارُو مَشِيبُ
مَنْ اللَّي احْلَاتْ نَشَوَتْ شُوبُو
وَسَرَاتٍ فِي دَوَاخِلِ قَلْبُو
شَيْبُو غَبَافٍ سَطَوَتْ حُبُو

يا سلام .. هنيئاً لمن هذا حاله مع الله :

مَنْ اللَّي حَلَاتْ نَشَوَتْ شُرِيُو
وَسَرَاتٍ فِي دَوَاخِلِ قَلْبُو
شَيْبُو غَبَافٍ سَطَوَتْ حُبُو

ومن الشطر الذي افتتح به هذا المقطع :

طَفَحَ الشَّبَابُ فَ : الْعَاشِقُ وَعَذَارُو مَشِيبُ

وهذا الشطر : "شيبو غباف سطوت حبو" نستطيع الجزم بأن سيدي عبد القادر العلمي كتب هذه القصيدة رحمه الله في شيخوخته ، بل أنها القصيدة الوحيدة التي أثبت لنا فيها لحظات القرب من الله وأوقات الانس به ...

لَمَّا اجْتَا عَلَى الْبَابِ
وَرَفَعَ عَلَيْهِ الْحِجَابِ
صَفَى جَوَابَ طَيْبٍ : لَفَاطٌ عَجِيبَةٌ لَوْ كَتَمُوا وَخَفَاءُ
كَالْعَطَرِ يَعْبِقُ طَيْبٌ اشْدَاءُ

ويستخرج لنا الحكمة من ثمرات رياضاته ، وتتألف مجاهداته :

مَنْ لَا زَمَّ أَرْضَى وَطَلَبَ لَا بُدَّ يَصِيبُ
وَاللَّيْ بَغَا يَفِيضُ حَسُودُ
يَتَّبِعُ بِالْمَهْلِ مَقْصُودُ
حَتَّى يَتَّكِلَ مَقْصُودُ
مَا نَالَ حَدَّ مَا رَادَّ
إِلَّا ابْتَعَبَ وَطَرَادُ
صَوْتُ الرَّعَادِ يَتْرَكُ لِقُلُوبٍ رَهِيْبًا وَيَعْدُ هَذِيرُ لَفَاءُ
يَنْبَشِرُ بِالْفَيْثِ أَمِنْ وَرَاءُ

إنها فلسفة سيدي عبد القادر ، وكما نلاحظها في كل قصائده الدينية والاجتماعية .

الفلسفة القائمة على "الصبر" و "التوكل" ، وأبادر الى القول أن الصبر عند الرجل ليس هو الدعة ، والتوكل ليس هو الاستسلام الصبر على مشاق الحرث مثلا ، والتوكل على الله في نتائجها ... صبر المريض على تجرع الدواء ، وعلى آلام الداء ، والتوكل على الله في الشفاء . على كل حال ، سوف نلتقي بسيدي عبد القادر العلمي في الاجتماعيات ، وفي غير الاجتماعيات ، وسوف نتعرف عليه أكثر فأكثر ... أما الآن فما بقي لنا إلا أن نأتي على ما تبقى من هذه الرائعة .

عَزَّ السَّلُوعُ تَاجِرَهَا يَرِيحُ مَا يُخِيبُ
وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ بَ : وَعُدْرِي
يَعْرِفُ مَا حَكِيَتْ فَ : شَعْرِي

خِلَافَ مَنْ غَشِيمٌ وَغَرِي
يَذَرِي نَفِيسَ الْأَدْرَارِ
مَا هَرَّ ، حَادَ بَصَارِ
صَافِي عِيَارٍ بَارِي مَنْ كُلِّ مَغِيْبَةٍ سَرَ الْعَبْدِ وَقَاهُ
مَنْ فَضَلَ مَوْلَاهُ اسْتَوْفَاهُ

اللزمة : مَنْ صَرَّخَتْهُ لَحْمَاكَ قَرِيبًا وَمَقَامَكَ عِلَاهُ
حُبٌ غَيْرُهُ لَا تَسْتَحِلَاهُ

هذا هو النص الكامل للقصيدة "الصرخا" فهي من "مكسور جناح" والصلة التي تصلها بالملحن السعودي ، نهاية كل مقطع بيت من "لرما الثلاثية" .. وكذلك اللزمة.

وتترك سيدي عبد القادر في شيخوخته الوقورة ، وقد سكنت نفسه واطمأنت ، على أن نعود إليه في الغرض الثالث من أغراض الملحن لنستمع منه وهو يلقي أصول الطريقة ، ونراه وهو يقف بعريديه بين الشريعة والحقيقة .
أما الآن ... فإلى الجيل الذي جاء بعد جيل سيدي عبد القادر العلمي مباشرة ، ونختار من إبداعات هذا الجيل ... نبكي على ذنوبي وصلات أوقاتي ... لمحمد بن سليمان ، وهي في "القياس الرابع من لرما الثلاثية" .

نَبْكِي عَلَى ذَنْوِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَتِ الْقُبْرِ
بَدَلُ يَارِي سَيِّئِي بِالْحُسْنَى

هكذا بدأ بنسليمان هذه التضرعات ، ولعل من الأفضل أن نثبت النص الكامل للقصيدة ونتركها تقدم نفسها بنفسها إلى القارئ .

أَنَا الَّذِي قَوَاتُ عَلِي حُجَاتِي وَمَدَحَتِ اللَّاعِمَرُ وَكَبَّرُ
وَعَنَيْتُ بَعْنَ بِهِ مَا يَتَعْنَى
وَفَخَرْتُ بِالْفَرَامِ مَقْصَرُ خَطَوَاتِي وَتَرَكْتُ إِلِي بِهِ نَفْتَخَرُ
مَنْ لَا يَتَمَنَّى مُحِبَّتِي نَتَمَنَّى

غَلَبَاتُ حِيلَتُو عَشْرًا مِّنْ حِيلَاتِي دَارَ السَّائِثُوسَيْفِ لِلْفَدْرِ

خَفَ أَمِنَ الْأَحْطَا وَبَرَقَ الْمَرْثَا

وَرَجَعْتُ بِهِ لِسْفَلَّةٍ مِّنْ رَّفْعَاتِي وَمِنْ دَعَى بَعْنَايَتُو كُسْرَ

هَذَا الْحَالِ ضَنْجِيَتْ بِهِ مَعْنَى

☆☆☆

هَذَا الْهَوَى الْهَائِمَ زَائِدَ لِيَعَاتِي رَأْفَدَ قَلْبِي مَا بَقِيَ أَكْثَرُ

وَالْعَيْنُ أَمِنَ الشَّوْفَ مَا تَنْتَهَى

أَنَا أَيَحَقُّ لِي تَتَعَرَّفَ حَيَاتِي وَتَبْدُلَ لَمَنَامَ بِالسَّهَرِ

مَا تَابِعَ لَا فَرَضَ وَلَا سُنَّةَ

كَثْرَاتُ سَيِّئِي وَقِلَالَاتُ حَسَنَاتِي وَسَجَنَتِي ف: سَلَّاسَلُ الْفَدْرِ

شَيْطَانِي هُوَ سَبَبُ الشُّطْنَا

غَرَّقَ مَرْكَبِي ف: بَحْرَ مِّنْ سِيَّاتِي أَنَا الرَّائِسُ وَالْهَوَى ابْخَرُ

الْهَوَى فَتْنَا مَا بِحَالُو فَتْنَا

☆☆☆

بِتْنَا هَدِي نَبَاتَ نَهْيَجَ زَفَرَاتِي وَتَزِيدَ الْبُكَايَا عَلَى السَّهَرِ

مَا غَرَّدَ مِثْلِي حَمَامَ ف: سَجَنَا

وَحَمَلْتُ مِّنْ ذُنُوبِي شَلًّا تَقْلَاتِي غَادِي بَيْنَ سَلَامِ الْوَعَرِ

مِّنْ تَعْبِي عَنْ رَاحَتِي تَتْنَا

وَنَصُومُ .. مَا حَسُنَتْ صِيَامُ . وَصَلَاتِي لَا شَفَعَ احْسَنْتُو وَلَا وَثَرَ
كَيْفَ اِيحْسَنْتُوهَا وَجُوهَ الْجَنَّةِ
لَوْ مَا اسْتَمَاحْتُو نَفَرَقَ فِي زِلَاتِي يَا رِزَاقَ الْحَوْتِ فِ : الْبَحْرِ
عَبْدَكَ ظَنَ الْخَيْرِ تَمَّا وَمَنَّا

☆☆☆

نَفْسِي امْعَا الْهَوَى وَالشَّيْطَانُ عَذَابِي عَادَاوُ السَّانِي مَعَا الذُّكُورِ
شَدُّوا فِ : زَمَانِي سَبِيلَ الْمَحَنَةِ
اسْقَاوْنِي مَرَارَ ، وَتَابِعْ شَهَوَاتِي اللَّهُ اِيْعَافِينَا مِنْ الْخَمْرِ
كَثِيرَ الرَّوْعَا ... اَقْلِيلِ الْهَدَنَا
خَبَطْتُ فِ : الْهَوَى ، طَالَعَ فِي عَقْبَاتِي يَا عَالَمَ بِالسَّرِّ وَالْجَهَرِ
لَا تَجْعَلْ لَنَا عَقُوبَتَكَ تَتْرَكْنَا
وَمَصَائِبَ الزَّمَانِ .. وَمَصَائِبَ كَلْفَاتِي وَشُرُورَ الْفُرُورِ وَالْفُشْرِ
نَجِّنَا مِنْهُمْ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

☆☆☆

مَتَلِّي هَمَامَ نَرَاتِ بِي نُولَاتِي رَفَعُوا بِي فِ : قَبْتُ النُّصُورِ
نَزَعُونِي مَنْ بَعْدَ قَالُوا طَعْنَا
خَلَّوْنِي امْعَا الطَّيْحَاتِ وَغُرَاتِي هَذِي هِيَ قُلْتُ الْوَقْرِ
مَا قَتَلُونِي مَا حَيَاوْنِي نَتَهْنَا

أَنَا أَرْمَيْتُ رَأْسِي فَا : الْبَحْرُ الْعَاتِي غَائِبٌ إِلَيْهِ سَنِينَ مَا ظَهَرَ
أَوْف : الْمَرْسَا تُجَارُ كَانَتْسَنَا

حَتَّى سَفِينَتِي قَهَرْتَهَا مَوْجَات وَالْبَحْرِيَّةُ كُلُّهَا الصَّبْرُ
نَجْنَا يَا صَاحِبَ الدَّمَامِ غَرَقْنَا

☆☆☆

مَا جِئْتُ لِلنَّجَامَا صِيْفَطْتُ ابْرَاتِي وَعَلَا نَاسِي غَيْبُ الْخَبَرِ
وَحَبَابِي وَمَعَارِفِي تَتَمَنَّى

سَقَيْتُ مِنْهُمْ جَدَاوِلَ نُوحَاتِي فَاحْ أَنْسِيْمِ الْوَرْدَ وَالزَّهْرَ
وَعَفَرَ ذَنْبَ اللَّيْ اَعْصَا وَرَحْمَنَا

وَرَحِمَ يَا الْمَوْلَى حَقَاظُ ابْنَاتِي قَالَ بَنَسْلِيمَانُ الْخَبْرُ
سَلَامِي هَبْتُو لِنَاسِ الْمَعْنَا

وَالْجَا حَذَّ اِيْصَدُقْ يَا وَيْلُودَعَوَاتِي وَقَلْبِيُوبَ : الْفَى يَنْزَبِرُ
مَا يَبْلُغُ مَعْنَى وَلَا يَتَكُنَّا

يَا رَفَعَ السَّمَاءَ تَغْفِرْ لِي زَلَاتِي بِجَاهِ الشَّيْكِ وَالْقُبْرِ
سَيِّدِي لَا تَجْعَلْ رَيْنَا يَهْلِكُنَا

☆☆☆

نَبْكِي عَلَى ذُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَتِ الْقُبْرِ
بَدَلُ يَا رَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَى

انتهت رابعة بنسليمان في الابتهاالات ، ولقد كان على أن أجعلها قبل القصيدة السابقة لأحقق التدرج ، من هذه الحيرة ، ومن هذا الارتباك الى تلك السكينة ، وتلك الطمأنينة ، الى حظ الرجال بجوار الله ، ولكن لم أفعل ، فالشيخ شيخ والمريد مريد ... خصوصاً ونحن نقول في حضيرة الملحن : السابق فضلية ... *

ونضيف قصيدة ثالثة قبل أن نقول كلمة وجيزة عن القصائد الثلاث .

وهذه المرة مع توسل الفقيه لعسدي . ونبدأ باللائمة :

يَا الْمَوْلَى نَعَمْ الْمَتَعَالُ نُو الْجَلَالُ يَا الْمَعْبُودَ عَظِيمُ الشَّانُ فَ : الْمَعَالِي

☆☆☆

يَا الْمَعِيثُ إِلِي نَرْجَاكَ ضَيْقَتْ الْحَالُ	يَا الرَّحِيمَ رَحِمَ ضَعْفِي وَشَوْفَ حَالِي
غَيْثُ عَبْدٍ مَوْلَةٍ يَرْجَى تَزُولُ الْأَمْوَالُ	طَالَ مَا يَتَكَلَّبُ فَ : جَمَارُ لَا أَمْنِ هَالِي
كُلَّ حِينٍ يَنَادِي فَ : حَمَاكَ يَا الْفَعَّالُ	أَعْيَا يِقَاسِي وَأَمْوَالُو فَاقَتْ الْأَمْوَالُ
جَرَعُوا حَالَ الْوَقْتُ أَمِنْ الْمَرَايِرُ اشْحَالُ	وَالْخَطَائِقُ ، بِالْوَاقِعِ حَدٌّ مَا تَبَّ هَالِي
أَهْلُ الصَّلَاحِ أَرَبِّي غُرَبَا أَوْ لَا أَمِنْ أَيْسَالُ	عَلَّ الْغُرَبَا فَ : زَمَانُ أَمِنْ الْأَفْضَالُ خَالِي

☆☆☆

يَا مَوْلَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ أَمْعَا التَّقْضِيلُ	يَا غَنَانِي يَا كَرِيمَ فَكَ التَّوْحِيدُ لَا
عَجَلٌ بِعَلَّاجِ قَلْبٍ وَسَطِ الصَّنَرِ غَلِيلُ	وَعَقَّ يَا ذَا الْجَلَالِ رُوحِي الْفَلِيلَةُ
وَاللِّي يَطْفَى نَهْدَ ذَاتُو لَا تَمْهِيلُ	حَتَّى يَبْقَى يَشُوفُ نَفْسُهُ ادْلِيلَةُ

فِي حَيْصَا بِيصْ إِيْسْ تَنْفَعُ لَوْحِيلَا

تَضَرَّقُوا نَاسَ الْجَدِّ وَيَا نَ كُلَّ خَتَالُ	كَانَ يَرُصِدُ شَيْءٍ وَقْتُ يَسَاعِدُ الرَّدَّ إِلِي
وَيُغِيرُوا تَاهُمْ بَرَزُوا بَا دَعِينِ الْأَحْيَالُ	وَلَا رَعَاوُ الْحَرَمِ مِنَ الْأَحْفَادُ وَالْأَقْيَالُ إِلِي
وَيُغِيرُ بَرَزُوا دَعِيَا ظَهَرُوا فَ : خَبَتْ الْحَالُ	بَانَ عَيْبُ الْخَتَالَا سَاعَتِ الْمَعَالِ إِلِي
تَشُوقُهُمْ فَ : الظَّاهِرَ تَحْسَابُهُمْ كَمَلُ	تَشَاهَدُ فَعَالِيَهُمْ بِهِمْ مَا تَبَالُ إِلِي

برورهم بالقراء .. احسانهم للال كان واترني ليه سبب بان جلي

☆☆☆

الوقت اليوم جاب خصلات التريل
اللي هو ريدل يننو للتفضيل
من لافهموا حديث ما فقهوا ترتيل
من عاشر قوم صار منهم بالصيلة
واللي هو فضيل يسوى تنخيل
ولا يدريوا للمفني ترتيل

وكل شتيمة ف : حقهم جات قيلة

غرم الشيطان ولاعبوا بسال
يعبروا عن حب الدنيا بشرا لعمال
وهل التقوى والدين اضحاوا طي العمال
جيل ناسو تركو الوفا نساء ورجال
تقول ما سمعو شي ما فات ف : الجيالي
ما يرقو الندير الو بقول واللي
وهل البدعة والزيف ف : غاية الرقالي
ويدلوه ابدتهم مبخوس .. جيل خالي
أوف : الحديث القابض دينو ف : كل الاحوال
كي القابض جمرأ يامن صفى اقوالي

☆○☆

☆ واللي ينسى عهد لجنود ف : تضليل ☆
☆ صال ب قتلو وزادلو قبحوا تهويل ☆
☆ أنوى رأسو علا وصابو في تسفيل ☆
☆ ما مئوش ضليل ف : قطار ضليلة ☆
☆ وبقي قلبو منحير في تهويل ☆
☆ ما طاق العوم في بخودو لهويل ☆

☆ لا بد يصير ليه جهلوا تكيلة ☆

☆ يا الله اسألك ونت الغني المتعال ☆
☆ جد وغني ورحم ضعاف ف : وسط هوال ☆
☆ ما يليهم غيرك ونت عليم بالحال ☆
☆ رد هاذ الكسرا بالخير بالعاللي ☆
☆ ضاق بهم الحال ف : نيت الحيالي ☆
☆ بالمستاجب للمطر ف : الاسالي ☆

★ غَيْثُ ضِعَافِ الْخَلْقِ الْغَايِبِينَ فُ: وَحَالُ ★ مَا أَنْوَصَفُهَا لِيكَ أَعَالَمُ الْأَحْوَالِي ★
 ★ كَيْفَ يُوصَفُ لِلرَّاقِبِ عِلَلُ الْحَالِ وَمَالُ ★ عَبْدُ جَاهِلٍ وَقَصِيرُ الْفَهْمِ مَنْ أَمْتَالِي ★
 ★ يَا مَنْ فَضَلْتُمْ عَمِيمَ وَالْأَحْسَنَانِ جَزِيلُ ★ عَالِجٌ وَشَفِي قُلُوبٍ فَصْدُورٌ عَطِيلَةٌ ★
 ★ يَا مَنْ هَدَيْتُمْ لَهْلَ الْإِسْلَامِ التَّنْزِيلُ ★ الْهَمُّ لِيهِ الْقُلُوبُ تَقْرَأُ وَجِيلَةٌ ★
 ★ يَا بَاعَتْ لِلْخَلِيقِ رُسُوكَ لَفْضِيلُ ★ يَا جَاعِلَ سِيرَتُوفَ : الْأَعْبَادَ فَضِيلًا ★
 ★ اهْدِي لِيهَا أَبْصَائِرَ ضَحَاتٍ عَطِيلَةٍ ★

★ مَا نَدْرَأُ مَنْ شَهِدَ بِدَعْوَتِ كُلِّ مَرَسَالِ ★ بَيْنَ رُوحِ الْمَعْنَى فُ : مَنَائِعِ الْأَقْوَالِي ★
 ★ وَلَوْ يَعْرِفُوا هَذِي هِيَ تَغْيِيرُ الْحَالِ ★ كَيْ تَغْيِيرُ فِي كَمْ جِيَالٍ بَ : الْفَضَالِي ★
 ★ يَا الرَّحْمَانُ ارْحَمْ ضَعْفَ الْخَلْقِ يَنْشَالِ ★ يَا الْغَفَّارُ غَفِّرْ لِعِبَادِكَ الزَّلَالِي ★
 ★ يَا الْخَلَّاقُ اخْلُقْ فِينَا الْخَيْرَ يَنْزَالِ ★ كُلُّ شَرٍّ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ يَا الْعَالِي ★
 ★ بِالنَّبِيِّ وَأَنْصَارِهِ وَمُهَاجِرِينَ الْأَفْضَالِ ★ غَيْثُ هَذَا الْأُمَّةِ وَطَرْدُ كُلِّ ضَالِي ★
 ★ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَالِ ★ سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ كَنْزِي وَرَأْسَ مَالِي ★

لا أدري كيف انتقل البيت الأخير ، من تتوسل لعمرى هذا ... الى تتوسل العلمي الذي مطلعته : يَا الْوَاجِدَ بِالْصَّرْخَةِ عَنَدَ ضَيْفَتِ الْحَالِ المهم ، كان هذا هو النص الكامل لتوسل الفقيه العمري ... ويتوسل الفقيه العمري تكون قد أتينا على المدارس الثلاث التي كانت تهيم على هذا الفرض ، قبل أن يأتي الى حضيرة الملحن ... الامام الحسيني العراقي ... وقبل أن نعرف ما جاء به هذا الامام الصوفي الجليل ... ولنستطيع استكناه ما جاء به ، لابد من أن نعود الى القصائد السابقة .. ولو بسرعة فائقة ، فمثلا كنا في القصيدة الاولى مع رجل كابد الرياضات والمجاهدات أولا ... وعاشر أهل الطريق الذين عاصروه ثانيا ... وتوسع في الاطلاع على كتابات القوم من شعر شفاف بديع ، ونثر فني رفيع ... وسير أهل الله الذين سبقوه ، وتراجهم ثالثا ... فجاءت كل قصائده ... التي كتبها في السنوات الاخيرة من عمره ... طافعة بإشارات أهل الطريق ، وتعاليمهم ... ويطروحاتهم

الْوَجْدُ رِيحُ غَلَابِ

مَتْرُوكٌ فِيهِ الْعَتَابُ

مَوْلُ الشَّرَابِ يُعْذَرُ ف: حَالُ الْغَيْبَةِ

دَايَعْ بِهِ فَوَاهُ

مَا يَمِيزُ دَاهُ أَمِنْ أَوَاهُ

☆☆☆

وَالسَّرُّ أَمِنْ أَخْفَاهُ

لَاغْنِيَا شَرِيحُو يَصْفُو مَاهُ

☆☆☆

بِدَايَتُو اسْرَارُ لَطِيفَةُ

نِهَائِيَّتُو اشْرَارُ عَصِيفَةُ

مَنْ صَبَّحُوهُ تُلُافُ

يَمْسَاوَا بِهِ عُرَافُ

☆☆☆

بَابُ الصَّلَاحِ مَنْ نُونُو كُلُّ مُصِيبَةٍ

بِدَايَتُو اسْرَارُ لَطِيفَةُ

نِهَائِيَّتُو اشْرَارُ عَصِيفَةُ

مَنْ صَبَّحُوهُ تُلُافُ

يَمْسَاوَا بِهِ عُرَافُ

☆☆☆

بَابُ الصَّلَاحِ مَنْ نُونُو كُلُّ مُصِيبَةٍ

يَلْقَاهَا مَنْ جَاهُ

وَمَنْ بَلَغَ قَصْنُو صَابُ مَنَاهُ

☆☆☆

سَنَاءُ لَا مَعَّ شَعَاءُ

خَطَأَفْ كُلِّ مَنْ رَأَى

وَالَّذِي أَخَذَهُ يَزْهَدُ فِي كُلِّ كُثْبِيٍّ وَالصَّادِقُ فِ : هَوَاهُ

كُلُّ مَا يَتَمَنَّى يَلْقَاهُ

ونختم هذه المقتطفات باللحظة التي قال عنها الحاج محمد بلكبير المراكشي :

" لحظة الاشرار الكلي التام العام "

لَمَّا اجْتَا عَلَى الْبَابِ

وَرَفَعَ عَلَيْهِ الْحِجَابِ

صَفَا جَوَابُ طَيْبٍ بِالْفَاضِ عَجِيْبًا لَوْ كَتَمُوا وَخَفَاهُ

كَالْعَطْرِ يَعْبَقُ طَيْبٌ أَشَدَّاهُ

إننا في هذه القصيدة ... وفي "الفرج" نكون مع سيدي عبد القادر العلمي في عالمه الباطني ، ويحاول جاهدا أن يطلعنا على مشاهداته ، وأن يصفها لنا ، وإن كانت العبارة لا تسعف صاحبها في هذا المجال .

أما بنسليمان ... نكون معه سواء في هذه القصيدة أوفي :

تُبِّ يَا رَأْسِي لَا تَشْقَى فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ ... الْعَالَمِ الْمَمْلُوسِ .

☆☆☆

☆ أَنَا يَحِقُّ لِي تَعَرُّافٌ : حَيَاتِي ☆ وَتَبْدُلُ لَمَنَامٍ بِالسَّهْرِ ☆

☆ مَا تَابِعَ لَا فَرْضَ وَلَا سُنَا ☆

☆☆☆

☆ أَنْصُومُ ، مَا حَسَنْتُ حَيَاتِي .. وَصَلَاتِي ☆ لَا شَفَعَ احْسَنْتُوا وَلَا وَتَرْتُ ☆

☆ كَيْفَ يَحْسِنُونَهَا وَجُوهَ الْجَنَّا ☆

★ نَفْسِي مَعَ الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ اَعْدَاتِي ★ عَانُوا السَّانِي مَعَ الذِّكْرِ ★

★ شَنُّوا فَا : زَمَانِي طَرِيقَ الْمَحَنَّا ★

★ سَقَاوْنِي مَرَارَ التَّعَبِ فَ شَهَوَاتِي ★ اللَّهُ يَغَافِلُنَا مِنَ الْخَفَرِ ★

★ كَيْبَرُ الرُّوعَا قَلِيلُ الْهَذْنَا ★

★❖★

على كل حال أخذنا سيدي عبد القادر الى عالم الباطن ، وعاد بنا محمد بنسليمان الى العالم الظاهر .
أما القصيدة الثالثة أعني قصيدة الفقيه لمعيري ، فهي أقرب الى الذهن منها الى الشعور ، قصيدة الحرفية ، حرفية الاية ،
حرفية الحديث ، حرفية مقولات الفقهاء .

★ أَوْفَا الْحَدِيثِ الْقَابِضُ دِينُ فَا جَمَعَ الْأَحْوَالَ ★ كِي الْقَابِضُ جَمْرًا ★

★❖★

★ حَتَّى يَبْدَأَ يَشُوفُ نَفْسُ وَلَوْ حِيَلًا ★ فِي جَيْصًا بَيْصًا ★

ونحن لا مع سيدي عبد القادر ومن ساروا على نهجه بعده ، ولا مع بنسليمان ومن هذا حنوه حتى الآن ، ولان بن قاسم
لمعيري ، ومدرسته الذهنية ، تبقى مع الشعر الديني وليس الصوفي ، نعم فيه سياحات وتحليقات هنا وهناك . بل ووظف
بعض كبار الشعراء ، رموز القوم وإشاراتهم ، أي أنه لا يخلو من مسحة من تصوف ولكنه في عمومها ، يبقى الملحون الديني .

أما الملحون الصوفي ، فهو الذي جاعنا به الشيخ الامام الحسني العراقي ، تفجده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

★ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبَشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ ★ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاهُ ★

★ أَنْكَا الْحُسُودُ وَظَفَرَ بِالْعَزِّ الدَّائِمِ ★ وَأَصْبَحَ يَتَمَخَّرُ فِي ثِيَابِ هَنَاهُ ★

هذه واحدة من القصائد الاربعة التي شق بها الامام العراقي ، الطريق للذين يريدون كتابة الملحون الصوفي .

★ طَابَ السُّرُورُ مَعَ الْبِنُورِ بَيْضُ النُّحُورِ ★

قليدة

★ غَنَمَ كَاسَ الرَّاحِ هَاجِبِيكَ زَارُ ★

★ وَيَنَا بِنُورَ هَذِي يَابُو النَّفَائِمِ ★ مَا هِيَ الْأَبْرُوقُ سَرَّ ضِيَاءُ ★

★ بَيْضُ النُّحُورِ فِي كُلِّ مَا تَتَلَايِمُ ★ تَتَدَجَّرُ الْأَنْوَارُ مِنْ شَعَا فَا : سَنَاهُ ★

★ سَقِي وَتَوَّرَ هُوَ الشُّورَ طُولُ الدَّهْوَرِ ★

★ سَاعَادَ السُّلْوَانَ فَايَدَتِ الْأَعْمَارَ ★

★ هُوَ الشُّورُ هُوَ وَالْهَائِمَ رَأَيْمَ مُرَادَ الْمُرِيدِ يَا هِنَاهُ الْقَاهُ ★

★ الْقَاهُ فِيهِ وَمَعَاهُ فِ : قَلْبُ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ مَا قَامَ غَيْرُ بِهِ وَتَاهُ ★

★ صِلِ الشَّرَابَ النُّكْدَ غَابَ وَالزُّهْوَ طَابَ ★

★ وَسَرُوجُ الْفُرَجَاتِ شَعَشَعَتِ الْأَنْوَارَ ★

★ شَعَشَعَتِ كَالْتَرِيَّا فِي كُلِّ وَلَايِمَ مَنَى لِي عَادَ بَانَ سَرَ خَفَاهُ ★

★ وَشَحَالَ بَتَ مَنْ لَيْلًا سَابَحَ عَائِمَ بَيْنَ مَوَاجِ الضِّيِّ فِي فُضَا سَمَاهُ ★

★ رَشَفَ الْأَكْوَابَ أَمْعَا الْأَحْبَابَ عَيْنَ الصُّوَابِ ★

★ وَزَهَا فِ : أَيَّامَكَ لَوْ تَعِيشَ أَنْهَارَ ★

★ طِعَ الْمَلِيحَ وَعَصَا فِ : اللُّومَ اللَّائِمَ وَعَمَلُ فِ : زَمَانَكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ ★

★ وَتَشَدَّ مَنْ أَشْعَارَكَ فِ : الْحُسْنَ الدَّائِمَ نَجَمَكَ صَارَ أَصَاحُ فَيَصْنَعُودُ سَمَاهُ ★

★ نَظَرًا مَنْ الْحَبِيبِ تَمَحِّي كُلِّ اجْرَائِمَ أَوْ لَحِيبِ كَرِيمِ يَا لَلِّي يَرْجَاهُ ★

★ أَلَى مَارَضًا مَا تَنْفَعُ عَزَائِمَ لَوْ بَا عَمَالَ الْخَيْرِ كُلَّهَا تَلْقَاهُ ★

القصيدة على وزن "يامنا" للمصمودي ، أي من "لرما المثنية مع تصرف جميل في ما يسمى : "تلطيمات" ، أما من حيث معانيها ، فلا شك عندي أنها قدمت نفسها بنفسها إلى القارئ وانتهى الأمر ... علي فقط أن أثبت هنا أن هذا الامام الصالح المصلح ، هذا العلامة الجليل ، هذا الشيخ الاجل ، كان يطوف بنقله العلمي ، والمعرفي ، والثقافي على كل الطوائف ليعلمهم - كما علمنا - كيف يكتب الشعر الصوفي .

فالامام العراقي ، الشاعر العربي المفلح ، والزجال الاندلسي المبدع ، مقصد الموشحات ، وموشح القصائد ، على ما انتاه الله من علوم الشريعة ، وما فتح عليه به من علمه "اللادني" يأتي بكل تواضع الى حضيرة الملحن ، أو الى طائفة "حمادشا" أو "عيساوا" ، فيحفظ ، ويحفظ ، ويحفظ .

الى أن يتمكن من الأوزان الخارجية ، والايقاعات الداخلية ، ويتعرف على طبيعة العمل في هذا الوزن أو ذاك ، وسرعان ما تبدأ المفاجآت ... إذ ينشر بين الناس إبداعات يعرفون شكلها ، ولكن لا عهد لهم بمضامينها ..
فالناس مثلاً كانوا يعرفون وزن قصيدة يامنة .

☆ قُولُوا يَاأَمَنَّا تَهْلِيلُ الْعُتْمَانِ ☆ مِينَا يَا مِينَا مَعَكَ شَرَعٌ ☆ **الله**

فَعِنْدَمَا جَاءَتْ .

☆ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبَشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ ☆ وَتَحَلَّأَ بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاهُ ☆

للإمام الحراق تغنو بها على نغمات لعن يامنة للمصمودي ، ومن دون أدنى صعوبة بل هو يسر هذا الوزن أكثر ... بتصريف يعرفه أهل الملحون ، ولا مجال للحديث عنه الآن إنما الشيء الذي لا عهد لهم به ، هو بعض معاني القصيدة : مثل قوله :
"مُرَادُ الْمُرِيدِ يَا هَنَاهُ الْقَاءُ ... الْقَاءُ فِيهِ وَمَعَاهُ ... " أو عندما يقول مَنِّي لِيْ عَادِيَانُ سَرَّ خَفَاءُ على كل أصبحت لنا مدرسة رابعة هي مدرسة الحراق ومن روادها بعده ، "الازموري" "مريفق" "السي اسماعيل" "سيدي إدريس" "لهويتر" ، وغيرهم وغيرهم ، وبعد قصيدة "الاستبشار" ... أختتم إبداعات هذا الغرض ، بذكرى عيساوية لنفس الشاعر ، وهي بعنوان "الاستذكار" ، وأهيب بعشاق الشعر الصوفي الرفيع لا في حضيرة الملحون ولا في طائفة عيساوا ، ولا في طائفة حمادشا ، أن يحفظوا شعر الإمام الحراق وأن يتواجهوا به ، ليس فقط قصد إحياء الذكرى ، أو العرفان بالجميل ، ولكن لأنه غرة الشعر المغربي الشعبي في البعد الصوفي على الإطلاق .

قليدة الأستاذكار من فلك المرحوم محمد الحراف

☆ صَافِي الْحَبِيبِ تَضَفَّرَ بَيْهَا الْأَنْوَارُ ☆ وَتَحَوَّزَ مِنْ شَعَاهُ يَمَّاراً ☆

☆ بِهَا تَنَالَ مَا بَيْنَ الْخَلْقِ اسْرَارُ ☆ وَتَصِيرُ لِلنَّفُوسِ طَهَاراً ☆

☆☆☆

☆ نَكْـرُ حَقِيقَ الْقَلْبِ نَوَا ☆ يَشْفِيهِ مَنْ سَقَامَ وَمَامُوا ☆

☆ وَيَصِيْرُ بَغِيرَ السُّوَا ☆ وَيَلْذُ لَوْهَجِيرِ امْتَامُوا ☆

☆ فِي الْوَجُودِ كَلَوِيضُوا ☆ مَنْ غَاسَقَ الْهَوَى وَظَلَامُوا ☆

☆ يَا سَعْدَ مَنْ مَسَا يَخْلَعُ فِيهِ اعْذَارُ ☆ وَيَدُورُ وَسَطَ قَلْبِ الدَّارَا ☆

☆ يَنْشُدُ عَنْ حَبِيبٍ رَائِقِ الْأَشْعَارُ ☆ وَالْقَوْمَ مِنَ الْعَشَقِ اسْكَارَا ☆

★ يَا مَنْ ابْقَاوْصَالَ حَبِيبُـو ★ افْنَا تَشْوَفْ نُورَ الْحَضَرَا★
 ★ وَعَلَا عَلَى لَأَكْوَانِ تَصِيبُـو ★ يَفْنِيكَ عَنْهُمْ ابْنَطُـرَا★
 ★ مَنْ كَانَ دَالِحِيْبِـو نَحِيبُو ★ ا~~~~ منْ كُلِّ بَاسٍ حَالُوْ يَبِـرَا★
 ★ شَمْسُوسٌ فِي اعْمَاقُو تَشْرِقُ وَاَقْمَارُ★ وَتَجِيْهِ كُلِّ وَقْتٍ بَشَارَا★
 ★ مَنْ نَالَ صَدَقَ الْمَحَبَّا يَاحْضَرُ★ يَمْسَى ف: كُلِّ حَالٍ مَنَارَا★

★❖★

★ يَرُوْقُ ف: الْمَحَبَّا حَالُـو ★ وَيَبَانَ فِي اَوْصَافِ اِيْمَانُو★
 ★ وَيَشَاهِدُو النَّاسَ جَمَالُو★ وَالْوَحْفَاءَ طُولَ زَمَانُو★
 ★ يَنْفَقُ عَلَى الْحَبِيبِ اَمْوَالُو★ وَيَزِيْدُ مَهْجَتُو وَيَذَانُو★
 ★ دِيْمَا ثَرَاهُ بَيْنَ اُوْرَادُ وَاذْكَارُ★ عَنْدُو ف: كُلِّ وَقْتٍ عَمَارَا★
 ★ يَخْشَى تَفَوْتَ عَنْو لَحْظَتِ بَشَارُ★ وَيَضِيْعُ لَوِ الْعُمْرُ خَسَارَا★

★❖★

★ وَاللِّيْ لَيْبِ فَاطِنُ يَا صَاحُ★ يَسْعَى فِي صَلَاحٍ مَقَامُو★
 ★ وَيَبُوْحُ بِالْفَرَامِ اُوِيْرْتَاَحُ★ مِنْ كَيْدِ الرَّقِيْبِ وَمَلَامُو★
 ★ هَذَا الْهَوَى صَنِيعُ اَوْ فُضَاَحُ★ يَشْعَلُ ف: الْقُلُوْبُ ضَرَامُو★
 ★ بِه الْعَشِيْقُ يَتَكَلَّبُ فَوْقَ جَمَارُ★ وَلَا تَفِيْدُ فِيْهِ اَحْزَارَا★
 ★ لَيْلُو فِي غَرَامُو يَفْنَا وَنَهَارُ★ وَمَحَبَّتِ الْحَبِيبِ اَنْجَارَا★

★❖★

كان بودي أن أضيف لهذا الشيخ الجليل على الأقل ذكرًا حموشية ، وأخرى ثواتيا ، إلا أنني لا أزال في الغرض الاول ، وأمامي تسعة أغراض أخرى ... فمعتذرة .

* الغرض الثاني من أغراض الملحون *

" المدح "

قال شيعي الجليل رحمه الله : "مرت علي حتى الآن - وكنا يومئذ في شهر مارس من سنة 1950 - ثلاث سنوات وأنا أحصي قصائد المدح في الملحون ، فبلغ العدد الى أربعة آلاف وثلاث مائة انتهت كلام الشيخ ، وأضيف :

إن أربعة أخماس هذا العدد هي لتبينا الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم مولده صلى الله عليه وسلم ، نشأته ، زواجه بمولاتنا خديجة رضي الله عنها ، تَعَبُّدُهُ في غار حراء ، نزول الوحي ، بدء الدعوة الى الله ، تحدي المشرك والضلال وهجرته الى المدينة ، وجهاد الرعيل الاول في سبيل الله ، وتحت لواء رسوله .

معجزاته صلى الله عليه وسلم ، شيمه ، شمائله ، مكارم أخلاقه ، وكل ماله صلة بحياة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا وتشمله أربعة أخماس قصائد هذا الغرض وسراياته .

أما الخمس الخامس ... فهو لآل بيته الاكرمين ، وللخلفاء الراشدين وحتى بعض عووم الصحابة كآبي ذر الفطاري ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن الوليد ، بل ويشمل هذا الغرض حتى سير الاولياء ، وكراماتهم ، والمجاديب ، وما ينطقون به من إشارات ، وما يأتونه من خوارق العادات .. كل ذلك يسمى بكل بساطة : " المدح " .

سئل العيساوي الفلوس لماذا أخذه الى مخفر الشرطة فلجاب : " عَلَى قَصِيدَا مَدَحَتْ فِيهَا بَلَحَسَنَ الْوَزَائِي " ف : الشعر النضالي إذن : " مدح " والشعر الوطني : " مدح " ، والشعر الذي يعبر عن التضامن : " مدح " على كل حال إن هذا الغرض لغني حاجة الى تصنيف جاد ، تستخرج منه ثمانية أو تسعة أغراض ، أما نحن فسوف نكتفي في هذا الفصل بشيء يسير من المداخل النبوية .. طبعاً سوف لا نخرج على المطولات التي قد يصل عدد أبياتها الى ما فوق الثلاث مائة بيت ، وتعد بالعشرات ، وإنما نبقى مع القصائد التي لا تزيد عن الثلاثين بيتاً ، حتى نتعامل مع أكثر من شاعر واحد من جهة ، ونحقق التنوع من جهة ثانية . إنما قبل ذلك لا بد من وقفة تأمل ولو قصيرة يقول الشريف بنعلي ويحق :

★ اَمْدِيحُ النَّبِيِّ مَنْ تَعَجِّدُ الْخَالِقَ الْعَظِيمَ ★ مَدِيحُ النَّبِيِّ مَنْ تُوصَفُ الدِّينَ بِالْمَكَارِمِ ★

فالمدح النبوي عند أهل الملحون نوع من أنواع العبادة ، ذلك لأن المديح النبوي - وكما يقول الشريف بنعلي - نشأ على الله الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام من جهة ، وتعداد لما في هذا الدين من خيرات من جهة ثانية .. ويبقى الحب الخالص لهذا النبي الكريم ، هو الملهم لهذا المديح ، بل هو نبع هذا المديح .

يقول الكتوز :

★ حُبُّ سَيِّدِي مَنْ حُبَّ اللَّهُ كَيْفَ تَنْسَاهُ ★ وَاسْمُؤُ رَأْدَفَ اسْمِ اللَّهِ ف : الشَّهَادَا ... ★

من هذا المنطلق ينطلقون ، ومن وحيه يكتبون :

يقول المصمودي :

★ مَنْ "الْكُمَيْتِ" الْمَادِحِ النَّبِيِّ شَعَرُوا كَأَنْدَرِيهْ
 ★ لِلْسَّيِّدِ "حَسَّانِ" الْفَضِيلِ وَشَعَارُو كَانَقْرَاهَا
 ★ ف : الضِّيْ أَوْف : دَجَاهْ
 ★ "الْكَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ" لَيْسَ يَخْفَى وَلَوْ نَخْفِيهْ
 ★ لِلْمَاهِرِ "مَهْيَارٍ" أَوْقَصَايْنُوفَ هَلْ الْبَيْتِ انْشَاهَا
 ★ شَوْقُو لَيْسَ خَفَاهْ

ويقول الحاج أحمد الغرابلي

★ مَدَّاجِينَ الْمُخْتَارِ فَالضِّيَا وَعَقَابِ الدَّيْجَانِ
 ★ نَعَمْ الْمَرْحُومِينَ
 ★ تَمَثَّيْلُ "ابْنُ زُهَيْرٍ" مَا خَفَى وَالْسَّيِّدِ "حَسَّانِ"
 ★ وَابْنُ الْفَارِضِ "الْفَائِزُ" الَّذِي جَادَ عَلَيْهِ الْغَانِي
 ★ وَمَدَحَ زَيْنَ الزُّيْنِ
 ★ وَالْجَزُولِي "دَلِيلُ وَرْخُوفِ صَلَاتِ الْعَدْنَانِ"
 ★ وَالْبُوصَيْرِي "خَلَّلَ شَوَاهِدَ الْهَمْزِيَا تَرْضَانِي"
 ★ وَالْبُرْدَا تَبَيَّنَ

فأهل الملحون إذن يعرفون تاريخ المديح النبوي ،إبتداء من حسان بن ثابت ، وكعب ابن زهير ، وهما من المخضرمين ، الى قصائد مهيار في آل البيت، الى ميمية ابن الفارض ، وبرة البصري وممزيتة ، الى دلائل الخيرات للجزولي ...
 وهذا يكفي. ولعل التلميح في هذا المجال يغني عن التصريح. نبدأ النصوص الكاملة التي اخترنا لهذا الغرض بصوفية امتيرد المراكشي في حب الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

حُبُّ حَبِيبِ الرَّحْمَنِ	خَمَرْنِي يَا خَمْرَانُ
وَسَقَانِي بِالْجَرِيَّانِ	يَا مَحَلَّاهُ بَحْرُ جُونُ
خَادُ جَوَارِحِ الْإِبْدَانِ	وَدَعَانِي يَا قُطْرَانُ
تَنْشُدُ قَلْبَ أَوْسَانِ	بَحْلَوَاتِ كُلِّ لُسُونِ
مَنْ فَتَرَقَ بِالْقُرْعَانِ	وَتَجَلَّى عِلَلُ الْإِدْيَانِ
وَعَبَقَ فِي كُلِّ وَطْنَانِ	طَبِيبُ مَنْ جُونُ لَجُونِ
وَضَحَّ عِلْمُ الْفَرْقَانِ	شَرَحَ أَوْتَقْسِيرَ بَيَانِ
خَشَعَتْ لَوْهْلُ الْإِيْمَانِ	وَقَرَّتْ بِهِ عِيُونِ
جَدُّ الْحَسَنِ وَالْحَسَنِ	كَهْفُ الْجُودِ أَوْ الْحَسَانِ
حُرْمُ الْبَيْتِ أَوْ الْأَرْكَانِ	مَنْ دَعَتْ لِيهِ خَصُونِ

مُحَمَّدُ صَاحِبُ الْحَقَائِقِ وَالْتَحْقِيقِ السَّابِقُ لِلْعِبَادِ فَضْلُهُ وَكَمَالُهُ

جَيْدٌ ... وَأَفِي ... حَنِينٌ ... وَمُكْرَمٌ ... وَشَفِيقٌ السَّاقِي مَنْ الْحَوْضِ كَيْسَانُ مُصَالُو

مِفْتَاحُ الدِّينِ صَادِقُ اقْوَالِ التَّصْدِيقِ يَا هَلْ لَوْصَالِ سَعْدِ سَعْدِي بُوَصَالُو

مَا خَلَقَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ إِحْوَ

نُورُ الْحَقِّ الدِّيَّانِ	رُوحُ الرُّوحِ دَالِجْنَانِ
رَحْمًا وَعَفْوًا هَانِ	شَرَعَ الْوَرْدِ الْمَحْسُونِ
تَعْظِيمُ الْقَدْرِ ، وَشَانِ	سَيِّدُ عَجَامِ أَوْ عَرَبَانِ
سَيِّدُ جَمِيعِ النَّفْيَانِ	مَا حَمَلَتْ بِهِ بَطُونِ
يَوْمُ الْفَرْعِ أَوْ الْفَتَانِ	وَالصَّرَاطُ أَوْ مِيزَانِ

نَسَعَا اللَّهَ الْغَفْرَانَ	عَنِّي لَصَعَابٌ تَهَوُّونَ
فَ صَلَاتُوا يَا إِنْسَانُ	كَثُرَ جَهْرٌ أَوْ كَثُمَانُ
مَا فَ صَلَاتُوا نُكْرَانُ	وَالنَّائِكُ مَا مَلَعُونُ
هِيَ شَرْبُ اللَّهْفَانِ	هِيَ كَنْزُ اللَّحْقَانِ
هِيَ الْفَرْخُ أَوْ سَلَوَانُ	هِيَ الرَّاحَةُ وَسَكُونُ



طَه دُبَابُهَا أَنَّهُارُ تَضْيِيقِ الْحَالِ	فِي يَوْمِ اللَّاتِفِيدِ مَخْلُوقِ انْدَامَا
مَا بَيْنَ لَانْتِيَا وَالْأَفْضَالِ الْأَرْسَالِ	كَابِدَرٌ وَسِيمٌ حِينَ تَعْظُمُ الْقِيَامَا
أَنَا لَهَا يَقُولُ طَيْبُ كُلِّ أَفْعَالِ	هَذِي بَشْرَانَا بِالْغَفْوِ وَسَلَامَا

وَكَمَالِ شَفَاعَتِهِ مِنَ اللَّهِ أَكْرَامَا

طَبَّ يَعَالِجِ الْأَذْمَانُ	وَنَوَى يَشْفِي الْأَبْدَانُ
وَجَبِيرًا لِلْكَسْرَانُ	قَصْدٌ كَمَالِ الْمُضْنُونُ
بَحْرُ الْوَدِّ الْهَتَّانُ	مَنْ لَا مَثَلُ وَسُلْطَانُ
الرَّائِدُ لِلْعَرْفَانُ	مَنْ عَلِمُوا كُلَّ قَنُونُ
اللَّيْلُ سَرَى بِالسَّرِيَانُ	رَتَقَ لِلْسَبْعِ امْتِنَانُ
وَيَوْمَ أَحْرَمَ بِالْجَمْعَانُ	صَلَّى وَصَعَدَ مَامُونُ
تَمَّ دَنَاهُ الْمُنَّانُ	لَبَسَاطُفٌ: عُلُو الشَّانُ
قَلْبُو يَسْمَعُ يَقْطَانُ	وَيُنَاطِرُونَ عِيُونُ
تَمَّا طَلَبُ الْمَنَانُ	كَرَّمُوا وَرَجَعَ فَرْحَانُ
لَقْرِيشٍ وَصَفَ بَيِّنَانُ	فَضَلَ الدِّينَ الْعَصِيُونُ



احْبِيبْ اللَّهَ لَا نَبِيَّ مَثَلُو مَحْبُوبٍ السَّابِقُ فَا : وَلِ السُّطْرُ لِلْعَرَفَانِ
مَنْ قَبْلَ اللّٰهِ يَزِيدُ خَيْرَاتٍ بِهِ كُتِبَ كَمَا خَلَقَ أَوْ نَشَأَهُ نَعَمَ الْوَحْدَانِي
عَرَفُوهُ أَوْ كَذَبُو وَجَعْنُوا هَلْ لَكُتِبَ وَأَشْ يَجْعَلُونَا فَا طَلَعَتِ الْبَدْرُ السَّائِي
لَوْلَا مَا يَكُونُ شَيْءٍ مِنَ الْاَكْوَانِ

هُوَ مُحِطٌ الْاَوْتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَا لَوْ ثَانِ
لَوْلَا فَضْلُهَا لَا كَانَ فَارَغَ وَلَا مَشْحُونِ
دِينِ الْمُؤَلَّى قَدَسَانِ وَتَنَاشَرَ بِالتَّبَيَّانِ
وَجَنُّوهُ هَلْ الْاَوْتَانِ هَزَمُوهُمْ هَلْ لَسْتُونَ
أَلَوْصَبَتْ الْبِيْزَانِ اِيْعِيْرُوْا لِيْ جَنَحَانِ
وَتَقْدَفْدُ بِالطَّيْرِ اَنْ وَتَخْلُقُ بَيْنَ مَزُونِ
حَتَّى نُوَصِّلَ الْاَمَانِ وَتَقُولُ بِلَا تَوْنَانِ
دَاخِلَ حُرْمِكَ خُوفَانِ مَدَا حَكَ عَنْهُ هُونِ
لَعَقْلَ حَايِرٍ هَيْمَانِ وَنَاسَاهِي غَفْلَانِ
وَالْعَمْرُ مَضَى خُسْرَانِ طُولَ حَيَاتِيْ مَدْيُونِ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدَمًا يَذْكُرُ وَمَا فِي عِلْمٍ مَنْ تَجَلَّى بَنُوَامُو
بِهَا نَفْتَحُ وَنُخْتَمُ حَلَّتِ الْاَسْـرَارُ تَتَوَيَّرُ وَسِرٌّ مِنَ الْمَبْدَا لَتَعَامُو
هِيَ الرُّسْمَالُ وَالْفَضْلُ هِيَ التَّحَرَّرُ بَرَكًا وَزَكَا لِمَنْ قَوَا عَشَقُ غَرَامُو
غَدَا يَوْمَ النُّشُورِ بِهَا نَرْحَامُو

يَا رَبِّي بِالسَّبْطِ أَنْ	وَالْفَرُوقِ أَوْ عَثْمَانَ
وَبِمُوسَى بْنِ عَمْرَانَ	وَسَلِيمَانَ وَهَارُونَ
يَوْمَ الرُّمُسِ أَوِ الْاَكْفَانِ	بَيْنَ الْمَلَكَيْنِ اثْنَانِ
تَبَيَّنِي فَ: السُّوْلَانِ	وَلَا تَجْعَلْنِي مَقْتُونِ
وَالْوَالِدِ وَالصَّبِيَّانِ	وَهَلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
يَا غَاثِرَ الْعَصِيَّانِ	غَفَرُ خَطَانَا وَذِيُونِ
الْجِيلَالِي سَتَعَانِ	بِكَ اَعْلِيكَ التَّكْلَانِ
وَالْمَادِحُ مَا يُوْهَانِ	عِنْدَ رَوَاحِوْ مَضْمُونِ
وَسَلَامَ لَهْلِ الْاَوْزَانِ	وَالْفَقْهَاءِ وَالْعَرَفَانِ
وَعَلَا الشُّرَفَاءِ تَبْجَانِ	هَلْ لِفَرَايِضِ وَسُنُونِ



هذه إحدى غرر المدايح النبوية في الشعر الملحن ، وهي للشاعر الفحل ... الجيلالي امتيرد المراكشي ، وقد سبق القول : أنه كان في عصر السلطان العلوي سيدي محمد :

صَلُّوا عَلَا الْعَدْنَانِ	مَنْ جَانَا بِالْيَيَّانِ
نَمَجِدْ مَوْلَ الْفَرْقَانِ	طَهَ مَفْتَاحَ الْكُونِ

جمع "متيرد" في "مداحيته" هاته بين مكرمات رسول الاسلام :

مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْحَقِّ — آيَقُ وَالْتَحْقِيقُ السَّابِقُ لِلْعِبَادِ فَضْلُو وَكَمَالُو
جَيِّدٌ وَأَفْصَى حَنِينٍ وَمَكْرَمٌ وَشَفِيقٌ

وبين محاسن هذا الدين الحنيف :

طَبَّ يَعَالِجْ الْأَذْهَانَ وَدَوَى يَشْفِي الْأَبْدَانَ
وَجَبِيرًا لِلْكَسْرَانِ قَصْدَ كَمَالِ الْمُنْشُونِ

جمع بين حبه للنبي الكريم :

حُبُّ حَبِيبِ الرَّحْمَنِ خَمْرُنِي بِالْخَوَانِ
وَسَقَانِي بِالْجَرِيَانِ أَمْخَلَاهُ أَبْحَرَ جُونِ
خَادَ جَوَارِحِ الْأَبْدَانِ

وبين خوفه أن لا يكون في مستوى هذا الحب :

لَعَقْلٌ حَايِرٌ هَيْمَانِ وَنَاسَاهِي غَفْلَانِ
وَالْعُمُرُ مَضَى حُسْرَانِ طُولُ حَيَاتِي مَدْيُونِ

إنما يعود فيستبشر ويبشر : أليس هو الشفيق ؟ نعم

هُوَ دَبَابْنَهَا أَنْهَارٌ يَضِيقُ الْحَالَ فِي يَوْمِ الْمَلَأْتِغِيدِ مَخْلُوقِ انْدَمَا
مَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَفْضَالِ الْأَرْسَالِ كَبَدَّرَ وَسِيمٌ حِينَ تَعَظَّمَ لَقِيَامَا
أَنَا لَهَا يَقُولُ طَيْبٌ كُلُّ أَعْمَالِ هَذِي بَشْرَانَا بِالْعَفْوِ وَسَلَامَا
وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مِنَ اللَّهِ كَرَامَا

ويختم بالصلاة على النبي الكريم ... وقد سبق أن قال في المقطع الثاني :

مَا فَ صَلَاتُو نُكْرَانِ وَالنَّأَكْرَهَا مَلْعُونِ

وهذا رد صريح واضح على الذين كانوا يروجون لطروحات الفكر المعتزلي المتطرف في عصره ، وإن دل هذا البيت على شيء ، فإنما يدل على تصوف امتيرد في حب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ...

من الجيلالي متيرد الى الجيلالي الحقيقي

نَارُ الْبَيْنِ اللَّيِّ كَدَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِي وَسَفْـلَاقِي وَالْمُهْجَا وَالْدَّاتِ حَارِقَا
هَيْجَهَا قَبْلَ الصِّيَامِ فَ : أَعْضَايَا رِيحِ أَشْـوَاقِي وَتَرَكَ رُوحَ الدَّاتِ شَائِقَا

مَنْ شَوْقِي هَلُو دَمُوعُ عَيْنِي فَ : الْخَدَّ اسْتَوَاقِي
وَالنُّومَ احْلَفْ مَا يَرُومُ جَفَنِي ضَيَّ أَوْ اغْسَاقِي
شَلًّا مَا قَاصِيَتْ فَ : الْمَحَبَّ وَالشُّوقَ وَيَاقِي
هِيَ عُنْدِي عَزَّ مِنَ الرُّوحِ اللَّيِّ بِهَا بِـاقِي
وَحَسَنَ مَنْ مَالِي امْعَا اهْلِي وَاحْبَابِي وَارْقَاقِي
وَحَلَا مَنْ شَهْدَ الْجَبَاحِ ، وَطِيبَ فِي قَلْبِ اعْمَاقِي
لَايْنُ قَدَرُ اللَّيِّ اعْشَقْتُ عَالِي .. وَعَظِيمُ .. وَرَاقِي
قُوْتَ الرُّوحِ ، وَنُورَ لِلْبَصِيرَا .. وَضِيَاءَ لَمَاقِي

تعرفنا على "محبوب" الجيلالي امثريد ... من أول جملة في قصيدته :

حُبَّ حَبِيبِ الرَّحْمَانِ خَمَرُنِي يَالْخَوَانِ

لكن "محبوب" الجيلالي لعقيقي ... مر المقطع الاول بكامله ولم نتعرف عليه ... كل ما في المقطع ... هو وصف لما يعانيه من هذا الحب الذي لازمه قبل اصيام أي من صباه وأن أقصى ما يتمناه هو ساعة لقاء ... وأن ساعة اللقاء هاته ... أعز من الروح ، وأغلا من المقل ... وأحب من المال والاهل والاحباب والرفاق ... وأحلا من العسل ، وأطيب من كل نسمة عطرة ... ويختم المقطع بقوله :

لَايْنُ قَدَرُ اللَّيِّ عَشَقْتُ فَالِي ... وَعَظِيمُ .. وَرَاقِي
قُوْتَ الرُّوحِ ، وَنُورَ لِلْبَصِيرَا ، وَضِيَاءَ لَمَاقِي
أَعْطَيْتُ الْبَيْعَةَ الْمَالِكِي وَعَلَا حُسْنُ انْفَاقِي
غَيْرَ أَنَا وَاللَّهِ وَالسَّنَا مَنْ طِيفَ الْيَشْنَرَاقِي
امْتَرَجَ طَبْعِي امْعَاةَ وَظَهَرَ سَرُوفَ خَلَاقِي
يَعْدَلُ أَوْجُوزَ هَذَا الْعَصْرِ حَسْبِي رُونَاقِي

مَنْ لَا ذَاقَ امْحَبَّتُو شَقَّا
مَنْ سَرُوْهُ الاسْرَارُ دَافَقَا
عَاهَدَتُو بَعْهُودُ وَاتَّقَا
كَانَتْ بَيْنَا حَقَّ خَارَقَا
وَأَفَقْنِي جَلَّ الْمَوَافَقَا
وَسَعَادَتَ رُوحِي الرَّايَقَا

عندما يصل الانسان الى هذا الحال من التجريد ، يصير حقا من الصوفية الكبار. ولا أقول المتصوفة .

يَعْدَلْ أَوْ يَجُورْ هَذَا لَعَصْرٌ " لا يهم - حَسْبِي رَوْنَقٌ قِسِي وَسَعَادَتٌ رُوحِي الرَّائِقَا

على كل حال ... القصيدة أكبر بكثير من أن تحلل في جزء من كتاب ... والممول على القارئ الكريم - أن يقرأها بحضور تام ... فماذا باستطاعتي أن أقول عن هذا البيت ؟ ...

غَيْرِ أَنَا وَاللَّهُ وَالسَّنَا مِنْ طَيْفِ الْيَشْرَاقِ قِسِي كَانَتْ بَيْنَا حَقَّ خَارِقَا
والبيت الذي يليه :

امْتَزَجَ طَبِيعِي مَعَاهُ وَظَهَرَ سُرُوفٌ : خِلَاقِ قِسِي وَأَفَقْنِي جَلَّ الْمَوَافِقَا

فتا لا أحلل القصيدة كما ينبغي التحليل ... ولا أتعامل مع النقد وفق أصوله ومناهجه ... بل أكتفي بإشارة هنا وأخرى هناك وأمر مر الكرام على كل المواطن التي تحتاج في تحليلها الى صفحات وصفحات ... لان طبيعة الكتاب لا تحتل ولان المدائح المحمدية الملحونة تحتاج الى مجلدات ومجلدات ، وليس الى عشر فصل في كتاب .

وَتَمَامٌ مَنَائِيَا وَغَايَتِي وَنَهَايَتٌ تَرِيَا قِسِي وَكَمَالُ النُّعْمَا الْأَحْقَا
الْعَطْفَا لَمَدَاوِمَا بَجُودِكَ تَشْرِقُ فِ غَسَا قِسِي شَمْسُ الْحَقِّ انْدُومَ شَارِقَا

لاشك قد لاحظت - عزيزي القارئ - هذا الالتفات المفاجئ ... من ضمير الغائب الى خطاب الحاضر ... يسمونه في حضيرة الملحون "تنبيه الي غفلوا" ... وربما خصصنا له فقرة أو فقرتين في الفصل الذي نخصصه لفنون البلاغة في فن الملحون .

إِلَى يَتَجَلَّأُ بِهَآكَ كَانَفْنِي فِي تَمَحَّاقِ قِسِي بِشَعَاعِ انْوَارُو الْخَارِقَا
وَيْلَا نَحْجِبْتِي بِتِيهِ عَقْلِي وَيَهِيْجُ حَمَّاقِ قِسِي وَنَهِيْمُ فِ بَحُورُ غَامِقَا
حَطَّيْتُ حُمُولِي فِ : بَابُ عَطْفِكَ مَنْ فَوْقَ انْيَا قِسِي لَايْنُ بَتَقْلَهَا الْوَاسِقَا
كَلْتُ وَيَعَادُ الْمَسِيرَمَا بَيْنَ ضَعْفَانِ رَفَاقِ قِسِي وَمَسَارَبَ لَحْيَاتِ خَانِقَا
فِي بَابِ حَمَاكَ الْعَظِيمِ دَقِيْتُ وَتَادَ وَتَا قِسِي بِالسُّكِينَا وَالْمَلَائِقَا
وَجَعَلْتُ هَوَاكَ الْعَظِيمِ دُكَّارَ لِفُصْنِ وَرَاقِ قِسِي وَتَعَارَ نَوَاحِي الْبَاسِقَا

انهينا المقطع الثاني ... وبدأنا في الثالث ... ولا يزال لا يتحدث عن حبه الكبير هذا الا بالاشارة والتلميح ...

سَقَانِي لَمَدَامَ ذَا لِمَحَبَّةٍ أَمَامَنْ سَا قِسِي صُهْبَا مَخْتُومَا امْعَتَقَا

خَمَرٌ قَدِيمٌ بِلَا عَصِيرٍ مَا يَتَشَرَّبُ بِعَرَاقِي
يَسْرِي سَرَى الرَّاحِ فَ : العُضَا وَطُلُوعُ السَّرِيَاقِي
لَمَحَبًا تَفَنِّي رُسُومَ ذَاتِي هَذَا تَحَقُّاقِي
بِرَدِّيَا تَأَجُّدُ الْكِرَامِ صَهْدُ مَشَاهِبِ تَحْرَاقِي
وَسَقِينِي حَتَّى نَشَاهِدَ الْمُتَحَجِّبَ فَ : رَوَاقِي
نَنْسَى مَا عَانَيْتَ مِنْ مَرَايِرَ فَ : عَذَابُ فِرَاقِي
بُجُودُ الْعَطْفِ اسْتَعِيدَ وَطُلُوعُ بَهَاكِ الرَّاقِي
بَعْدَ خَفِيَّتِ هَوَاكَ فَ : الْعُضَامَا نَافِعَ تَضَرَّاقِي
وَسَفُورَتِ لُونِي مَعَا نَحُولِي وَسَهِيرَ غَسَاقِي
رَحْمًا رَسَلَكِ رَافِعَ السَّمَاءِ لَجَلِيلِ الْخَلَاقِي

الآن فقط .. ويعد أزيد من ثلاثين بيتا كلها رموز وإشارات صوفية محضة ... كلها تلحيقات شاعرية رائعة ... كلها حالات شعورية صادقة ... يعرضها لنا بتعبيرات موحية تؤكد صدق الشعور - الآن فقط ... يعرفنا بحقيقة المحبوب .

رَحْمًا رَسَلَكِ رَافِعَ السَّمَاءِ لَجَلِيلِ الْخَلَاقِي
وَسَرَى بِكَ فَ : لَيْلَتِ السَّعَادَةِ فَوْقَ الْبِرَاقِي
يَابْحَرُ مِنَ الْجُودِ وَالْفَضْلِ يَا مَحْبُوبَ الْبَاقِي
أَنْتَ مَوْلَى الْخَوْضِ وَالشِّقَاعَا وَالتَّاجِ الرَّاقِي
وَدَكَ مَوْلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْحَيِّ الرَّزَّاقِي
الرُّفْعَا .. وَالْجَاه .. وَالْعَنَايَا .. يَاضِي رَمَاقِي
وَتَجَلَّ نُورُكَ فَ الْاَكْوَانُ شَعَشَعَتْ مِنْ كُلِّ أَفَاقِ
الْحِلْمِ .. الرَّحْمَا .. وَعَلَّمَ وَاسَعَ .. شَعَفَ : الْاِنْوَاقِي
بَشْرِيَعَا كَشَمَسَ شَارِقَا
وَعَطَاكَ الْحُجَا الصَّادِقَا
مَوْلَى الْقُدْرَا دَائِمَ الْبِقَا
خَبَرَتْ بِكَ السُّوْنُ نَاطِقَا
بِمَحَاسِنَ لِبَهَاكَ لَا يَقَا
لَيْلِكَ فَ : الْأَزَلْ سَابِقَا
بَسْرُورَ الْبَهْجَةِ الدَّافِقَا
وَفَضَايِلَ مَا هِيَ مَضْرَقَا

أَنْتَ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ التَّلَاقِي
فَ : بِحُورٍ خَطَاهَا تَفُكُّهَا بِأَمْرٍ مِنْ عَتَّاقِي
يَوْمَ تَكُونُ النَّاسُ غَارِقًا
وَتَخْلِي لِحَسُودٍ شَاهِقًا



إِلَى غَابٍ بِهَآكُ فِي مَنَامِي وَالْأَلْفَيَّاقِي
يَتَحَيَّرُ قَلْبِي مَعَا الْوَجْدُ وَيَقْوَا تَقْلَاقِي
وَشَدَا عَطْرِكَ فَ : الْاَكْوَانُ مَتَوَكَانُ اسْتِنَشَاقِي
شَمِيتُو وَحْيِيَّتْ بِهَ بَيْنَ ذَهَابَاتِ الْحَدَاقِي
قَالَ "الْجِيلَالِي" ابْمَدَحْ طَهَ عَمَرْتِ اسْنَوَاقِي
رَبِّحُوا بِصَلَاتِ النَّبِيِّ فَضْلَ مَا تَحْصِيهِ اَوْرَاقِي
خُذْ اَرَاوِيهَا الْفَآظُ تُورِيكَ طَرِزُ مَسَاقِي
لِحَقِيقِي يَهْدِي سَلَامَهَا لَذَهَابَاتِ الْحَدَاقِي
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ يَا أَمَامَ أَهْلِ الْفَضْلِ التَّآقِي
يَا تَاجَ الرُّسُلِ حَبِيبُ رَبِّي يَا ضِيَّ اَرْمَاقِي
تَبْقَى رُوحُ الذَّاتِ قَلْقَا
وَتَفَاسِي تَمْسِي مَلَاَحِقَا
فَ : خَدَائِقُ زَهْرِي الْحَادِقَا
فَ : غُصَانُ نَوَاحِي النَّائِقَا
جَآتْ أَهْلُ الْحَضْرَا اَمْسُوقَا
بِمَعْنَتُو لَعَقُولِ فَيَاقَا
فَ : بَيَّاتٌ رَقِيقَا وَرَاقَا
أَوْلَادُ الزُّهْرَةِ الصَّادِقَا
يَا سَيِّدُ مَنْ فَازَ وَرَتَقَا
بِصَلَاتِكَ الْاَنْجَابُ تَرْتَقَا



كان هذا هو النص الكامل للمداحية الصوفية ، وكما كتبها الجيلالي لحقيقي جازاه الله عن مكتبة الملاحون بكل خير ... ولعل
القارئ الكريم ، قد لاحظ أنها من نفس النوع الذي استقى منه الجيلالي متيرد .
الاشارات والرموز الصوفية ... هي هناك ، كما هي هنا .. التحليق البعيد والغوص العميق ... هو هناك كما هو هنا ...
حتى المعجزات هي نفس المعجزات ... معجزة القرآن عند امتيرد .

صَلُّوْا اَعْلَا الْعَدَنَ اَنْ مَنْ جَانَا بِالْبَيِّنَاتِ اَنْ

وعند لحقيقي وَعَطَاكَ الْحُجَّةَ الصَّادِقَةَ وهي القرآن

معجزة الاسراء والمعراج عند امتيرد :

لَيْلُ سَرَى بِالسَّرِيَّانِ رَتَّقَ لِّلْسَبْعِ امْتَانِ
 وَيَوْمَ حَرَمَ بِالْجَمْعَانِ صَلَّيْ وَصَعَدَ مَامُونُ
 تَمَّ دَنَاءُ الْمُنَّانِ لَبَسَاطُفَ : عَلَوِ الشَّانِ
 قَلْبُو يَسْمَعُ يَقْضِىَانِ وَيَنَظُرُونَ عَيْنُونِ

وعند لحقيقي

وَسَرَى بِكَ فَ : لَيْلَتِ السَّعَادَا فَوْقَ الْبِرَاقِ

ومعجزة الاخبار به في الكتب السابقة عند متيرد : مَنْ قَبْلَ اللّ يُزِيدُ خَبَرَتْ بِهِ كُتُبٌ ... وعند "لحقيقي" :
 خَبَرَتْ بِكَ السَّنْ نَاطِقَةٌ

والشفاعة المحمدية يوم الفرع الاكبر ... قال فيها متيرد المراكشي :

طَهَ دَبَابِنَهَا اَنْهَارٌ يَضِيقُ الْحَالِ فِي يَوْمِ اللّ تَفِيدُ مَخْلُوقِ اَنْدَمَا
 مَايُنِ الْاَنْبِيَا وَالْاَفْضَالِ الْاَرْسَالِ كَبَدَرٌ وَسِيمٌ حِينَ تَعْظُمُ لَقِيَامَا
 اَنَا لَهَا يَقُولُ طَيِّبُ كُلِّ فَعَالِ هَذِي بَشْرَانَا بِالْعَفْوِ وَسَلَامَا
 وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مِنَ اللّهِ كَرَامَا

وقال فيها لحقيقي الفاسي :

قَانَتْ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَا يَوْمَ التَّلَاقِي يَوْمَ تَكُونُ النَّاسُ غَارِقَا
 فَ : بِحُورٍ خَطَاهَا تَفْكُهَا بِأَمْرٍ مِنْ عَتَاقِي وَتَخْلِي لِحُسُودٍ شَاهِقَا

بل وحتى الصلاة على النبي الكريم ، للجيلالي لحقيقي فيها ، نفس اعتقاد الجيلالي امتيرد : فهذا يقول "ما ف" : صَلَّاتُ
 نُكْرَانُ وَالنَّائِكْرَمَا مَلْعُونٌ وَذَاكَ يَقُولُ : بِصَلَاتِكَ الْاَنْجَابُ تَرْتَقَا

أرجو أن أكون قد أحسنت الاختيار ... ولو أن من الصعب جدا ، أن يختار الانسان ثلاث قصائد فقط ، من ثمان مائة
 قصيدة في المديح النبوي ... نعم يا حصرات القراء ، ثمان مائة قصيدة في هذا الغرض فقط وليس كل الاغراض ... أفلا يصعب
 الاختيار ؟

مديح نبوي للشریف محمد بن الولید

اللازمة:

هَلْ يَأْتِرَى تَلَقَّاكَ وَنَشَاهَدُ نُورَ بَهَاكَ يَا أَحْمَدُ يَاطَهُ
يَا الْمُصْطَفَى زَيْنَ الزَّيْنِ وَيَا جَدَّ الْحَسَنِ



أَهْ عَلَيَّ بِهَوَاكَ يَا مَنْ رُوحِي ، فَ هَوَاكَ عَزَّهَا وَهَوَاهَا
يَا الَّذِي فِيكَ الظَّنُّ أَحْصَيْنِ وَتَتَ الْحِصْنُ الْحَصِينِ
سَيِّدِي لَكَرِيمُ عَطَاكَ وَالرَّحْمَا مِنْ مَعْطَاكَ لِلْعِبَادِ عَطَاهَا
بِكَ إِسْلَامَ الْمُسْلِمِينَ صَحَّ الصَّدَقُ الْمَعِينِ
صَحَّ الْهَدْيُ بِهِدَاكَ أَنْهَارُ اللَّهِ أَهْدَاكَ لِلْهَدْيِ وَهْدَاهَا
وَدَّهَا فِي لَيْلَتِ الْاِثْنَيْنِ بِكَ الْمَوْلَى لَحْنَيْنِ
يَوْمَ الْحَقِّ تَوَلَّاكَ أَوْيَانُورُ جَلَّاكَ دَرَجَتِكَ عَلَاهَا
شَرْفَكَ وَنَصَرَ بِكَ الدِّينَ يَا تَاجَ الْمُرْسَلِينَ
وَسَلَامَ اللَّهِ رِضَاكَ وَيَعْمَ الَّذِي يَرْضَاكَ شَوْفَتِكَ نَرْضَاهَا
يَا الشَّافِعَ فَا : الْمَدْنَيْنِ وَتَخْمُرْنِي فَا : الْحَيْنِ



أَبْدَيْتَ فَا : انْشَادِي بِاسْمِ اللَّهِ
نَتَسَجَّ حُلَاْفَا : النَّسَبُ هَاشِمِيَا
بِرَزَاتٍ مِنْ شَجِيَا

بَلِّغْ بِمَرْتَضِيٍّ
 وَتَقُولُ يَا اللَّهُ مُوَلَّيَا
 احْسَنْتَ فِيمَكَ ظَنُّ رَجَائِيَا
 اَرْحَمَ جَوَارِحِي وَعَضَائِيَا
 يَامَنْ رَزَقْتَ الاسْمَآكَ
 وَرَفَعْتَ سَمَكَ الْاَفْـ____لَاكَ
 نَبِّهْنِي لِنَهَاجِ الرِّضَا اِنَّا لَسَلَاكِي
 لَلَسْـ____لَاكَ نَسْلَكَ اَسْـلَاكَ
 نَتَوَسَّلُ بِاسْمِكَ لِيَكْ اَوْيَصَانُو طَه
 وَقَفَافِ وَالرَّحْمَانِ اَوْيَسِينَ
 وَالْقُرْآنِ الْمُبِينِ

☆☆☆

يَا اَحْمَدَ صرَخْتَ مَنْ نَسْتَدَاہ
 لَا تَحْرَمْنِي مِنْ شَوْفِكَ اَلْهَادِي
 رَانَاكَ النَّادِي

يَا شَفَاعَ الْعَبَادِي
 وَيَا نُرَاكَ يَا مُحَمَّدُ
 بَلِّسْـ____بَانِي مَعَكَ اَنْشَهُدُ
 وَتَزُوكَ فِي بَهَاكَ اَوْنَسَعُدُ

وَنَشْدُ فَيْكَ وَنُـرَاكَ
 كَمَا صَحَّابُكَ اتَّـرَاكَ
 يَفْجَأَ بِنُورِكَ ظُلَامَ خَلَائِكِي
 وَيَشْرِقُ فَيَأْ نُورَ ضِيَاكَ
 وَتُصَلِّي مِن مُـرَاكَ
 رُكْعَتَيْنِ نَزَاهَا
 نَصِيْبَهَا يَوْمَ خَلَاصِ الدِّيْنِ
 تَلْقَفْ ذَنْبِي لِمَتِّينِ



مَا حَرَ حَالَتْ بَطْرَاكَ
 عَنْ ضَيْفِ جَاكَ نَادَاكَ
 مَنْ قَامَ بِالْفَضْلِ وَأَشْ أَنْـأَكِي !
 الضَّيْفُ يَا مُحَمَّدَ لَوْلَاكَ
 مَا تَشْرَفَ عَقْبُكَ
 مَا تَكُونُ نَبَاهَا
 لِلْأَشْرَافِ الْمُقَرَّبِينَ
 وَلِلْمَسَاكِينِ



يَا الْهَاشِمِي نُورَ الْإِلَهِ
 هَلْ يَأْمَنُ دَرَا تَلْقَاكَ فِي مَنَامِي
 نَرْتَاخَ مِنْ سَقَامِي
 وَنَزَّةِ النَّيَامِي

نَظَرَ رَافَ : صُورَتَكَ لَكْرِيمَا
 فَبِهَا الْبُشْرَى وَغَنِيمَا
 يَا أَبُ لَا لِلْأَفْطَامِ
 كَرَمَ الْكُورِيمِ مَثْوَاكَ
 وَدَفَعَ ذِرَاجَ مَثْوَاكَ
 أَنْتَ فَ: الرُّسْكَالَ الزُّكِّي
 وَأَسْمُو مَقْرُونِ بِأَسْمَكَ
 وَالشَّمْسُ ابْنُ وَرَضِيَّكَ
 شَعَشَعَتْ فَ سَمَاهَا
 مَنْ قَرَعَ بَابَ ظَفَرِ بَمْنَاهُ
 فَضْلًا عَنْ مَنْ يَقْرَعَ بَابَ جَنُو
 حَاشَا يَخِيبُ قَصْدُو
 فَ: اللَّيْ بَغَاهُ عَنْدُو
 وَنْتَ يَحْمَدُ لَابِدُ
 تَكْرَمَ حَفِيْدَكَ بِمَوْدَا
 مَنْ قَبْلَ مَا تَفْوُتُ الْمُدَا
 الْهَرَمَ دَرَكَ الْخِرَاكَ
 وَرَمَا عَقَاكَ أَلِ الْاِدْرَاكَ
 وَالشَّيْبَ قَامَ جَنُّو لَعْرَاكِ

وَالْأَعْضَاءَ كُلَّتْ مِنْ الْعِزِّ رَاكٍ
وَقَتَّ الصُّغْرُ الْهَتَّ كَاكٍ
فَ: الْوَعْرُ خَ لَهَا
طَالَعَةٌ فِي عَقْبَةٍ سَتَّيْنِ
يَا طَهَ بِيْنِ وَبِيْنِ



يَا الْمُصْطَفَى ضَيْفَ الْأَلَّةِ
رَحْبُ بِي يَا خَاتَمَ الرُّسَالَا
وَقُلْ لِّي تَعَالَا
دَغِيَا بِلَا مَهَالَا
نَرَا أَنْوَارَ وَجْهِكَ لَجْمِيلِ
مَعَا جَمَالِ خَدِّكَ لَأَسْمِيلِ
وَنَزَى جِلَالِ طَرْفِكَ لَكُحْمِيلِ
فَرَحَا وَعِيدِ نَحْكِي وَنَحَاكِي
عَنْ أَمْتِكَ وَالنَّأْكِي فَ: عَذَاكَ
وَنَصَبَحَ أَمْنُ التَّيَّكَ
مَنْبِي وَفَاهَا
خَالِقِي رَبِّ الْعَالَمِينَ
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ



أَشْرَامُنْ لَا شَافَ بِهِـَا
 كُلُّ مَا نَالَ فَدُنَيْتُ وَخَسَارَا
 لَا مَالٌ لَاتَّجَارَا
 وَلَا يَلُو عَمَارَا

سَعِدَاتُ مَنْ شَفَاوَا ابْصَارُوا
 فَجَمَالُكَ أَحْمَدُ وَأَنْوَارُوا
 دَارُ الْكَرَامِ هِيَ دَارُوا
 نَعْمُ الْعَظِيمِ صَطْفَاكَ
 سُبْحَانُو وَتَبَّكَ
 وَأَنَا فِي سَكُونِي وَحَرَائِي
 نَرْتَجِي عُمْرِي مَا نَخْطَاكَ
 نَصْبَحُ وَنَزُوحُ مَعَكَ
 رَاحَتِي كُلُّهَا
 فِيكَ .. عَادَ الزَّادُ أَوْلَعِيدُنْ
 عَزَا مِنْ الْوَالِدِيْنْ

☆☆☆

زَانَتْ اسْمَاوَاتُ أَوْ أَرْضِيْنْ
 بِكَ أَسِيرُ دُتُّ لِيْنْ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ يَا الْمُخْتَارُ
مَنْكَ نُورُ الْأَنْوَارِ

وَنْتَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ
أَنَا دَخِيلُ لَيْكَ بِقَافِ الْقُدْرَاءِ
وَعَيْنُ عَزِّ صَحَابِكَ عُشْرَاءِ
وَبُؤُ الْفَضْلِ وَفِطْرَةِ الزُّهْرَاءِ
وَلَا مَ لَمْ لَمْ لَمْ

الْقُرَابِ عِنْدَ مُلْكِ
هَذَا أَنَا وَأَقْفُ فِ : بِأَبِكَ شَاكِي
رَكْتُ يَا مُحَمَّدُ فِ حَمَاكَ
فَادِي رُوحِي بِفِ ذَاكَ
مَنْ يَدِي مِنْ عَدَاةِ
نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ لَخْشِيرِينَ
وَالشَّيْطَانِ أَنَّ اللَّعِينِينَ

☆☆☆

خِيَارُ كُلِّ مَا نَتَمَنَّى
مَنْ هَذَا الدُّنْيَا جُودُكَ الْعَرَبِي
هَذَا ذَاكَ حَدِّ رَغْبِي

يَغْفِرُ بِبِيَّةِ ذَنْبِي
سِيِّدِي اَنْدُوْزْ فَ حَمَّاكَ
بُشْ رَا مَنَّاينْ نَرَاكَ
خَذُّ يَا رَاوِي سَرِّ اللُّه
وَتَأْمَلْ فَ : كَلَامِي وَقِيْسْ وَجُوْلْ
هَذَا الْحَدِيْثْ مَنَقُوْلْ
عَنْ مَلُوْكَ لَعَقُوْلْ
اَلِيْ اَنْتَ الْيَسِيْبْ وَعَاَقْلْ
خَضَعَ اَوْتَاْدْ وَمَتَاكْلْ
حَتَّى تَنَّاَلْ قَصْدَكَ كَامَلْ
وَحَكِي عِلَامَنْ صَفَاكَ
وَاللِّيْ جَاوَسَقْصَاكَ
اَنَا اَسْمِيْ اَفْ رُمُوْزْ "كُنَّا بَكِي"
وَعَتَبَرْتَ الْكُنْيَا فَا : "فَجَّاكَ"
اَيْكْفَاكَ اَيَّرَاكَ
اَنْتَهَا وَلَّا : "هَآ"
وَالسَّلَامُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ
وَعَلَى الْمُجَاهِدِيْنَ

لا أعلم على وجه التحديد و أهو الانس بالرسول جعله يشطح مثل هذه الشطحات ؟ أم هو تدلل الحفيد في أحضان جده الحبيب .

وَنَتَ يَا مُحَمَّدَ لِأَبِّ—دُ

تَكْرَمَ حَفِيدَكَ ابْنَمُ—وَدَا

☆☆☆

رَحْبُ بِي يَا خَاتَمَ الرِّسَالَا

وَقُلْ لِي تَعَالَا

دَغِيَا بَلَا مَهَالَا

☆☆☆

وعلى رأى الحاج محمد بنعمر المراكشي : شَرِيفٌ مُخْتَرٌ : كَيْفَ مَا كَالَهَا يَقْبَلَهَا جَنُوْا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ .
تعرف هذه القصيدة باسم "الهاشمية" ، لان كاتبها قال :

نَنْسَجُ حُلَّةَ ف : "النَّسَبُ" هَاشِمِيَّةٌ

أهو تذكير "بهاشميات" الكميت ، وما قال فيها عن آل البيت ؟وقوله :

هَذَا الْحَدِيثُ مَنْقُولٌ

عَنْ مُلُوكِ الْعُقُولِ

أولاً يعني أولئك الذين مدحوا الرسول في حياته ، والذين أتوا عليه بعد وفاته، صلى الله عليه وسلم ، والذين دافعوا عن آل بيته ؟ .

فمدائح حسان ، ويانت سعاد لكعب ، وثانية دعبل في آل البيت ، وقصائد الشريف الرضى في صريع كربلاء ، وقصائد مهيار ، وميمية ابن الفارض ، وبرة البصري وبديعية ابن حجة الحموي ، ومدائح ابن نباته ، تراجم قصائد الملحون في مخطوطات ، وتقاييد ، وكتانيش المكتبات الخصوصية لمعظم "الخرانا" أي رواة الملحون ...

بل أن فقرات طويلة من خطب الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نجدها في المخطوطات الملحونة كمقدمات لقصائد معينة مثل "عريس الجنا" "انقافح" "اشباب الغساني" "العرفاوي" "الشافي"

فمثلا في مخطوط "الهاشمي" بوشعرة "السلوي" . وقد وجدته في حوزة الحاج محمد بنفانم - لازمة "العرفاوي" .

رِيحِي وَسُرُورَ الْقَلْبِ وَالْمَنَا حُبَّ عَظِيمِ الْجَاهِ مَوْلَ الْحُلَا وَالْتَّاجِ يَا الْغَافِلَ كَثُرَ فِ : صَلَاتُوْ

صَلَّى إِلَهَ عَلَيْهِ

حَالِي لَا حَالًا مَن فَرَّاقُ سَيِّدِي رَسُولَ اللَّهِ أَمْضِرَا يَا رَبِّي انْشَاهِدْ مَقَامَ شَفِيعِ امْلُتُوْ

قَلْبِي شَاقِقَ لِيْهِ

وبعدها مباشرة .. أي قبل بداية القصيدة ، نجد هذه الفقرة من خطبة للإمام علي كرم الله وجهه :

أرسله على حين فترة من الرسل ، وطول هجعة من الامم ، واعتزام من الفن ، وانتشار من الامور ، وتلظ من الحروب ،
والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها ، واغوار من مانها ، قد درست منار الهدى
وظهرت أعلام الردى ، فهي متجهمة لاهلها ، عابسة في وجه طالبيها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف
ورثاها السيف وبعد هذه الفقرة مباشرة نجد النصف الكامل لقصيدة العرفاوية ...

بل أننا نجد في بعض المخطوطات للعربي الكناسي مدائح نبوية ملحونة تتخللها أبيات قصيدة ، ولعلها كانت تستعمل
كمواويل للترويح بين كل مقطع وآخر :

والكون لم تفتح له أغلاق

أثنى على أخلاقك الخلاق

يا مصطفى من قبل نشأة آدم

ايروم مخلوق ثناءك بعدما

☆☆☆

طمعت في أن تــــراكم

- جعلت نفسي فــــداك -

قد رأى من قــــدراك

بعدت همة عــــين

أوما يكفي لعينــــي

أن ترى من قد رأى من

☆☆☆

وضمخ لسان الذكر منك بطيــــه

علامة حب الله حب حبيــــه

ألا يا محب المصطفى زد صبــــابة

ولا تعبأن بالمبطلين فإنمــــا

☆☆☆

الغرض الثالث :

"لوصايات" أو "لوصيات" وهي قصائد كثيرة ومتنوعة ، منها ما هو ديني كالقصائد التي تنطلق من حديث جبريل المعروف "الاسلام ، الايمان ... الاحسان" وتركز على الكتاب والسنة . ومنها ما هو اجتماعي يشمل سائر الاخلاق والواجبات ويعتمد على التجربة والملاحظة .

غير أن هذه القصائد منها ما يوجه للمجتمع بصفة مباشرة كقول "بنعلي" :

لَلَّهِ يَا ابْنَ الدُّنْيَا خُذْ وَصَايَتِ الدَّهَاتِ اللَّيِّ مَرُوبِيًّا

قُلْ مُؤْمِنُ لِيكَ نَظْمَهَا وَخُوكَ فَ : اللّهُ

ومنها ما يخاطب فيه الشاعر نفسه :

يَا هَذِ النَّفْسُ اللَّيِّ مُجْرَعَانِي كَيْسَانَ الْأَسَا

رَجْعِي بِي مَا حَدَنِي لُدَابَا مَا قَاطَعُ يَاسْ

أو يخاطب قلبه : "قَلْبِي يَا قَلْبِي تَبْ وَانْتَهَى مِنْ لَهَوِكَ وَرَمِيْهِ"

أو يخاطب شخصه : "أُرَاسِي نُوَصِيكَ يَا الزَّائِدَ تَعْبِي وَشَقَايَا"

وهكذا يكون التوجيه والنصح بصفة غير مباشرة ... وتكون القصيدة وكأنها تجربة شخصية عاشها الشاعر ... وعبر عن إحساسه بها ... وهذه - لعمري - أروع قصائد هذا الغرض ، وأحبها الى قلوب الناس فليس فيها أستاذية ، ولا استعراض عضلات ، ولا تسبب للمستمع أية ضالة أو تحقير ..

فالشاعر يخاطب نفسه ، أو يحدث عن نفسه ، والمستمع يستمع .

فالقصيدة في الواقع لا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد .. ولكنها في الحقيقة تفعل في وجدانه ما الله به أعلم :

وقد اخترت من التوجيه الديني قصيدة "الخمس اوقات" باعتبار أن الصلاة عماد الدين . وأنها أكبر صلة بين العبد وربه ... ومن التوجيه العام الذي يجمع بين الدين والدنيا ، والمجتمع والناس ، قصيدة

لَلَّهِ يَا ابْنَ الدُّنْيَا ومن التوجيه الصوفي :

زَانَ تَقْلِيدُ وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ

الخمس أوقات للشيخ لحر

يَا رَأْسِي خَيْرَ لَيْكُ ثَبِّ لَمَوْلَاكَ وَعَظَمَ الْقَدْرُ بِالْحَمْدِ وَغَايَتِ الشُّكْرُ
 الْحَيِّ الْوَاحِدَ الْمُهَيِّمَنَ مَوْلَا السُّطُورِ الْعَالِيَا
 أَحْمَدَ نَعَمَ الْكَرِيمَ مَوْلَا الْقُدْرَا لَمَدَّبَبِ الْأَمْرِ وَطَلَبَ لَعَفُو مَعَا السُّتْرِ
 وَالْعِنَايَا مَعَا الصُّحَّةِ وَالْبَرَكَاتِ الْوَافِيَا
 رَبِّي غَانِي كَرِيمٌ جِيدٌ مُوجُودٌ يَسْمَحُ وَيَغْفِرُ وَيَشَافِي هَوْلَ كُلِّ ضَرٍّ
 يَسْلُكُنَا جَمِيعَ بِالْعَتَقَا مِنْ نَارِ الْهَامِيَا
 بِجَهَةِ هَلِ الصَّفَا وَجَاهِ الْكُتُبِ وَجَاهِ مَنْ ذَكَرُ وَهَلِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ
 وَجِبِلْ عَرْضَا وَجَاهِ مَنْ دَارُوا عَمَرَتْ كُلِّ زَوَايَا
 بِجَاهِ شِيَاخِ وَالْتِلَامَذِ وَتَجُومِ الدَّاجِ وَالْبَدْرِ وَالْأُولِيَا هَلِ الصَّبْرِ
 وَالشَّمْسِ وَجَاهِ مَنْ تَضَرَّعَ وَهَلِ النِّيَّةِ الصَّافِيَا

سألت شيخني وأستاذي سيدي إدريس العلمي رحمه الله عن معنى "تجوم الليل ، والبدر والشمس" في هذا السياق : فاجاب رضي الله عنه : "تجوم الداج هم الانتصار والمهاجرين الذين انعكس عنهم نور الشمس ، فاضاؤوا به ليل الحياة ... والبدر هو الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ... أما الشمس يرمز بها الى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ."

الْخَمْسُ أَوْقَاتٍ مَنْ حَضَّاهَا بِهَا يَنْجَى مِنَ الْهَمِّ وَمِنْ
 الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ مَنْ رَضَّاهَا بِهَا رِيحُوا هَلِ الْعَلَمِ وَمِنْ
 الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ مَنْ قَضَّاهَا قَالَ الْمَوْلَى رِيحَتْ قَوْمُ
 الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ مَنْ دَخَلَتْ فِ قُلُوبِهِ يَنْجَى مِنَ الْمَكْرِ وَالْهَوْلِ وَغَمَّتِ الْقَبْرِ
 وَيَنْجِيهِ الْغَنِيِّ الدَّائِمِ مَنْ شَدَّتْ كُلِّ دَاهِيَا
 الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ فِي شَأْنِهَا كَمْ مِنْ حَدِيثٍ مَشْتَهَرٍ وَأَمَّا مَنْ أَيُّ فَ السُّطْرِ
 وَالصُّومِ وَحِجٍّ مِنَ الْأَرْكَانِ وَهَلِ لَكُتْبِ دَارِيَا

وَجَهَادُ النَّفْسِ هُوَ لَجْهَادٌ بِصَدَقٍ يَنَاسِبُ الْعَصْرَ * وَهَلْؤُفَ : الْعَزَّ وَالنَّصْرَ
وَالزُّكَا فَرَضٌ بِهِ تَبْقَى هَذَ الْأَمَّا مُكَافِيَا

لاسمح لنفسى بتفتيش وحدة القصيدة ، قصد تسليط الاضواء على أبياتها لاكتشاف ما في تلك الابيات من أفكار وآراء رائدة .

فقوله على سبيل المثال ... " وَجَهَادُ النَّفْسِ هُوَ لَجْهَادٌ بِصَدَقٍ يَنَاسِبُ الْعَصْرَ " يحتاج الى تأمل .. وكذلك قوله

وَالزُّكَا فَرَضٌ بِهِ تَبْقَى هَذَ الْأَمَّا مُكَافِيَا

إنما المعول على القارئ ، أن يقرأ تراث أبياته وأجداده ... بصبر وتآني ... ليستطيع سبر أغواره ، والوصول إلى خفاياه ..

يَا مَا اسْعَدَ كُلُّ مَنْ عَمِلَ تَكْلُوفِي مَوْلَاهُ مَا خَسِرَ * عَنُو يَسْهَالُ مَاوَعَرَ

مَاخَاسَرَ غَيْرَ مَنْ تَمَادَا * وَسَعَفَ نَفْسُو الْخَاطِيَا

شَوْفَ أَهْلَ الدِّينِ كُلِّ وَاحِدٍ فِ : الْجَنَّا عَدَلُو قَصَرَ * وَقِيلَ : عَدَلُو أَكْثَرَ

مَوْلَ الْحُسْنَا رِضَاهُ رَبِّي وَسَعَدَ مَنْ نَفْسُ رَاضِيَا

☆☆☆

يَارَاسِي لَلْفَنِي اسْتَرْجِعْ * وَعَرَفَ الْمَوْتَ كَايْنَا

صَفِي لِي وَكُنْ تَسْمَعْ * وَطَرِيقَ الْحَقِّ بَايْنَا

بِالصَّوْمِ مَعَا الصَّلَا وَتَوَلَّعْ * وَالْمُكْتَابَا امْعَايْنَا

نُوصِيكَ أَرَاْسِي السَّاهِي قَلَّلَ مَنْ قَلَّةَ الْوَقْرِ * قِيلَ ثَلَاثَةَ أَهْلَ الْفَدْرِ

إِبْلِيسَ مَعَ الْهَوَى وَنَفْسِكَ هُمَا شَرُّ الْمَلَائِيَةِ

وَالِي تَسْمَعْ لِي نُوصِيكَ ، صَفِي لِمَوَاهِبِ الذِّكْرِ * لُوطَالِ الْفَلَكَ وَالْعَمَرِ

لَا تَتَّبِعْ غَيْرَ دِينِ رَبِّي قِيلَ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةُ
 أَشْ مِنْ زَهْوٍ يَضَادُ الْخَمْسَ وَقَاتٍ وَسِرْهَا ظَهَرَ مَا كَيْفَ وَلَا عَتَ الْفَجْرُ
 وَالصَّبْحُ نَزَاهَتُهُ فِ وَقْتُ وَالنَّجْمَةُ فِيهِ ضَاوِيَةٌ
 مَا كَيْفَ نَزَاهَةُ الدَّهْوِ وَنَزَاهَا بِصَفْوَفٍ تَتَذَكَّرُ هَذَاكَ لَذَاكَ مَا صَبَرَ
 مُورُ الْإِمَامِ كَاتِبَايَعِ نَاسِ التَّقْوَى مُسَامِيَّةُ

المقطع الرابع :

وَالْعَصْرَ كَرَامَتُهُ كُرَامَةً وَهَلْهُ لَكَرِيمٍ كَرَمَهُمْ
 عَمْدًا عَمْدًا اللَّيْ تَعَامَى يَتَوَقَّى وَيَشْتَأْفُهُمْ
 أَنَا خَوْفِي تَجِي نَدَامَةً لِّي هُوَ تَرَكَهُمْ
 الْمَغْرَبُ يَا مَنْ تَسَالَ مِنْ صَلَاهَا فِي وَقْتَهَا بِشَرِّ وَالْعِشَاءُ وَالشَّفْعُ وَالْوَتَرُ
 هَذَا رَبِّحَ الْإِسْلَامَ جُمْلَةً وَأَهْلَ النِّفَاقِ عَامِيَّةُ
 وَقْتُ الصَّلَاةِ مَعَ الْإِمَامِ تَنْجِي وَتَزِيدُ الْعَمَلُ مَعْرُورُ مَعْلُومَةٌ مَا لَهَا نَضَرُ
 وَالتَّارِكُهَا نَهَارٌ يَبْعَثُ عَيْنُو بِالْأَدَمِ بِأَكْيَّةُ
 فِي جَهَنَّمَ مَنْزِلُهُ فِي بَيْرِ الْفَلَقِ يَنْحَشِرُ يَتَشَوَّى فَوْقَ الْجَمْرِ
 اللَّهُ يُجِيرُنَا مِنَ الْقَوْمِ اللَّيْ بِالْجُورِ طَاغِيَّةُ
 ثُبُّ لِرَبِّي إِلَى بُغْيَتِي تَغْنَمُ وَتَزِيدُ فِ الشُّكْرِ مَنْ تَابَعَ نَفْسُهُ خَسَرَ
 عَائِشَ مَغْرُورُ غَرَّتْهُ نَفْسُو وَإِيمَانُهُ الْخَاوِيَّةُ

المقطع الخامس :

يَا حَيُّ الَّيْنَامُ تَغْفِرُ وَرَحِمَ الْإِسْلَامَ كُلَّهَُا
تَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ الطَّاهِرِ وَالْمُعْجِزَةِ وَسْرَهَُا
وَاصْحَابُو لَا مَتِ الْفَنَادِرُ رَضَوَانَ اللَّهَ عَنْهَُا
اللَّهُمَّ بِحَقِّ مَلَكِكَ يَا رَبِّي سَلِّكْ الْأُمَرَ دَبَبِ الْأَحْوَالِ يَا الْبِرَّ
أَحْنَانِي عَارَ لَالِلِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَةِ الْبَاهِيَّةِ
وَالسَّمَوَاتِ وَالْبَحْرِ وَالْأَرْضِ وَالشَّيْئِ وَالْقَبْرِ وَالْخَلْفَا وَيُوبِكِرُ
تَتَوَسَّلُ بِالْفَضِيلِ عُثْمَانَ أَحْفَظْنَا مِنَ الْمَلَاهِيَةِ
اللَّهُمَّ بِحَقِّ عَالِي وَبِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ وَسَادَاتِي أَهْلَ الْغَزْرِ
مَعَ الْحَسَنِ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ النُّجْمَةِ الضَّاوِيَةِ
اللَّهُمَّ بِحَقِّ فَضْلِكَ تَدْرِكِ الْإِسْلَامَ بِالْأَنْصَرِ يَا مَنْ هُوَ عَنَّا أَقْدَرُ
كَافِي يَا ذَا الْجَلَالِ كَافِي وَنْتَ مَوْلَى الْمَكَافِيَةِ

المقطع الخامس :

مَصَابٍ يَجِي ضِيَا أَعْيَانِي يَفْدِي فِي لَامَتِ الْجُودِ
هَذَا مَا قَلْتُ فِي أَوْزَانِي سُبْحَانَ الْمَالِكِ الْوُدُودِ
سَلِّمْ يَا حَافِظَ الْمُعَانِي لَارَبَّابِ الْفَنِّ هَلْ الْجُودِ
وَسَلَامٌ لِلْمَاهِرِينَ جَمَلَةً مَا فَاحَ الْوَرْدُ وَالزَّهْرُ مَنْ عِنْدَ التَّايِكِ الْأَحْمَرِ
يُوصِلُ هَذَا السَّلَامَ لِيَهُمْ تَرُوحَ الذَّاتِ هَانِيَةِ
بَعْدَ السَّلَامِ وَالصَّلَاةِ عَلَى طَهَ طَيْبِ الذِّكْرِ مُحَمَّدَ سَيِّدِ الْبَشَرِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدْ الْقَوْمَ الْحَيَّةَ وَفَانِيَّةَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَدَّ الذِّكْرَ وَمَافِيهِ مَنْ سَطَرَ وَمَنْ يَتْلِيهِ سِرًّا وَالْجَهْرَ
 وَهَلَّ السُّنَّةَ وَهَلَّ الْحَدِيثَ وَهَلَّ الْهَمَّةَ الْعَالِيَةَ
 الْهَمَامَ الَّذِي يَتَوَكَّأُ قَبْلَهُ لَنَا مَا زَالَ مَا ظَهَرَ مَا لَهُ مَا بَانَ لَهُ خَبَرَ
 مَنْ صَابَ يَجِي يَسْلُ سَيْفُهُ مَا بَيْنَ سَيُوفٍ مَاضِيَةٍ

☆☆☆

- اللازمة -

رَاجِي يَغْفُو اللَّهُ عَنِّي وَأَنْعُودُ مَوَابِدَ الْفَجْرِ نَعْبُدُ الدَّائِمَ الْاَكْبَرُ
 وَنُكْرَفُ : الصَّلَا عَلَى شَفِيعِ الْأُمَّةِ الرَّائِكِيَّةِ

☆☆☆

أما الشريف سيدي محمد ابن علي الملقب ب : "ولد آرزين" .. فهو كالفقيه لعميري ينطلق من اطلاعه ، وليس من شعوره أو إحساسه ..

وهو لا يخفي هذه الحقيقة ، بل يعلنها : "خَذْ وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّذِي مَرُوبِّا"
 "شَحَالُ مَنْ قَوْلٌ وَرَدَ فِيهِمْ .. هَذِهِ الْمَوَاعِظَةُ مَنْ عِنْدَ الَّذِي عَارَفِينْ"
 "اسْمَعْتُ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْعِلْمِ .. "نُوصِيكَ كَيْفَ وَصَى " الْحَرِيرِي " قَالَ
 فَ : "الْمَقَامَةُ السُّسَّانِيَّةُ" " قَالُوا نَاسُ الْحَدِيثِ وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ "

على كل حال ، هو لا يخفي أنه ينقل عن "الدهات" و "العارفين" و "أهل العلم" بل يعلن ذلك بالكثير من الفخر والاعتزاز ، بل إنه في اللازمة ينادي المخاطب ب : "يا ابن الدنيا " .

لَلَّهِ يَا بَنَ الدُّنْيَا " خَذْ ، وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّذِي مَرُوبِّا
 قُلْ مُؤْمِنَ لِيكَ نَظْمَهَا وَخُوكَ فَ : اللَّهُ

والمتصوفة ينعنون ما سواهم من عباد الله بهذا النعت "أبناء الدنيا" بل ويضيفون : "أن أبناء الدنيا لا يصلحون للأخرة ،

كما أن أبناء الآخرة - أي هم لا يصلحون للدنيا

وقراءة متأنية لحديث : " من يكفله ؟ تنفى عن مناقشة مثل هذه الأقوال .

يَأْمَنُ خَفَاهُ حَالُ الدُّنْيَا وَأَحْوَالُ نَاسِهَا يَتَصَنَّتْ لِي

أَشْحَالُ مَنْ : "قَوْلٌ وَرَدَ فِيهِمْ" يَأْمَنُ صَفَاهُ

نستعرض مع "ابن علي" في هذه القصيدة إذن مجموعة من الأقوال التي وردت في : "حَالُ الدُّنْيَا وَأَحْوَالُ نَاسِهَا".

أَعْلَى الْأَطْمَاعِ رَتَكَبُ حَالِ الدُّنْيَا وَحَيْثُهَا وَعَلَا مَا هِيَ

كَيْفَ مَنْ شَيْدُ سُوْرٍ عَلَى الْقَضَا وَعَمَلَاهُ

حُرُوفٌ "طَمَعٌ" كَيْفَ أَهْلُ الدُّنْيَا جَبَاحٌ مَنْ دَاخِلٌ مَخْرِيًا

وَأَشْ تَرْجَا فَ : الَّتِي خَاوِي عِلَاشُ تَرْجَاهُ

علق "أحمق الجن" على هذا البيت بقوله : لو قدم حرف " العين " وآخر حرف " الميم " لاصبح اللفظ "طعم" وإذن لوجد فيه الكثير

من الخير والبر والوداد . هي نفس الحروف "من داخل مخويا"

هِيَ الْغُرُورُ وَاللَّاهِي بِهَا كَايْفُ لَوْ شَاقَ الْمَدْهِيَا

وَكُلُّ مَنْ سَعَا لِيهَا مَغْرُورٌ خَابَ مَسْعَاهُ

لاحظ حرفية الآية :

وَالْكَانِزِينَ ذَهَبٌ أَوْ قَضَا بِهَا جِبَاهُهُمْ تَضَحَى مَكْرِيَا

فَ : يَوْمٌ يَصِلَا وَأَعْلَى حَرِّ الْجَحِيمِ وَالضَّاهَا

وحرفية الحديث :

جَنَّا لِكُلِّ كَافِرٍ وَسَجَنَ لِلْمُؤْمِنِينَ هِيَ هَذِهِ الدُّنْيَا

مَنْ دَخَلَهَا وَخَرَجَهَا أَشْ خَرَجَ مَغْرَاهُ

وَالَّذِي تَقَدَّمَ تَوَجَدُوا وَالَّذِي تَنَفَّقُوا تَرَبَّحُوا لِأَشْكِيا

وَكُلُّ مَا تَرَكْتَنِي مَخْسُورٌ غَيْرَكَ الدَّاهَا

نُوصِيكَ كَانَ كُنْتِي دَنِيَوِي صَا حَبْ لِّلْاَشْفَا لَ الدُّنْيَوِيَا
عَلَيْكَ بِالتَّنْزِيلِ اَحْزَمَ مَعْنَاهُ وَقَدْ رَأَاهُ
وَيْلَا مَا دُرَكْتِي سَتَيْنَ عَلَيْكَ بَ : الثَّلَاثِينَ الْخَتْمِيَا
وَدِينِكَ تَفَقَّهُ فِيهِ فَ كُلُّ بَابٍ تَفَقَّاهُ
وَقَرَأَ "الْبَيَانَ" وَ "الْمَنْطِقَ" يَصِفِي النُّطْقَ مِنْ كُلِّ الْجَهْلِيَا
وَطَالَعَ مِنْ "التَّوْحِيدِ" الْأَلْفِي اِبْلَغْتَ مَعْنَاهُ
وَحَذَّ مِنْ التَّنْجِيمِ حَسَابَ الْوَقْتِ وَالْفُصُولِ الَّتِي مَسْمِيَا
لِجِبْهَتِ الْقَبْرِ لَا تَتَوَجَّهْ كُلُّ تَوَجَّاهُ
صَلِّيْ وَصُومْ وَاحْمَدْ وَشَكَرْ رَبَّ الْأَشْيَاءِ كَامَلْ كُلَّ عَظِيَا
دِيرْ مَا يَبْغِي رَاحِمَ ضَعْفَانَا وَيَرْضَاهُ
وَعَلَيْكَ بِالْغُرَاسِ لِلْأَشْجَارِ الثَّامِرِ الَّتِي فِيهَا غُلْيَا
وَهَيْبْ غُرْسَكَ فَ : سَبِيلُ الْأَلْفِ تَرْتِجْ ثَنَاهُ
وَتَعْلَمْ "الرَّمَايَا" وَرَكُوبُ الْخَيْلِ لِلْجَهَادِ بِقَصْدِ النَّيَا
وَالسَّقَرِ اتَّخَذْ لِلْحَرْبِ فُرَاشَ وَغَطَاهُ
رَكِّي وَعَشْرُ ، وَصَدَّقْ : ذَاكَ الَّتِي خَلَالَ لِلنَّاسِ الْاَغْنِيَا
وَكُلُّ مَا فَ : الدُّنْيَا دُونَ الْاِحْسَاءِ اَنْ يُكْثَرَاهُ
نُوصِيكَ كَانَ كُنْتِي فَ : الدُّنْيَا لِأَمْوَالٍ لَّا حَرَفَا نَقْلِيَا
لَا غُرَاسَ وَلَا "أَصْلَ" كَاتِبِي شُ ف : كُثْرَاهُ
الرَّفْقُ فَ : الْمَعِيشَا أَفْضَلَ قَالُوا مِنْ التَّجَارَا بِأَلْفِ مِيَا
وَحَذَّ رَاحَا فَ : نَصِيْبِكَ مِنَ الْوَقْتِ وَشَقَّاهُ
وَعَنَّا عَلَى الْحَرَامِ بَ : الْحَلَالُ كَفَّكَ كُلَّهَا نَاسُوا مَغْنِيَا
وَكُلُّ مَنْ يَقْنَعُ بِحَلَالٍ وَكَفَّاهُ وَغْنَاهُ

اسْمَعْتِ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَارِفِينَ الْأَسْيَادِ الْأَتْقِيَاءِ
 الْقَنَاصِعِ هِيَ كَنْزُ الْغَنَاءِ فَمَبْدَاهُ
 "أَقْضِي بِمَا فَ: رَزَقَكَ وَصَبَّرَ حَتَّى الْيَوْمِ الْأَجَلَ أَوْ لَمَنِئِيَّ
 أَشْ بِـ يَدَكَ مَا تَخْتَرُ؟ كُشِبِي لِمَوْلَاهُ
 وَلَا تَشْشَوْفَ دَوْمًا إِلَى وَتَحْسَدُوا وَالْحَسَدُ مِنَ الْكُفْرِ يَنَ
 وَلَا تَقْطَعْ أَيَّ سَكَ مِنَ الْأَلْيِ عَطَاهُ وَغَنَاهُ
 وَبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَا تَبَى فِي لِيكَ كَلَهَا الْأَسْنَانُ سَوِيَّ
 تَنْصَحُكَ وَتَنْصَحِنِي نَصَحَ الْقُلُوبِ وَأَفْوَاهُ
 وَصَايَتِي لِمَنْ يَصْفَى وَالتَّوْفِيقُ مِنَ الْعَالَمِ كُلِّ خَفِيٍّ
 قَدَرُ الْأَلْيِ قَدْ رَزَبَ الْأَشْيَاءَ وَقَضَاهُ
 أَوْصِيكَ كَيْفَ وَصَى "الْحَرِيرِي" قَالَ فَ: الْمَقَامَا السَّاسَانِيَّ
 يَوْمَ وَأَعْظَ وَلِدُوا بِلَطَافَتِهِ وَوَصَاهُ

إِيَّاكَ قَالُوا: تَتَأَمَّرُ لَأَف: الْمَدُنِ وَلَا فَ: الْبَادِيَّ
 أَيُّكَ تَتَّجِرُ لَا حَاجَةَ فَ: بِسِيَعٍ وَشَرَاهُ
 أَيُّكَ الْفُلَاحَا وَالرِّزْقُ الضَّامِنُ يُجِيبُ لِيكَ وَلِيَّ
 سَوَّلُوا: كَيْفَ يَغِيثُ؟ فَ: دَنِيَّتِي وَوَرَاهُ
 لِيْبِ قَالَ لَوْ كُنْ .. وَكَيْسُ .. لَا تَكُونُ فَ: لُسَانِكَ خَشْنِيَّ
 مَسَاعِفُ .. صَرُوحِي .. مَنْ رَمَتْهُ تَعِيْشُ فَ: حَمَاهُ
 بِالْصَّدْقِ .. وَالْوَفَا .. وَالْكَلَمَا .. وَالْعَهْدُ .. وَالْقَبُولُ مِنَ الْوَهْبِيَّ

مَنْ قَبْلَ عَنُورِ الْكَائِنَاتِ هَذَا
 أَيُّكَ الْغَدَرُ .. وَالشُّبُهَاتُ .. وَمَوَاطِنُ الْإِتْهَامِ السُّوَيْيَا
 خَوْفُ : النَّاسِ الَّتِي وَأَتَى كُنْ لَوْ خَلَاة
 وَأَصْلُ الرَّحِيمِ وَلَمْ تَقْطَعْ صِبْلَتُوفُ : قُرْبُ وَلَا بَعْدِيَا
 وَأَصْلُو لَا تَقْطَعْ وَلَوْ يَصِيبُكَ خَطَاة
 وَجَعَلَ كُلَّ مَنْ شَاءَتْ أَمِيرُ وَكُنْ لِيهِ لِيَكْ يَكُونَ رَغِيَا
 وَكُلَّ مَا شَاءَتْ غَنَا عَنْوُ تَكُونُ : سَسْوَاة
 وَسَأَلَ كُلَّ مَا شَاءَتْ فَقِيرُ أَمِنْ تَسَالُفُ : الدُّنْيَا الدُّنْيَا
 لَأَشْرُ مَا تَطْلُبُ رَبُّ الْإِيْمَنُ مَعْطَاة
 نُوَصِيكَ لَا تَجَسَّسْ .. لَا تَغْتَبِ لَا تَنْتَمِ لَا تَجْهَلَ أَصْلِيَا
 كُلَّ مَخْلُوقِ الْأَلِيِّ مَكْتُوبُ لِيَهْ وَدَاة
 وَالْفَاتِيْنِ هَلْ الْمَعَاصِي ، هَذَاكَ شَرُّ مِنْهُمْ : الْمَعْصِيَا
 وَأَعْظُ الْخَلْقِ لَوْ وَجْهُ لَا تَدَمُّ : قَفَاة
 النَّفْسِ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانِ عَمَّا ذَاكَ لَا تَأْمَنُهُمْ قَطْعِيَا
 وَأَشْرُ مَنْ عَاقَلَ يَا مَنْ يَسَا فَيَهِيْمُ : غَدَاة ؟
 غَضُّ الْإِبْصَارِ عَلَّ لِحَرَائِمِ وَفُ : شَوْفَتِ الْحَرَائِمِ كُلَّ خَطِيَا
 رَاقِبِ الْأَلِيِّ خَلْقَكَ فِي كُلِّ حِينٍ وَخَشَاة
 وَاخْتَارَ مَنْ تَرَأَّفَقَ شَوْفُ الَّتِي طَاعَ خَالَقُو جَعَلُوا وَلَفِيَا
 عَسَى يَجْلِبَكَ وَتَوَلَّى لِلْوَحْيِ دَوْحَاة

مَرْجُوْعَنَا الْوَالِدَ قَالُوْا نَاسَ الْحَدِيْثِ وَاهْلَ الْعَرِيْبِ
 وَالْاَطْبَاحِ يَسْرِقُوْا الْاَطْبَاحِ يَا اَللّٰهِيْ تَاَهْ
 نُوصِيْكَ دِيْرَ زَادَكَ مَنْ مَا تَصْرِفُ مِنَ الْاَيَّامِ اَللّٰهِيْ مَخْلِيْهَا
 اَشْحَالَ مَا قَعْتَنِيْ تَرْحَلْ يَا مَذْخَرُ بِسْمِ اللّٰه
 اَقْصِدْ لِلطَّرِيْقِ بِالْاَفْعَالِ الطَّيِّبَا وَتُوجِدْهَا مَخْلِيْهَا
 فِيْ صَحُوفٍ فَعَسَا لَكَ مَا دَرْتَ رَاكَ تَلَقَّاهُ
 اِلَى فَعَلْتِيْ سِيْرًا تَلَقَّا اِنْجَالَهَا وَبِحَ اَهْلَ السِّيْرَا
 وَمَنْ عَمَلٌ حَسَنًا بِالْعَشْرِ رَا صَحِيْحُ مَجَزَاة
 لِمَحَاسِنِيْنَ فَا : الْجَنَّا وَقَرَارُ النِّعَمِ فَا : الْقُصُوْرُ الْعُلُوْبَا
 وَالْجَحِيْمُ يَمْ رَا جِيْ لِلْفَا جِرِيْنَ بِلُصْاَهْ
 اَمَّا خِيْرٌ لِيْكَ ؟ الْجَنَّا وَلِلْ نَارِ يَا لِنَفْسِ الْمَذْهِيْبَا
 يَا اَللّٰهِيْ مَا يَعْرِفُ غَدَاوِيْنَ مَكْلُوْاهْ
 اَبْكِيْ عَلٰى ذَنْبِكَ مَا دَلَّكَ حَتّٰى بِالْدَمَا وَدَمُوْعُ سَخِيْا
 يَا اَللّٰهِيْ مَا زَالَ اَنْهَارُ الْحَسَابِ يَرْجَاَهْ
 هَذَا الْمَوْعِظَا مَنْ عِنْدَ اَللّٰهِيْ عَارِفِيْنَ تَكْفِيْ لِيْكَ وَاِيْهَا
 يَا اَللّٰهِيْ صَابَ اَللّٰهِيْ نَصْحُوْ صَحِيْحُ وَصَاَهْ
 سَتَأْمَنُ الْاَقْسَامُ فَا : مِيَّاتِيْ خَذْهُمْ كُلَّ قَسَمٍ بِوَصِيْا
 وَكُلَّ بَيْتٍ عَنْ اَيَّاهِ وَحَدِيْثٍ قَامَ مَعْنَاَهْ
 وَسَلَامَنَا لِنَاسِ التَّسْلِيْمِ مَا فَاحَ الزَّهْرُ بِنَسْوَمِ دُكِيْا

وَلَا سَلَامَ عَلَى الْعَارِفِ مَنْ نَشَأَ وَغَمَّ سَاءَ
وَالْفَاسِيفِي ف: الْفَيْيَا لَمَلَاكُ جَاوِيُوهُمْ ف: الْفَيْيِيَا
وَلَا يَعْرِفُ الْفَتْسَابُ عَلَيْهِ لَعَنَتِ اللَّهُ
وَشَرَّ مَنْوُ غَاتَبَ الْأَشْرَافَ مِنَ الْقَلِّ وَمَنْ الْبُغْضِيَا
وَمَنْ بَغَضَهُمْ يَبْغِضُ وَفِي أَنْهَارٍ يَرْجَاءُ
أَمَحَبَّتِ الْأَشْرَافَ الْوَجَّةَ الَّتِي جَابِشِيرُ وَنَذِيرُ الْبَرِيَا
وَمَنْ كَرَهُهُمْ يَكْرَهُ مَا يَنْوُزُ ف: حَمَّ سَاءَ
مُحَمَّدَ اسْمِي وَرَجَايَ ف مَنْ لَا يَخِيبُ إِلَّا سَلَامَ رَجِيَا
وَلَدَعَيْنَ الرَّحْمَا نَعَمَ الْجَلِيلُ صَطَفَ سَاءَ
أَعْلِيَةَ الصَّلَاتِ أَمَّنَ اللَّهُ مَا دَامَ الصَّبَّاحُ وَكُلَّ عَشِيَا
مَا تَنْتَهَى وَسَلَامَ اللَّهِ كَيْفَ يَرْضَا سَاءَ

افتتحنا هذه الاغراض الدينية الثلاثة بقصيدة "الصرخا" أي الاغاثة ، وهي لسيدى عبد القادر العلمي . ونحب أن نختمها بقصيدة "الإمامة" زان تلقينو من صلي ف خلف إمام ، وهي لنفس الشاعر .

تقع هذه القصيدة في واحد وستين بيتا على قافية الميم .

وهي ككل رسائل الشيوخ الكبار الى مريديهم ، تتابع المريد في كل أطوار حياته خطوة خطوة .

أَمَّا مَنْ ضَعِيفُ الزَّادِ عَلَى السَّلَوُوعِ رَسَامٌ مَعَا التَّجَارِفِ : بَيَانُ سَوَاقِهَا يَزَاحَمُ

هكذا بدأ القصيدة ... عينة من البشر سباقه في كل ميدان ، وتزاحم رواد كل ميدان .

كَفَاهُ مَسْكِينٌ بِسِيمَتِ هَلْ الْفَنِّ يُسَامُ وَلَا فِ مَلَكُو مَنْ ذَاكَ الْفَنِّ غَيْرُ الْأَسْمِ

يكفي الواحد من هؤلاء أن يصنف ضمن أهل هذا الميدان أو ذاك ، حتى ولو لم يكن يعرف من هذا الميدان أو ذاك إلا الاسم

هو يشير في هذين البيتين الى المشعوذين المتطفلين عى "أسواق أهل الله" لكن المثل ينطبق على كل المتطفلين في كل

المباين ، خصوصا وأنه أضاف :

تَاجِرٌ يَغِيرُ بَضَاعًا بِالْفُضُولِ يَتَهَامُ كِي نَحْلُ يَخْرُجُ حَدَّ شَطَارَتُو يَسَاوَمُ
مَا وَصَلَ مَا وَصَلُوهُ الْوَاصِلِينَ الْكُرَامُ غَيْرَتُهُمَا لَسَقَتْ مَنْ جُمِلَتْ الْمُتَاهَمُ

و يدخل بنا الى صلب الموضوع :

الطَامِعُ بِأَجْرًا لِلْخَدْمَا يَشُدُّ الْحَرَامُ وَيَبْرَبُ : مَخْدُومُو ، وَلَطَاعَتُو يَلَازِمُ

الاجرة هنا هي رضي الله ، هي روح الله ، هي البشرية بالقبول ، والخدمة هي كل الرياضات والمجاهدات من قيام وصيام وأذكار ، وأيضا قضاء حاجات الناس وتقديم العون لهم ، إنما - وكما سبق القول - فإن الامثلة التي يصنعها سيدي عبد القادر العلمي ، يراعي في صنعها أن تكون صالحة للعالم ، كما هي صالحة للدين ، إذ يتوجب على كل طالب آجرة

.....لِلْخَدْمَا يَشُدُّ الْحَرَامُ وَيَبْرَبُ : مَخْدُومُو ، وَلَطَاعَتُو يَلَازِمُ
وَلَا يَكُونُ قَلِيلُ الصَّرْخَا كَثِيرُ لَمْلَامُ عَيُونُ رَأْسُو يَقْظَانَا وَالْقَلْبُ نَائِمُ
وَلَا يَقُولُ خَدَمَ نَاسُ الْحَالِ كَمْ مِنْ عَامُ وَلَا تَنْظُرُ لِلْسَعْدِ بَشَارًا وَلَا عَلَائِمُ
يَجْتَهِدُ فَ : الصَّبْرُ أَوْ يَرْجَا صُرُوفُ الْإِيَامُ كَيْفَ يَرْجَا الرَّاحَا مَنْ هُوَ مَرِيضُ عَادِمُ
وَلَا يَكُونُ مِثْلُ مَنْ يَغْشَاهُ مَرَضُ لَوْخَامُ سَاعَتُ الرَّأفَا يَلْقَا خَاطِرُو مَفَاكِمُ
وَلَا يَكُونُ فَ : لَحْرُوبُ بِلَا سِلَاحُ زَعَامُ بَاشُ يَلْقَى صَدَمَتُ لَوْعَا إِلَى تَلَاطَمُ
وَلَا يَكُونُ عَلَى الْبَعْضُ مِنَ الْوَرَادِ قَدَامُ بَدُونُ "عَارَفُ" شَيْخُ مَرْبِي فِقِيهِ عَالَمُ

نعم إن أهل الملحون يشترطون الشيخ للتلقي ، ومن أقوالهم في هذا الباب : "شَيْخٌ بِلَا شَيْخَا بَاطِلُ شَاخُ" وشَيْخٌ بِلَا شَيْخٍ لَوْعَمَرُ جَبْحُو خَالِي" ، ولكنهم لا يشترطون في الشيخ الذي يعلم الملحون أن يكون بهذه المواصفات : "عارف ، مشيخ .. مرابي .. فقيه .. عالم" : فالمسألة أكبر بكثير من "شيخ لفريحا" أو "شيخ شجيا" إنه الشيخ الذي قال عنه الامام الغزالي في الاحياء ، وفي غيره من كتبه :

ينبغي للسالك شيخ ، مرشد ، مرب ، ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقا حسنا [وفي مكان آخر يقول : [ولابد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله تعالى] ويشترط في الشيخ [أن يكون من فقهاء الشريعة ، ومن المعرضين عن حب الدنيا ، وحب الجاه ، وأن يكون قد تابع لشخص بصير تتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان الشيخ هكذا ، وكان محسنا رياضة نفسه من قلة الاكل والقول والنوم ، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم

وكان بمتابعة الشيخ البصير ، جاعلا محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل ، واليقين ، والقناعة وطمأنينة النفس والعلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوقار وأمثالها ، فهو إذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم ، يصلح للاقتداء به [.

وَلَا يَكُونُ عَلَى الْبَعْضِ مِنَ الْوَرَادِ قَدَامٌ بَنُونَ عَارَفَ شَيْخٍ مَرْبِيٍّ فَقِيهٍ عَالَمٍ

ثم أن الورد تشمل الكثير من العبادات ومن ضمنها الاذكار ، والاذكار تكون ببعض أسماء الله الحسنى، والأسماء الحسنى في تعاليم السادة الصوفية - منها ماهو للذكر والتخلق ، كالكریم جل جلاله ، والحليم جل جلاله والعفو جل جلاله ، والودود جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتعلق ، كالرحمان جل جلاله ، والملك جل جلاله ، والقدوس جل جلاله ، والعظيم جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتحقيق كالأول جل جلاله ، والآخر جل جلاله ، والظاهر جل جلاله، والباطن جل جلاله ، ولهذا لا ينبغي للمريد أن يذكر بإسم من أسماء الله الحسنى إلا إذا أذن له الشيخ .

فالذي تغلب على نفسه الشراسة ، أو الرعونة ، أو الفضاضة مثلا .. ينصحه الشيخ بأن يذكر بإسم القهار جل جلاله ، والذي لا تزال تزل قدمه ولو من حين لآخر ، ينصحه الشيخ بأن يذكر بإسم التواب جل جلاله ، أو بإسم العفو جل جلاله ، والغافل الوجه يذكر بإسم السلام جل جلاله ، أو بإسم المؤمن جل جلاله ، وأصحاب العلل المزمنة ينادون "يارحمان يارحيم" أو "ياأرحم الراحمين" وهكذا ...

فالشيخ إذن هو الذي يعرف طبائع نفوس مريديه ، ويتابع تحولاتها باستمرار ، ويرصد ما يطرأ عليها من تغيير ، وبالتالي هو الذي يعرف ما يصلح حال هذه النفس وما يناسب تلك فهو طبيب نفوس مردييه .

مَا بَلَقِيَا ف : مُسَالَكُ هَلْ الْفَنُ يُرَامُ اصْبَعِ الْأَعْوَجَ مَا وَأَتَاوَةَ الْخَوَاتِمَ
الدَّوَا النَّافِعَ مَرَأً شَرِيْتُوْفَ : لَفْـأَمُ حِينَ يَتَجَرَّعُ بِالتَّكْلِيفِ لِلْحَلَاقِمَ
وَيَسْرِي لِلْجُوفِ يَنْقِي عَفْوَنُ الْاِتْخَامَ مَنِ الْقَلْبِ الْمَلْسُوعُ الْمَبْتَلِي السَّاقِمَ

وهذه فلسفة سيدي عبد القادر في "الصبر والتوكل" كما أشرنا إليها في أول قصيدة من الغرض الأول .. الصبر عند تجرع الدواء ، والتوكل على الله في الشفاء . الصبر على مشاق العمل ، والتوكل على الله في إنجاح العمل .

وفي طريق القوم ، الصبر على الجوع والعطش في الصيام ، والتوكل على الله في القبول ، بل الصبر في كل الرياضات والمجاهدات التي يأمر بها الشيخ ، ومن دون تأفف ولا تبرم والتوكل على الله في إصلاح حال النفس .

التَّلَامَذُ فَحُضُنَ الْأَشْيَاخَ مِثْلَ الْإِيْتَامِ وَمَنْ طَرِيقَ الْقَوْمِ الْمَكْنُوفِ مَا يَخَاصِمُ . مَا يَجَادِلُ ، فَاَلْمُرِيدُ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ شَيْخِهِ يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِمَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا . يقول الامام الغزالي في إحدى رسائله : [أما احترام الظاهر فهو أن لا يجادله ، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة ولو علم خطئه ، وأما احترام الباطن : فهو أن كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن ، لا فعلا ولا قولا ، لئلا يتسم بالتناق [.

وَحِينَ يَكْمَلُ حَالُو وَالرُّشْدُ فِيهِ يَقْهَامُ
كَالْجَنَانِ إِلَى صَبِّ عَلَيْهِ مَزْنُ الْغَمَامِ
يَزَيَّانُ غَرَسُو يَطْفَحُ زَهْرُ وَبَطِيبُ الْاَنْسَامِ
مَا يُلُومُ مَنْ عَشَقَ مَنْ قَاتَ فِيهِ الْفَرَامِ
إِلَى يَشُوفُ خِيَالَ حَبِيبُو ف: طِيبُ الْمَنَامِ
أَمَا إِلَى تَمَّ الْجَمْعُ وَوَأَصَلُّو بِالْاَقْدَامِ
يُصَدِّقُ الرُّؤْيَا يَشْرَحُهَا بِخَيْرٍ وَسَلَامِ
يَرْتَحِمُ: "السِّرُّ الْكَلْبِيُّ التَّامُ الْعَامِ"
يَحُلُّ تَحْجِيرُ وَمَنْ هُوَ عَلَيْهِ حَاكَمُ
وَقْتُ هِجَانِ الْقَاخُوفِ: الدَّجَا الْبَاهِمِ
بَعْدَ زَهْرُو يَنْمُرُ وَيَعُودُ رَوْضُ نَاعِمِ
حَيْثُ جَفَّتُو فِي بَحْرِ الْحُبِّ كَانَ عَايِمِ
يَقُولُ مَا بَاقِي هَجَرٍ وَفَزَتْ بِالنَّعَايِمِ
وَنَادِمُو وَحَيَّا بِهِ عَوَاهِدُ الْمَرَّاسِمِ
يُصِيبُ حُسْنَ الْفَالِ لَتَغْيِيرِهَا مَوَالِمِ
ف: مَنَزَلًا مَحْجُوبًا عَنْ لَوْمِ كُلِّ لَايِمِ

وبعد وصفه لجماليات البدايات ومحاسنها - وليس من الاقطاب الكبار من لا يحن الى لوازم بدايته ويوارقها ، وإلى ما رأى فيها من رؤى ، وما شاهد من مشاهدات - بعد وصفه الشاعري الجميل لبداية التنوق عند المريد .. إلى أن يرحمه الله بما أسماه : "السِرُّ الكَلْبِيُّ التَّامُ الْعَامِ" يبدو وكأنه يخشى على هذا المريد أن ينزلق ، أن تنال منه آفة من آفات الطريق ، فالانس قد يكون السبب في الشطحات ، والقرب ربما أوصل الى التماذي وسوء الادب ، ولهذا نراه يقول له بكامل الصراحة والوضوح :

رُؤُكَ ف: السُّنَّةُ .. وَدَخُلْ تَحْتَ ظِلِّ لَعْلَامِ
وَلَا تَبْدُلْ صَدَقَ الْيَقْضَا بِطِيبِ الْاِحْلَامِ
كُنْ فِي مَجْمَعِهِمْ زَاكِي مَهِيلُ مَبْهَامِ
غَارِسُ الْحِيَلَا مَا يَجْنِي ثَمَارَ الْمَظْهَرَامِ
مَا يَفُوزُ بَغْلًا بِهَا عَلَيْهِ يَنْعَامِ
الْوَرَادُ بَلَا لَذًا نُوْعُ مِنَ الْاِلْهَامِ
مَنْ تَعَبَ ف: الْمَبْدَأُ يَرْتَاخُ عِنْدَ الْخَتَامِ
مَا يُلُوسُهُمْ قَصِيرُ الْبَاغِ بَيْنَ الْاَسْهَامِ
وَلَا تَكْذُرْ صَفْوُ الْحَسَنَاتِ بِالْمُنَاثِمِ
وَلَا تَقَابِلْ سَرَّ اَهْلِ الْكُشْفِ بِالْمُنَايِمِ
كُنْ عِنْدَ الْأَمْرِ إِلَى أَذْنُوكَ عَزَامِ
ابْحَالِ مَنْ يَزْرَعُ حَبَّ الْقَمَحِ ف: السَّمَايِمِ
مَا يَنَالُ الرَّاحَةَ دَغْيَا يَعُودُ نَكَادِمِ
الْقَدِيرُ حَدَاهُ وَجُوفُو عَطِيشُ فَاحِمِ
إِلَى بَرَا ضَرَّ الْقَلْبِ ارْتَاخَتْ الْكُؤَايِمِ
لَوْ يَكُونُ ف: ظَاهِرُ فَعَلُو حَرِيصُ عَازِمِ

وَأَشْ حَقَّ الصَّابِي يَوْمَ الْخُلُوقِ يُفْطَامُ
 غَيْرَ كَأُتْخَرَجَ دَا تُوْمَنَ غَمُوقِ الْأَرْحَامِ
 يُوجَدُ نَعِيمٍ فَصَدَرَ الْأُمُّ بِهِ يَرْحَامُ
 مَنْ فَقَدْ تَيْسِيرُو بَيْنَ اللُّسُونِ يَدْمَامُ
 كَيْدَ هَازِ الدُّنْيَا قَانُونُ شَرْحِ يَغْلَامُ
 صَالِحِ الرَّيِّ الصُّحْبَتِ هَلْ الْخَيْرُ يَلْهَامُ
 كُلُّ مَنْ يَحْضُرَ مَجْمَعِ ذِكْرِهِمْ يَرْحَامُ
 خَلَاوَتِ الْعَطْفِ يَطْلُبُوهَا خُصُوصَ وَعَوَامُ
 وَالشَّبَابِ الْمَرْبُوحِ مَعَ وَقُوفِ الْإِيَامُ
 إِلَى خَفَاوَا أَهْلَ الْحُكْمَا عَنْ عَقُولِ الْغَشَامُ
 لَا لَبَا تَدَيَّ أَوْ لَا طَعَمَ لِيَهْ رَايَمُ
 لَمَنْ أَنْشَأَهُ يَسْبِيحُ وَعَلَى اللَّبَا يَنْهَامُ
 كَيْفَ يَرْجَامُ ضَعِيفُ الثَّبَتِ بِالرَّهَائِمِ
 ضَيْقُ لَمَعِيشَا يَكْسِرُ هَيْبَتِ أَصْلَادِمِ
 إِلَى بَرْقِ ضَيِّ الشَّمْسِ نَزَاحَتِ الدَّوَاهِمِ
 يَا هِنَاهُ إِلَى كَانَ بِحَقِّهِمْ قَسَائِمِ
 يِعَايِنُ الرَّفَا بِاعْتِقَادِ لِيَهْ جَارِمِ
 وَالْأَغْرَاضِ اخْتَلَفَتْ قُطْبَايِغِ الْعَوَالِمِ
 إِحِلَّ بَابِ الْمَنْزَلِ وَيَفْتَحُ الشَّرَاجِمِ
 يَعْرِفُوهُمْ أَهْلَ التَّمْيِيزِ بِالْوَسَائِمِ

بوي لو أستمتر في القاء بعض الاضواء على أبيات هذه القصيدة حتى النهاية؛ إلا أن الاغراض التي لا تزال أمامي كثيرة جداً ، ويتوجب علي أن أترك لكل غرض حصته من صفحات هذا الكتاب . ويرحم الله القائل : إذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار .

وها قد ظهر المعنى الصوفي لهذه القصيدة ، وأرى أن لا خير على القارئ إذا ما تركته مع ما تبقى منها دون أدنى تدخل مني .

اسْتَنْشَقُوا رِيحَ الْمَسْكِ مَنْظَفِينَ الْخَشَامَ
 لَوْ يَنْحَجِبُ عَنْهُمْ ف : دَوَاخِلُ الْمَكَاتِمِ
 الْقَمَرُ مَنْ بَعْدَ يَغْطِيهِ ثُوبُ الْغَمَامِ
 الْفَلَّاسُ تَرَاهُ عَلَى هَالَتِهِ تَرَاكُمِ
 بَيَانَ شَطْرُو وَبَيَاضُهُ مِنَ الْجَوْسَهَامِ
 كِي بَيَانَ الشَّيْبِ مِنْ سَحُومَتِ اللَّمَائِمِ

وَأَشْ مِنْ بَاتٍ عَلَى فِتْرَةٍ وَضَلَّ هَامٌ
كَمَثَلٍ مِنْ بَاتٍ يَصِلِّي وَضَلَّ صَامٌ

المقطع الخامس:

الشَّرِيعَةُ جَزَرَتْ مِنْ فِيهِ بَانَتْ أَثَامٌ
لَوْ زَعَمَ وَابِنٌ قَلْبُهُ مِنَ الْجَهْلِ سَامٌ
وَالْحَقِيقَةُ يَفْعَلُ مَا رَادَ مَوْلَى الْحَكَمِ
عَبْدٌ رَحِمَهُ سَيِّدُهُ مَا ضَرَّتْهُ جَرَايِمٌ
حَيَاةُ بَ : الثُّبُوبَةُ مِنْ يَحْيَى رَمِيمِ الْعِظَامِ
وَأَيْدُهُ بِالْقُرْبِ وَتَقْدُهُ مِنَ النَّقْـالِمِ
الرَّوْعُ الْبَرُّ ، الشَّافِي ، الْغَنِي ، السَّلَامُ
يَنْتَجِ الْعُقْمَاوِيَنْطِقُ الْبِـالِمِ وَأَكَمِ
سِرُّ الْإِجَابَةِ فَ : صُنُورُ الرِّجَالِ مَكْتَمِ
فَوْقَ مَا يَنْكَتُمُوا الْكُنُوزَ وَالْحِـالِمِ رَايِمِ
سِرَّهَا خَبِرُوا بِجُودِهِ لَسُونِ الْأَقْلَامِ
وَحَرَقَ عَادَتَهَا فِيهِ قَصَارَتُ الْفِـالِمِ وَأَهَمِ
نَفَاسُ الدَّرِّ مِنْ جَوَافِ الْبُحُورِ تَغْنَامِ
وَلَا يَغُوصُ عَلَيْهَا إِلَّا شَيْخُ عَزَمِ
مُسْتَمَرٌّ مَعَا مَوْجِ الْبَحْرِ شَيْخُ عَوَامِ
مَنْ الصَّفَرُ مَتَوَلَّعَ بِصَيَادَتِ الْفَنِّالِمِ

كُلْ كَنْزُ ف : بَابُهُ حُرَاسٌ لِيَهْ خُـدَامُ
وَمَنْ وَضَايَفْ شَرْطُهُ الْبُخُورُ وَالْعَزَايِمُ
مَا يَفْتَحُو إِلَّا تَأْقِي حَكِيمٌ نَجَامُ
مَا يَهْمُهُ رَصْدٌ وَلَا تَرْهَبُو طُلَاسَمُ

المقطع السادس :

مَنْ يَنْتَضِفُ مِنَ الْإِنْسَانِ قَلْبُ الْفَلَامِ
وَيَرْتَحِلُ يَبْلِسُ اللَّيْ كَانَ فِيهِ قَامِ
كَالْمَزَانِ إِلَى صَبٍّ عَلَى يَبِيسِ الْكَامِ
زَمَرْدَهُ يَصْبَحُ فَوْقَ بَيَاضِ الْأَرْضِ رَاشِمُ
يَلْبَسُ يَزَارُ خَضَرَ وَيُلُوحُ ثَوْبُ الْخَطَامِ
لِلشَّبَابِ يُولِّي مَنْ بَعْدَ كَانَ هَامِ
عَلَى عَطُوفٍ اجْتَابُوا يَرْخِي صَنَافُ الْكَامِ
مَنْ الزَّهْرُ وَعَلَى الرَّأْسِ يَشِيدُ الْعَقَامِ
يَطْرُ دُخْيَالُ السُّودِ عَنْ ضَمِيرٍ مَقَامِ
حِينَ يَفْتَحُ زَهْرًا نَوَارُ بَتَغْرِ بَاسَمِ
إِلَى نَشْرِ دُرٍّ لَفَاحُوفٍ : السَّلُوكُ نَطَامِ
وَالنَّظَامُ بَزَهْرُو تَتَزَيْنُ الْمَشَامِ
بِهَيْجَتُو يَنْفِي مِنَ الْمَزَاحِ رِيحُ الْهَيَامِ
كَيْفَ تَهْرَبُ الْغَوَارِضُ مِنَ حُرُوفِ الْأَسَمِ

عَلَى كَمَالِ الْحُسْنِ الْبَاهِي النَّائِرِ التَّامُّ
 مَخْتَلَفُ الْأَغْصَانِ وَالْأَغْرَاسِ وَالنَّسَائِمِ
 فِيهِ تَبَهَّتْ وَتَحِيرُ دَهَانُ كُلِّ رَكْـمِ
 رَائِقُ النَّفْسِ مَقْنَنُ صَاحِبِ التَّرَاجِمِ
 مَا يَمِيزُ هَذَا التَّرْتِيبَ جَلْفُ مَبْهَامِ
 زَيَّ أَصَمِّ السَّمْعِ فَ مَحْفَلُ النَّفَائِمِ
 أَوْ زَيَّ مَرِيضِ إِلَى شَاوَرُوهُ بَطْعَامِ
 وَمَنْ عَوَايِدَ الْمَرِيضِ الزُّهْدِ فَ : الْمَطَاعِمِ
 مَا يَلِينُ صَخُورَ الصِّلْدِ سِيلَ الْإِدْيَامِ
 لُؤْيِيَاتٍ عَلَيْهَا وَيَضِلُّ مَاهُ سَسَامِ

المقطع السابع والآخر :

الْعَقِيلُ يَحْمَمُ وَيَفْقَهُو التَّخْمَامِ
 فِي عَجُوبِ الْخَنَاسِ مَهْيَحِ الْمَظَالِمِ
 وَسَاوِسُهُ تَسْرِي فَ : الْأَجْسَادُ سَرَى الْمَدَامِ
 يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ أَوْ الْغُرُوقِ وَالْجَمَامِ
 دَاهُ شَاعَ وَدَاتُهُ خَتَقَاتُ عِلَلِ الْعَالِمِ
 كَيْفَ خَتَقَاتُ فَ : الْعُضَا عَلَّتْ الْبِلَاقِمِ
 مَا يُمْكِنُهُ قُوَّاسُ يَشْدُ فِيهِ بَسْنَاهَامِ
 وَلَا يَطْعَنُو رَمَاحَ قَوِي بَسْنِ فَاصْمَامِ

مَنْ أَعْتَصَمَ بِاللَّهِ وَفَازَ بِالْأَعْتَصَمِ ——— أَمْ
 هَبْتُو تَفْعَلْ فَعَلْ الْبِنْدُ فِي الصِّ ——— أَرَمْ
 وَبَيْنَ مَا يَقْبَلُ وَسَوَاسِ اللَّعِينِ يَرْجُ ——— أَمْ
 يَنْطَرِدُ وَالْجَمْرُفُ : نَحْرُو لَهَيْبِ ضِ ——— أَرَمْ
 قَوْمَ طَهَّرَهُمُ الْمَوْلَى قُلُوبَ وَجَسَ ——— أَمْ
 لِ : يَبْلِيسُ يَظْهَرُوا فِي صُورَةِ الدَّرَاغَمِ ———
 مَا يَبَارِزُ الْعَدُوَّ صَافِي يَقِينُ بَخْصِ ——— أَمْ
 حَيْثُ عَرَفُو يَسْرِي اللُّغْرُوقُ فَ الْمَنَ ——— أَسْمْ
 وَمَنْ سَلَّمَ مَنْ ضَيِّمُو مُحَالَ وَاشْ يَنْضَامْ
 صَارَ مَقْلُوبُ ، وَالْمَقْلُوبُ مَا يَلَاطُ ——— أَمْ
 مَا يَنْحَجِبُ مَنْ نَزَعَاتُ الْعَدُوِّ الْمَشْنُ ——— أَمْ
 غَيْرُ مَنْ بِالْحَقِّ يَقِينُ صَدِيقُ جِ ——— أَرَمْ
 وَمَنْ صَفَى مِنْهَا جَوْ وَلَقَى سَعُودَ الْإِيَامْ
 رَأَيْسُ الْحَكْمَةِ بِالْحَاجَةِ يَجِيءُ قِ ——— أَدَمْ
 أَهْلُ الْوَفَا نَظَرْتَهُمْ لِكُلِّ ضَرٍّ مَرَهَامْ
 وَالْمَالَمُ مَا يَسْتَفْنَى عَلَى التَّمِ ——— أَيْم

اللازمة:

زَانَ تَقْلِيدُ مَنْ صَلَّى فَ خَلْفَ الْإِمَامِ
 إِلَى يَكُونُ فَ سَرَّ ضَمِيرُ يَقِينُ جِ ——— أَرَمْ

لا يفوتني أن أشير في نهاية هذا الغرض الى أن من بين قصائده ما يصل عدد أبياتها الى ست مائة بيت كوصية بوخريص مثلاً :

يَا الْغَافِلُ عَنْ مَا يَعْنِيهِ وَالْعَمَرُ حَانَ قُمْ ، وَأَعِزَّمْ ، وَأَخْذَمْ ، يَكْفَى مِنْ انْفِرَعَيْنِ
أو وصية بوزايد :

يَا هَٰذَا النَّفْسُ اللَّيِّ مُجْرَعَانِي كَيْسَانَ الْأَسَى رَجَعِي بِي مَا حَدَنِي لِدَابَا مَا قَاطَعَ يَأْسُ
أما قصائد المائة بيت ، أو أقل بقليل كحالية مريفق ، وهي نظرات في سياسة النفس على جانب كبير من الدقة .

يَا الْعَاقِلُ نُورُ الْإِلَهَامِ ضَنَّ وَقَّاسُ بِهِ تَدْرِكُ لَعْقُولُ نَفَائِسُ النَّفْسِ الْيَأْسُ
أو ثائية سيدي عبد القادر ، وفيها من غزير علم الاجتماع ما الله به أعلم :

لَعَبٌ مِنْ غَيْرِ شَطَارًا فَوْقَ رُؤْسِ حَرَبَاتٍ هَكَذَاكَ ابْنُ أَدَمَ مَثَلْتُ فِي عَشْرَتُـ
أو الدار لنفس الشاعر :

أَشْ مِنْ عَارٍ عَلَيْكُمْ يَارِجَالَ مَكْنَّاسُ مَشَاتُ دَارِي فَ حَمَاكُمْ يَا هَلْ الْكَرَائِمُ
على كل حال وصيات الملحون تعد بالملئات وليس بالعشرات .

- الغرض الرابع " الربيعيات "

"الربيعيات" بتشديد الراء مع تسكينها ، هي الإبداعات الفواحة بعبير الورد والازهار ، الصداحة بأغاريد كل أنواع الطيور .

"الربيعيات" هي قصائد الاجواء عندما تخلو من غنائمها الداكنات السود ، قصائد السماء وهي تستعيد شبابها وصفافها ونضارتها ، قصائد الارض ، هذه العروس وكيف تراءت لشعراء الملحون في حفل زفافها ، وكيف أصبحت في "اصبوحى" وهي كلها مستعدة للاخصاب .

ويتواضع العلماء ، أطلقوا على هذا الغرض بكل بساطة "الربيعيات" والحق أن هذا الغرض ، أكبر بكثير من هذه التسمية : الربيعيات ذلك لأن سائر الإبداعات الملحونة ، التي يشملها هذا الاصطلاح ، لم تقتصر فقط على الربيع ، وإنما شملت الطبيعة ككل ، ولم تتناول الربيع إلا من حيث أنه جزء من كل ، ويعبر عن الكل . وسوف نرى أن هذه الربيعيات لم تقتصر على وصف الربيع فقط ، وإنما وصفت لنا أولا الفصل الذي يسبق فصل الربيع ، يقول متيرد :

زَلْزَلُ الرِّعَادِ سَهْلُو وَوَعَارُو بَاتَ طَالَعٌ وَاصْبَحَ لَمَاعٌ مِنْ بَرُوقِ تَشِيرُ
وَرِيَا حَهَا تَشَالِي وَمَزُونُ كَمَا الْجُحُوفُ مَسْطُورَا

ويقول ابن سليمان :

السَّحَابُ إِلَى هُمَا سَحَبُوا اللَّبَطَاحَ يَرْقُمُ الْفَلَكَ رِقَامَ الرَّعْدِ فَ : الْمَلَامَحُ
وَالْبَرْقُ بِحَسَامُو يَبْدُو وَشَجِيعُ الْكَفَاحِ وَمَنْ سَيُوفُ الْهَجْرَ قَلْبُ الْعُضَا امْجَرَحُ
وَالرَّعَادُ اِيْزَكَلُمُ طَبَلُو عَلَى الْوَفَا صَاحُ حَمَلُ جِيُوشُو نَارُ جَمِيعِ كُلِّ نَائِيحُ

ويقول نفس الشاعر :

الرَّعْدُ زَامُ طَبَلُو مَنْ بَعْدَ قَنَاطَرُ السَّمَائِمِ وَالْبَرْقُ سَلُ سَيْفُو وَيَخْبَلُ فِي سَلُوكِ لَمِيرَانُ
وَالرَّيْحُ فَارَسُ اِيْشَالِ سِي عَنْ عَقَابِ الْعَلَفَاتِ فَ : خَلْفَهَا مَشْمُورُ

ووصفت لنا ثانيا أين يكون الربيع ، البساتين ، الجنان ، الرياض ، السهول ، الجبال ، المروج ، الربى ، يقول التهامي المدغيري :

يَا الْعَرِصَةَ صَوْلِي صَوْلِي بِطِيبِ الْأَطْيَابِ سَاكُنَكَ سَيِّدِي وَلَدُ السَّاكُنِينَ طِيبًا

ويقول بن مسعود :

اِبْلَغْتُ الضَّأضَ انْسَارِينَا جَمِيعَ فَرِيَاضَ فَ : الشَّتَّى وَالشَّمْسُ أَوْ الشَّرِيفُ ضَلَّ رَاضِي

ووصفت لنا ثالثا نتائج الربيع ، أو لنقل آثاره في الكائنات الحية التقارب ، التفاهم ، التجاوب ، الالفة ، التزاوج من أجل تخليد النوع ، أي نوع : الانعام ، الدواب ، الوحوش ، النحل ، النمل ، الفراشات الطيور ، الانسان ! نعم الانسان ... ولم لا ؟ أليس الانسان أيضا من هذه البيئة الطبيعية التي تحيط بالشاعر ، والتي يصفها لنا في هذه الربيعيات ؟

فأنا في ترتيبتي للاغراض ، جعلت "الربيعيات" و"العشائقيات" و"الخمريات" في مكان واحد، لاعتقادي بأن هذه الاغراض الثلاثة يكمل بعضها البعض الآخر ، تماما كما هو الحال في الاغراض السابقة : "لا إله إلا الله" عنوان التوسلات ، محمد رسول الله "عنوان المدائح ، وحاصل هذا الاقرار ، مكارم الاخلاق التي اشتملت عليها "لوصايات".

ولعمري أن كل هذه الربيعيات التي ربما وصلت في عددها الى ثلاث مائة إبداع ، من "قصائد" وسرايات و"عروبيات" هي من باب "وأما بنعمة ربك فحدث" فالارض التي أكرمها الله تبارك وتعالى ببحرين بدل البحر الواحد ، المحيط الاطلسي ، والابيض المتوسط وكم تصب في هذين البحرين من أنهار ، وعيون ، وأبار ، وشلالات ، وهذه التربة الخصبة الغنية المباركة ، قطع متجاورات عند النظر ، وغير متجاورات في العمق ، ليكون التنوع ، وليجعل الله لنا فيها من الخيرات ما تفرق في غيرها من أراضي الاوطان ، وهذا الجو المعتدل الجميل ، وهذا النسيم العليل المنعش ، لا في الاصائل ولا في البكور ، وهذه الشمس التي أرادها المنعم الكريم صالحة لهذه الارض ، ونافعة لابنائها في سائر فصول السنة ، لو صادف كل ذلك - لا قدر الله البشر

المديم الذوق ، المتبلد الاحساس ، ... است الشعور ، المتحجر العواطف ، أولا تتلقه الغفلة ويطمره الاهمال ٩
ولكن لا .. المنعم الكريم ، الكامل ، الجميل ... الودود ... قد أتم نعمته علينا إذ جعلنا لا نغفل أبدا عما أنعم علينا به من
نعم لا يحصوها عدد ، بل ننتفع بها وننعم ، ونحمده ونمجده ونثني عليه ..

ف : السي التهامي مثلا - كما سنرى في النص الكامل - يختم الربيعية بقوله :

وَأَجِبْ أَنْحَمْنَا وَنَشْكُرُوا تَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى النِّعَايِمِ لَجْزِيلاً رَبَّنَا عَطَاهَا

ونجد من لا يستطيع الانتظار الى آخر القصيدة ، بل يحمد الله ويشكره ويثني عليه : مع كل رؤية ، مع كل صورة ، مع كل
خاطر ، الحاج الحسن بنشقرون مثلا :

يَنْعَاتُ أَنْوَارَ الْعَفَا وَكَسَاةَ الْأَرْضِ طَلَقَاتُ اغْصَانِهَا الْفَضَا تَسْتَرْضَا

مَنْ شَاهَدَهَا كَمَا نَشَاهَا رَبَّ الْأَرْضِ بِقَدَرَتْ مَوَاهِبُ كَمَا حَتَمَ وَرَضَا

وَجَعَلَهَا لِلْعَيْنِ ف : النَّظْرَا تَرْضَى

غَاتَهَا لَكْرِيمَ ، الْوَفَى ، الْبَرَّ ، لِحْفِيطْ لَأَحْتِ رَدَانْ غَطَاهَا وَالْكَرِيمَ حَافِظْ

ويقول في موضع آخر من نفس القصيدة :

ذَا الْمَلِكُ الشَّامَخُ الْمَتِينُ اللَّيْلُ يَنْقُضُ سُبْحَانُو كَامِلُ الْعَطَا قَاضِي الْقَضَا

يَا سَاهِي تَرَكَ سَيْنَتُ النَّوْمِ اسْتَيْقِظْ وَرَشَدَ الْأَعْيَانِ مَنْ سَهُوَهَا لِيَقْضَا

تَنْظُرُ مَا خَلَقَ مَا لَكَ الْقُدْرَا وَقَضَى

حتى الذي يغفل أو يتغافل بسبب من الاسباب ينبهونه :

يَا سَاهِي تَرَكَ سَيْنَتُ النَّوْمِ اسْتَيْقِظْ "فَارَقْ سَهُوَكْ نَظْرَ الْأَكْوَانِ" "حَلْ عَيْنِيكَ وَتَنَزَّهْ زِدْ شَوْفَ وَسَطَابِ" والامثلة كثيرة .

وإذا كان متيرد ، والازموري ، وبين سليمان ، وبين علي ، والغرابي ، والحاج إدريس ، قد جعلوا في ربيعاتهم مجرد أبيات
لحمد الله وشكره والثناء عليه ... فإن بن اصغير ، وبين سليمان وفنور لحنش ، ولهويتر ... قد خصصوا ثلاثة أرباع الربيعيات
إما للتوحيد ، وإما للمديح النبوي وإما لهما معا .

نقرأ ربيعية بن الصغير الصوري فلا نجد فيها من جو الربيع إلا المقطع الاول ، والمقطع الثاني أما ما تبقى فليس إلا في
توحيد الله والثناء عليه ، سوف نلتقي بمحمد بن الصغير الصوري في الملحن الروائي ، أو القصصي ، إنما الآن نثبت له هنا
هذه الابيات العشرة من ربيعية له في "لرما الثلاثية" للدلالة على أن جل قصائد الربيع ، ماكان وصف الربيع فيها إلا كمركوب

إما للوصول الى توحيد الله جل علاه ، أو للوصول الى مديح النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم .
والشاعر المغمور بن الصغير الصوري ، الذي لا تكاد تعرفه الا قلة قليلة من أهل الملحون هو من فحول الشعراء ، كما
سيلجظ القارئ الكريم لا في الابيات التالية ، ولا فيما سندرجه له من شعر قصصي في الغرض السابغ من هذه الاغراض
العشرة .

ويمتاز بن الصغير رحمه الله بخصوصيات لا نجدها أبدا عند غيره من الشعراء ، من هذه الخصوصيات ، التركيز على
جزئية صغيرة بسيطة قد لا ينتبه اليها أحد ، مع وصف شامل لدقائقها ، وتفاصيل تلك الدقائق .

فمثلا في قصيدته "الشمس والشتا" ، نجده يركز في المقطع الاول بكامله ، على أشعة الشمس ، وهي تنفذ من بين
الاعصان لتنعكس على أوراق الشجر ، بما عليها من قطرات المطر ، أو لتشع في سلوك النور .

شَوْفْ أَنْوَارْ الشَّمْسْ سَاطِعَا .. شَوْفْ الطَّلَّ قَطَاطِرُو مَلَاتْ الْوَرَقْ أَوْ الْإِزْهَارْ
تَتْبَاهَا كَالدَّرْ وَالتَّبَّارْ .. فَرْقِصْ أَلْوَانَهَا اتَحِيرْ النَّظْرُ أَرَا
وَالنَّازِلْ لِي هَا إِلَى تَمَلَمَلْ فَ : النَّظْرَا كُلْ لَوْنْ يَتَبَدَّلْ فَ : الْبَصَرْ
وَتَوَلَّى لِلْوَانْ فَ : النَّظْرْ .. تَتَرَاقَصْ كُلُّهَا وَالْأَفْكَارْ أَحْيَا
حَبَّاتِ الْبَلُورْ .. أَوْ جَوْهَرْ .. أَوْ الْيَاقُوتْ وَالتَّبَرَا أَوْتَقْ .. وَلِأَدْرَارْ
فِي سَايِرِ الْأَوْرَاقِ ذَا لَشَجَرْ .. وَعَنْ وَرِيقَاتِ كُلِّ زَهْرْ أَوْ نَسْرْ وَأَرَا
وَشَعَى ضِيَّ الشَّمْسْ كَالسَّبَايِكْ .. تَنْفَذْ مِنْ كُلِّ جِيهْ مَا بَيْنَ غُصْنِ الْكُثَارْ
وَمَا عُلَّ الْأَوْرَاقِ مَنَ الدَّرْ .. يَتَبَارَقْ بَيْنَهَا وَالْمَطَرْ هَمَّ أَرَا
يَأْمَنْ شَافَ الشَّمْسْ وَالشَّتَا فَ : رِيَاضَاتِ الْوَرْدِ وَالزَّهَرِ وَالنُّورْ أَوْ الْإِنْوَارْ
حَالَتْ صَحْوَا فَ حَالَتْ الْمَطَرْ .. وَالْمَاصَافِي شَرِيقْ وَالْكُونْ مَنْ أَرَا
شَوْفْ دَمُوعَ الْفَرْحِ عَنْ خُودِ الْحَرَاجَاتِ مَنُورَا أَشْرِيقَا مِنْ دُونِ غَيَارْ
مَا فِيهَا لَا حُزْنَ لَا كُودْ .. وَالْدُّنْيَا شَارِقَا يَمِينْ أَوْ يَسَارْ

ركز فقط كما لا شك قد لاحظ القارئ الكريم على قطرات المطر ، وهي تبدو عالقة بأوراق الأشجار وكتتها : حبات البلور ،
أو جواهر ، أو الياقوت والتبرا أو تقول درار وتسلل أشعة الشمس من بين الخماثل والاعصان لتنعكس على تلك القطرات

فتحولها الى أحجار كريمة ترسل الالوان الزاهية البراقة ، التي تتراقص أمام الناظر وفق حركاته الخفيفة التي قد لا يحس بها .

أما المقطع الثاني يصرفه بكامله في التعجب ، الماء لا لون له ، ويلون كل الورود والازهار ، الماء لا عطر فيه ويعطر كل هذه الرياحين ... وهكذا ... وهكذا ... الى نهاية المقطع .

شَوْفُ حَرَّاجِ الْأَرْضِ كَالزَّرَابِي ، وَتَأْمَلُ فِي رُكْبِمَهَا لَا عَلَلَّ تَحْتَـ
 كَيْفَ حَتَرْتُ أَنْفَ : مَا ظَهَرَ وَذَهَلْتُ أَوْتَهْتُ كَيْفَ تَاهُوا شَعَارًا
 يَاكَ الْمَا هُوَ الْمَا اللَّيْ خَالِي مَنْ لِلْوَانِ كَيْفَ حَتَّى لَوْنُ الْأَزْهَارِ
 ذَرَقَ وَيَبْيَضُ وَصَفَرُ وَالْأَحْمَرُ وَالْوَانِ كُنَّارَ مَا التَّوَصَّفُ بِبِشَارًا ؟
 يَاكَ الْمَا هُوَ الْمَا اللَّيْ خَالِي مَنْ لِلْوَانِ كَيْفَ حَتَّى غَلَّتِ الْأَشْجَارُ
 فَ : الْوَانِ اللَّيْ مَا لَهَا أَحْصَرَ مَا بَيْنَ أَوْدَاقِ فَ : الْغَرَّاشُ الْمَخْضَارُ ؟
 وَالْبَرْقُوقُ أَمْعَا الْعَنْبِ مَآوِي وَالتَّقَّاحُ أَوْجَاصُ مَتَبَضَّعُ فَ : التَّشْبَارُ
 وَالرُّمَّانُ مَجُوهَرُ آيْتُهُرُ وَاللِّيمُونُ شَنَّانُ أَقْيَاسُ غِبَارًا
 مَنْ يَخْبُرُ غَيْرُ كَيْفَ حَتَّى يَخْتَالِفُ فَ : اللَّوَانُ كُلُّ مَارَاتِ ابْصَارُ
 أَوْفَ : النَّوْعُ الشُّوْفُ النَّظَرُ أَوْفَ : الطَّيْبُ خُلَاصُ طَيِّبًا حَيَّارًا ؟
 حَقُّ الْحَقِّ أَصَاحُ رَأَاهُ مَا كَايْنُ غَيْرُ اللَّهِ صَانِعُ أَوْبَادِ مَا يَخْتَارُ
 سِرُّ اللَّيْ الْمَالِكُ الْأَكْبَرُ جَلَّ جَلَالُ الْجَلِيلِ فِي كُلِّ إِشَارًا

وهكذا دخل بنا بنو بن الصغير الى التوحيد من أحد أبوابه الواسعة ، باب الإبداع الموصل الى المبدع . أي أنه ركب وصف الربيع للوصول الى التوحيد ، وكذلك فعل بن سليمان من قبل ... كتب ربيعية في عشرة أقسام ، خصص النصف الاول لوصف الربيع ، والنصف الثاني لتمجيد الله ، والثناء على رسوله .

السَّحَابُ إِلَى هُمَا سَحَبُوا اللَّبَطَاحُ يَرْقُمُ الْفُلُكُ رَقَامُ الرُّعْدُ فَ : الْمَلَامُحُ
 وَالْبَرْقُ بِحَسَامُ يَبْنُو شَجِيعُ الْكَفَّاحُ وَمَنْ سَيُوفُ الْهَجْرَا قَلْبُ الْغَضَا امْجَرَّحُ

وَالرَّعَادُ اِيْزَكَمَ طَبَلُوْا عَلٰى الْوُغٰى صَاَحْ
حَمَلْ جِيُوْشُوْ تَارْ جَمِيْعْ كُلْ نَّصَايَحْ
وَالْمَطَرُ يَرْسَلْ لِلْيَبِيْدَا عَلْوَمِ الْقَرْحْ
كَايْقَرْحْ بِقَدُوْمِ الْغَيْثِ كُلْ قَاَرْحْ
حَنَ قَلْبِيْ بِيْكَالْغِيَامِ عَنْ التَّجِيَاَحْ
وَصَبَبَتْ اَعْيَانِيْ عِلَلْ لَخُدُوْدُ دَمْعْ كَاَفَحْ
هَبَّتْ رِيَاَحُ الْغَيْثِ عَلٰى غُصَاَنِ الْاَدْوَاَحْ
سَرَهَا يَسْرِيْ سَرٰى الرَّاَحْ فِ الْجَوَاَرْحْ

فرقعات الرعد هي طبول الحرب لجيش تكفل بأخذ ثار كل "نايح" مما سبق من جفاف ، و "قوس قزح" هي أعلام البشرى بالفرح تلوح بها السماء الى الأرض .

وأخيرا تأثره ببيكاء الغيم من : "التجياح" أي ما اجتاحت الأرض من ويلات الجفاف .

حَيَاتِ الْأَرْضِ مَوْتَهَا مِنْ بَعْدِ الشُّوْمِ كَمَا تَحْيِيْ اَشْوَاهِدَ قُلُوْبِ الْفُهْمَامِ

أي معنى رفيع يمكن في هذا البيت ؟! أية معلومة دقيقة تجمع بين صدره وعجزه ؟! المطر ينزل من السماء فيحيي الأرض بعد موتها ، والشواهد - القرآن ، الأحاديث القدسية ، الفتوحات ، الفيوضات ، الوهب الإلهام - أيضا تنزل من السماء فتحيي "قلوب الفهم" ، ولقد كان شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي رحمة الله عليه يقول : الرحمان بإثارة القلوب بالغيوب ، إذ «الرحمان علم القرآن» ... والرحيم برزالة الكروب والعيوب : «سلام قولاً من رب رحيم»، صدق الله العظيم .

كَأَنْتَیْ فَارَقَاتْ لَبْعَلْ كَمْ مِنْ يَوْمِ
بَاتَتْ فَ : الرَّهْوْ إِنْ بَانَ الْفَجْرُ اَعْلَامْ
حَمَلَتْ مِنْ زَوْجَهَا مِنْ بَيْنِ غُشَاهَا نَوْمِ
صَبَحَتْ فِي ثَوْبِ عَبْقَرِيْ يَسْحَرُ الْاَنْيَامْ

وَضَعَتْ فَصْلَ الرَّبِيعِ وَالْخَيْرِ الْقُدَامِ

إنه - ككل فحول الشعر الملحون - ينطلق الى وصف الأرض من التعبير القرآني المعجز [وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ] صدق الله العظيم .

فِقْ مِنْ سَيِّنَتْ نَوْمَكَ يَا غَفِيلَ تَنْظُرْ
وَرَدَّ وَزَهَرَ حَمَلْ طَيِّبُوْ نَسِيْمِ نَشْرُوْ
كُلْ وَرَدَا عَنْهَا "حَبِ النَّدَا" مِنْجَوْهَرْ
عَمَّ بِسْتَانِيْ لِلْعُشَاَقِ طَيِّبْ زَهْرُوْ

الجزئية التي وقف عندها بن الصغير الصوري المقطع الاول بكامله ، "حب النداء امجوهر"

كُلْ مِنْ فَ : الْحَضْرَا بِيْرَايْقِيْ اَتْخَمَّرْ
دُونِ مِنْ طَامَسْ شَيْطَانُوْ بَصَارْ فَكْرُوْ
قُمْ يَا سَاهِيْ تَنْظُرْ لِيْ شَمُوسُ الْبَطَاَحْ
كَيْفَ زَادَتْ حَلَّتْهَا سَرَّ لِلْبَطَطَايَحْ

وَسَجَلَجَلْ يَا قُوتَ عَلَى كَفُوفِ الْأَنْوَاحِ وَالْأَشْجَارِ غَرَايِسَ بَعْصَانَهَا تُصَافِحُ

إنها فرحة اللقاء في مهرجانات الربيع ، الأشجار تتصافح بأغصانها ، غصينات الأغصان وكائنها الأكف تحمل جواهر حب النداء وسوف يبدأ الغناء ، والرقص وتبدأ التصفيفات ، وتشارك الطيور بألحانها في عرس الأرض البهيح .



تَتَصَافِحُ بِالْكَفُوفِ فَرِيَاضِ السُّلُوفِ وَأَنْ
وَتَوَادِدُ بَعْضُهَا الْبَعْضَ بِسُكْرِ بَنِيْنِ
وَتَصَفِّقُ بِالْوَرَقِ تَتَرَأَّقُ الْأَغْصَانُ
عَنْ صَوْتِ الْبُوحِ وَمَ لَحْسَنَ وَمَ قَنِينِ
الْأَطْيَارِ صَوَاتُهَا تَرْنُ بِلَا عِيْدَانِ
وَالنَّحْلُ يَجَاوِبُ الْأَطْيَارَ بِصَوْتِ حَنِينِ

انشأت الطيَّارُ نَغَائِمَهَا فَ : رَوْضِ الْأَشْجَارِ
عَرِيطَتْ مِّنْ جَرِيَالِ الطَّلُفِ : الْمَنَابِرِ
فِي رِيَاضِ السُّلْطَانِ الْوَرْدِ مِيرَ الْأَزْهَارِ
لِيَهْ أَدَاتِ الْبَيْعَا سَايِرَ النَّوَارِ
مَا تَرَى فَ : الْمَشُورَ إِلَّا سَيُوفَ وَرَمَاحِ
مُصَافِينَ عَلَى صَفِّ اجْدَاوِلِ السَّوَارِحِ
فَارَغِينَ الْكُدَّارِ مَوْهَبِينَ الْأَرْوَاحِ
كَتْهُمْ هَمَامَ عَلَى جِيْشِ جَنْدٍ فَالْحِ
كُلَّ قَائِدَ مِّنْ قِيَادِ الْجُنُودِ طَمَاحِ
وَكُلَّ حَامِلَ لَعْلَامِ سَمِيْتُو الْفَاحِ



دَارَتْ بَيْنَ الْكُتَائِبِ عَلَومُ الْخَابُورِ
دَارَتْ لِلْمِيرِ مِّنَ الْيَبْرِيزِ جَوَامِرُ
وَالنَّسْرِي نَاشِرُ الْمُضِلِّ عَلَى الْمُنْصُورِ
وَهَذَاتِ الْيَاسْمِينِ لِلْمِيرِزِ نَانِرُ
وَالْخَيْلِي فِي تَبَاعَتِ الْوَرْدِ الْمَعْطُورِ
بِمَنَا يَرْضَا وَيَأْمَنُ الْحُسْنُ الزَّاهِرُ

وَنَا مَقْتُونُ فَوْسَطِ الضِّيِّ الْبَاهِرِ

وَالنَّسِيمُ الْفَانِي يَهْدِي غَرَايِمَ الْيَاسِ
لِيَهْ نَاصِبَ طَمَاحِ فَوَاهِ مِّنْ خَمَاسِي
وَالْعَشِيقُ يَرْزُ لِلْمَعْشُوقِ فَ : الْكُرَاسِي
وَالْغُصَانُ السُّكْرَانَا دَالِذَاكَ مِيَّاسِ

وَالْبَهَا يَسْقِي لِلزُّجْجِ صِرْفَ مَنْ كَاسٍ
وَالْبَهْرَ بَاهِي وَالسُّوسَانَ رَاحِفَ جَنَاحٍ
وَالنَّخْلَ بَقْلًا يَدْتَمِرُوتُهُجِ الْاَفْـ رَاحٍ
مَنْ حَرِيرِ السُّنْدُسِ حُلَّ لِإِيهِ كَاسِي
وَالزُّيُودَ وَتَسِيمِ الْقَيْقِلَانَ فَاصِيحٍ
بِالْعُقُودِ الْمَنْظُورِ مَا كُلُّ جَدَعٍ مَاصِيحٍ

☆☆☆

خَرَجَاتٍ لَزَهُوْهَا حَوَادِقُ مَرْدَدُوشٍ
وَقَرْنَقَلٍ عُلْدَمِي وَشَاكُوكِي مَرَشُوشٍ
وَمَدِيدَشٍ مَنْ مَدِيلُكَ غَايِرَ مَفْـ رُوشٍ
وَصَبِيحَ جُنْدِ الشَّقِيقِ بِالْفَرَحِ فِ : تَشْوِيَشٍ
وَالزُّفْرَانَا فِ : طَاعَتِ السُّلْطَانَ بِجِيَشٍ
لَبَسَ جُنْدُو ثِيَابَ خَابُورِي لِلْفِيَشِ

وَالْحَرَكَ طَائِلًا وَقَضَاهُ التَّوْحِيَشِ

زَهْرَتِ أَفْنَانِ الرُّوضِ الْيَانَعَا بِالْأَصْنَافِ
مَا تَخَطَّاهَا بَعْلٌ مِنْ أَجْنَانٍ بُوَصَّافِ
ضَمَّتْ أَشْمَائِلَهَا فَابْسَاطٍ لِيهِ تَشْـ رَافِ
مَا بَخَلَّتْ أَهْلَ الْفَنِّ مَخْمَرِينَ الْاجْتِبَاحِ
وَالزَّهَرَ بِالنَّسَمَاتِ يَفُوحُ عِنْدَ الْاَصْبَاحِ
بَاهِيَا عَذْرَا بَكْرًا سَبَلَتْ السُّوَالِفِ
كَتَبَهَا حُورِيًّا فَتَنَّا لِكُلِّ عـ رَافِ
لِكُلِّ مَعْنَاوِي صِرْفَ كَوَائِبِهَا تَرَادِفِ
بِالْتَمَرَحِيبِ طَلَقَتْ الْخُوفَ وَالتَّسَارِحِ
وَالْأَشْجَارَ تَرِيَّاتٍ غُلُولَهَا امْصَاحِ

☆☆☆

ويانتهاء هذا المقطع ، وهو المقطع الخامس من القصيدة ، ينتهي وصف الطبيعة ، الذي كان مجرد مركوب للوصول الى توحيد الله والثناء على رسوله .

هَذَا تَسْخِيرُ مَا لَكَ الْمَلِكُ الدِّيَّانُ
الْعَالَمُ مَا اخْفَا وَمَا نَظَرْتَ الْاَعْيَانُ
مَنْ فَضَّلَ دِينَنَا عَلَى سَائِرِ الْاَدْيَانُ
تَكْوِينُ الْكَائِنَاتِ بَيْنَ الْكَافِ وَنُونُ
إِلَى قَالَ الشَّيْءُ : كُنْ فِ حِينَ يَكُونُ
لَا جُلُوَ خَلْقِ الْاَكْوَانِ خَالِي وَالْمَسْكُونُ

وَصَبِيحَ يَبْلِيسَ فِي حَزَنٍ سَجَنُو مَرَكُونُ

لَا حَتَّ شَمُوسُ الْحَقِّ عَلَى السَّلَامِ حُلًّا

و من هنا ينتقل بنا الى تمجيد الاسلام ، والثناء على نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونحن كما لم ندرج الشطر الاكبر من قصيدة بن اصفير لان مكانه الغرض الاول : "التوسلات" ، كذلك سوف لا ندرج ما تبقى من قصيدة بن سليمان لان مكانه الغرض الثاني "المدائح النبوية" .

ونكتفي بهذين النموذجين ، من القصائد التي لم يكن وصف الربيع فيها الى وسيلة للوصول الى غاية أسمى وأعمق ، لننتقل الى القصائد التي يكاد يكون وصف الربيع فيها ، غاية في حد ذاته ، القصائد التي تصف الربيع ، من بدايتها الى نهايتها .
من هذه القصائد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الجليلي متيرد :

سَعْدُ السَّعُودِ خَيْرٌ بِخَبَارٍ عَامِنَا عَامَ الْبَرَكَا وَالْهَنَّا وَعَامَ الْخَيْرِ

مَنْ بَرَكْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَى بَاهِي الصُّورِ

وللشريف بنعلي :

نَادَا وَقْتُ الزَّمَانِ لِلنَّظَرِ وَالنَّظَرُ فَيَا رُبَّ الرَّبِيعِ تَجَارَا

لَهُ مَا تَزْهَى يَا خُنَّارُ

وللحاج الحسن بنشقرن :

هَلَّتْ مَزُونُ الْغَيْتِ عَلَى بَطَاحِ الْحَضِيضِ كُلُّ فَيْحٍ اتَّخَضَ رِوَا بَسِيلِ فَايَضَ

وللحاج ادريس :

الرَّبِيعُ أَقْبَلَ بِالْفَرْجَاتِ قَمُ نَسْطَابُو طِيبِ أَوْقَاتِنَا عَلَى نَوَارِ

بِالْبَهَا وَالْكَاسِ أَوِ الْوَتَارِ

ول : بن الطاهر المعروف ب : الشاوي :

اخْضَرَّتْ الْبَيْدَا يَاصَاحِي بَسِيلِ الْأَمْطَارِ جَادَ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ حَلَّتْ الْبَشَارُ

أما الرياض والبساتين على سبيل المثال ... منها "روض مريفق" .

نَزَّهَ الْبَصْرُ ف : "روض" خَصِيبٌ فَاحٌ بِنَسَامٍ مِنْ زَهَارِ خَمَائِلِ الْأَغْصَانِ يَا لِفَاهَمِ

ومنها "عرصة" المسفيوي .

صُولِي صُولِي مَنْ مُحَاسِنُكَ يَا عَرَصَتِ الْأَزْهَارُ فَيْكَ اتَّجَمَعُوا الْبُكَارُ

وَيَسْتَامُ سَيِّدِي قَدُورُ ، وَأَكْثَرُ مِنْ "عرصة" للسي التهامي ... زيادة على قصائد الاصال والبكور ، و الدهبيات " والصبوحيات " وكلها في اجواء الربيع ... إنما نحن سوف لا نختار من كل ذلك وغيره الا قصيدة واحدة ننهي بها هذا الغرض ... ولتكن هذه القصيدة .

هي : جَادَ يَا مَحْبُوبِي فَصَلِّ الرَّبِيعَ بَرُضَاءَ " للتهامي لدغري . وقد عاصر السلطان المقدس " مولاي عبد الرحمان بن هشام " وتوفي في عهده .

هَلْ مَزَنَ الْغَيْثُ وَزَارَ الْعَشِيقُ وَسَقَاهُ بِالرَّحِيقِ مِنَ الْغَيْمِ حَبِيبَتُهُ سَقَاهَا

لم يقل كما يمكن أن يقول الانسان العادي : " تساقطت الامطار " وإنما جعل المزن " هو المعشوق المدلل ، والارض هي العاشقة الولهانة .

ويتفضل هذا المعشوق ، ويكرم بزيارة لهذه العاشقة " الارض " فسيقبها الرحيق من "دنان" الفمام .

وكأنني بهذه الزيارة جاءت بعد فترة جفاف ، إذ نجده يقول في البيت الثاني " بعد ما ضاقت ، ذاقت والوصال محلاه " وأخيرا ... وبعد طول عطش وضما ، ذاقت من كؤوس الفمام .

وَبَعْدَمَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوَصَالَ مَحَلَّهُ وَالزَّرَاطِي عَنْ كُلِّ الْوَانِ فِي وَطَاهَا

سَابِكُ فُ جِيدُ الْبَيْدَا جُوهُرُ فُ : مَعْنَاهُ

لم يقل ما يمكن أن يقول الناظم العادي : " أصبحت الارض كلها ورود ، وأزهار " ورياحين " وإنما قال : " سَابِكُ فُ : جِيدُ الْبَيْدَا جُوهُرُ " .

ف : الارض هنا عادة حسناء . والحبيب يقدم لها هداياه ، وهي عبارة عن قلائد من الاحجار الكريمة .

ونعيد هذه الابيات متصلة :

هَلْ مَزَنَ الْغَيْثُ وَزَارَ الْعَشِيقُ ، وَسَقَاهُ بِالرَّحِيقِ أَمِنْ غِيَامٍ حَبِيبَتُهُ سَقَاهَا

مَنْ سَدِيمُ الْكُنْ الْعَذِيبِي هَطَلَ مِنْ سَمَاءَ بَيْنَ حَرَجَاتِ الزَّهْرِ فَنَاجَلُو مَلَاهَا

وَقَتَ مَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوَصَالَ مَحَلَّهُ وَالزَّرَاطِي عَنْ كُلِّ الْوَانِ فِي وَطَاهَا

سَابِكُ فُ : جِيدُ الْبَيْدَا جُوهُرُ فُ مَعْنَاهُ حَارَتْ عَقُولُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالنَّبَاهَا

مَنْ سَيُوفُ الْبَرْقِ أَوْودَقَ الرَّعَادُ فَ دَجَاهُ عَاتَقَ الزَّهْرُ بِمَزْنِ الْغَيْثِ مَنْ سَمَاهَا
دَرَجُ الْغَيْمِ الْكَاسُ الْأَرْضُ حَلَّتْ أَفْوَاهُ وَالْبَطَائِحُ مَنْ جَاءَتْ نُوبَتْهُ الْقَاهَا

إذا كان قارئ القصيدة الملحونة على شيء من الاطلاع ، في الشعر الجاهلي والشعر المخضرم ، والأموي ، والعباسي ،
والاندلسي لابد من أن يتمتع بحقيقة المثل المشهور : "الشيء بالشيء يذكر ..

فإننا مثلاً عند قراعتي لهذه الابيات أذكر ل : (الحسين بن علي الملقب بابن وكيع)

وتمايلت فيه غصــــــــــــــــون قدوده من شرب كا سات العيون الهطل
وأنكر لابن خفاجة

في أبطيح رضعت ثغور أقاحه اخلاف كل غمامة مدرار
وأنكر لابي تمام

فسقاه مسك الطل كافور الندى وانحل فيه خيط كل سمــــــــــــــــاء

أبيات كثيرة من المشارق والمغارب تقفز الى ذهني كلما قرأت للممتازين من شعراء الملحون .

هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَّبِيعِ الْخَيْرِ

تزامن شهر المولد النبوي - في السنة التي كتب فيها .. السي التهامي المدغري " هذه القصيدة .. ولا أرتاب أبداً في أن هذه
السنة هي سنة 1260 هجرية ، التي وافقتها سنة 1850 ميلادية - مع أجمل أيام الربيع ... وكان لابد لشاعر مغربي عربي
مسلم ... أن يبدأ المقطع بالشاء العطر .. على النبي الكريم الذي ولد في هذا الشهر المبارك السعيد شهر ربيع الخير .

هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَّبِيعِ الْخَيْرِ مَوْلِدُ حَبِيبِنَا أَحْمَدَ شَارِقِ الْأَنْوَارِ
ضَوَاتِ نَجُومِ الْأَرْضِ بِالْهَلَالِ الْمُنِيرِ فِي وَقْتِ مَنَازِلِ السَّعَادَاتِ مِنَ الْإِبْطَاحِ
بُجُودِ الزَّمْزَمِيِّ غَنَمَنَا فَرَحَ كَيْبَرِ فِي عِيدِ خَضَعَتْ لِيهِ الْمَوَاسِمُ الْكِبَارِ
فِي سَرَوْ مَنْ طَلَّاسْمُو حَارَتْ الْأَفْكَارُ

ويقف مشدوها بين أحضان الطبيعة ، مفتونا بجمال الربيع ... وينبهر ، وتختلط المرئيات التي يرى ، والمشاهد التي يشاهد
بصور أخرى تختزنها الذاكرة ، أو المخيلة فالوان الزهور في الربيع الأخضر .. والوان الافق ... وقوس قزح ... كل تلك الالوان
اختلطت في ناظره ب : السباني والشرابي والعباق وهي أسماء قديمة كانت تطلق على أشياء خاصة بالنساء ، فالعبروق
مثلاً وشاح ، والشرابي مرأول ، والسبانية مما يوضع على الرأس ... وكذلك أسماء الاثواب الزاهية "الشكرنط" لمشجر : عَيْنِ
عَلْجَةٍ "مَشْرِقِيَّة" ، والوان تلك الاثواب شمس لَمْسِي "الخَابُورِي" الشَّيْبِي "عَكْرِي" فَلَانَصَا "دَمَ غَزَال" "قَلْبُ حَجَر" "لَيْمِي"
"سماوي" .. الى آخر ما جاء في هذا المقطع .

شُوفَ لِبَطَاحُ ، لِبَسَتْ الْقَمَاشُ وَالْقَلَايِدُ بِالْعَقِيقِ أَوْعَقِيَانِ وَجُوهَرُو الْوَقَادُ

لَبَسَتْ قَمَائِصَ مَنْ ثُوبَ الرِّضَا الزَّائِدَ
هَالَتْ وَمَالَتْ بِشَسِيمِ الشَّدَا الْبَارِدَ
بَ : الشَّرَافِي ، وَسَبَّانِي ، صَيِّهْمُ وَقَدَّ
الشُّكْرَ نَطْلُ لَمْشَجَرٍ سَلْبَتِي مَنْ سَمَاءَ
شَمْسِ الْعَشِيِّ وَالْخَابُورِي سَوَايَ وَسَوَاهِ
مَنْ مُودَّةَ مَاعْمَرَهَا خَطَاتِ مِيعَادَ
لَاقِحَةَ بَرَزَتْ عَنْ شَلِيَّاتِهَا فَ : الْاَوْهَادَ
وَالْعِبَارِقُ وَسَقَلِي فِي أَحْسَنِ الْمُرَادَ
عَيْنَ عَلَجَا وَمَشْرِقِيَا عَلَامَتَاهَا
جَاوَزَ الشَّيْءَا وَتَحِيرَ مَنْ نَدَاهَا



عَكْرِي وَقَلَانِصَا وَدَمَ غَزَالُ نَصِيحِ
لِيَمِي مَاطَالُ وَالسَّمَائِي فِي تَمْرِيحِ
شَطْحَاتِ مَعَ النُّجُومِ فَ : الدَّبْجُورُ شَطِيعِ
بَرَزَتْ فِي إِيزَارَهَا عَلَى كُرْسِي الْإِبْطَاحِ
قَلْبَ أَحْجَرَ لَأَنَ بِالْهَوَى وَعُطِفَ فَ بَطَاحِ
بِهِ رَقْصَ بِنَفْسِيحِ بَيْنَ مَسَى وَصَبَاحِ
وَعَلَا تَبِجَانَهَا الْيَاقُوتِ الْوَضْأِ حِ
بَرَزَتْ فِي إِيزَارَهَا عَلَى كُرْسِي الْإِبْطَاحِ

شَوْفَ هِيَفَاتِ الْوَرْدِ مَا حَرَّهُمْ بِأَشْفَارِ
رَافِدَاتِ سَلَاحِ الْقُضْبَانِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ
خَذَهُمُ الْعَكْرِي فَ : رِيَاضَتُهُمْ نَائِرِ
مَنْ تَجَنَّا تَجَنِّي عَنَّا وَجُنْدَ جَائِرِ

رحم الله الاصفهانى إذ يقول في هذا المعنى :

قلت للورد ما لشوكك يدمي
قال لي هذه الرياحين جند
كلما قد أسوته من جراح
أنا سلطانها وشوكي سلاحي

ويصف شاعرنا الوردة المتفتحة فيقول :

شَابَّةٌ حَشُومِيًّا خَارِجًا اللَّمَّ رَارَ
لَاحَتْ عَلَى الْجِدِّ الْعَبْرُوقُ وَالضَّفَائِرَ

ولقد أبدع ابن المعتز في هذا المعنى .. بل توسع فيه أكثر ..

أتاك الورد محجوبا مصونا
كأن بوجهه لما توافقت
بياض في جوانبه احمرار
كما احمرت من الخجل الخدود
كمعشوق تكفه الصدود
نجوم في مطالعها سعود

أما الوردة التي لم يكتمل تفتحها بعد ... والتي لا يظهر احمرارها إلا من بين الاكمام الخضر .. فقد وصفها شاعرنا بقوله

كَالْعُزْبِيَّةِ شَافَتْ مَنْ شَافَهَا بِ الْإِبْصَارِ رَأْسَهَا غَطَّاتُ بِكَمَامِهَا الْعَوَاطِرُ

إنما فكرة البيت بالتأكيد ، عثر عليها "السي التهامي" في شعر الشاعر الاندلسي المعروف "صاعد" .. فعشقه لجماعته

وبونك ياسـ يدي وردة يذكر المسك أنفاسـ ها

كعداء ابصرها مبصر فقطت باكمها رأسها

والترويج للخاطرة الجميلة ، والصورة الحية ربما أمر لا ضير فيه ... خصوصا ونحن نجد الامام البصري يعشق خواطر رائعة في ميمية ابن الفارض ، فيأتي بها الى برده ، قال ابن الفارض -

يَا لَأَتَمَّا لَا مَنِي فِي حُبِّهِمْ سَفَهَا
كَفَ الْمَلَامَ فَلَوْ أَحْبَبْتَ لَمْ تَلَمَّ

فتابعه البصيري وقال :

يا لا تلمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو انصفت لم تلم

كما تابع شوقي البصيري فقال :

يا لانمي في هواه والهوى قدر
لو مسك الشوق لم تعدل ولم تلم

ونعود الى شاعرنا ، وإلى ربيعته الرائعة...

كُلُّ عَذْرَاءٍ مَبْسُومَةٍ فَاحْ طَيِّبْ أَشَدَّاهُ خَاجِلًا مِّنْ لَّحْيَا عَرَقِ النَّدَا كَسَاهَا

السُّكَّاسِيَّ فِي صَوْلًا مَبْرَزًا حَدَاهُ لِيهِ وَجَنَّا بُونَ عَكَرَ لَوْنَهَا كَفَاهَا



تَسْرِي مَنُومٌ ، هَـذَا نَاسٌ صَحَابُ الْحَالِ سَوْسَانٌ " وَ " قِنْ جَابُ حُلَا وَمَحَلَا

بَيْضٌ وَذَرَقٌ لَابَسَ اِيْزَارُوْهُمُ حَتّٰى اَلُوْصُوْلُ مُدِيْلِكَا وَعَشَقُوْهُ مَا يَبْلَا

مَشْغُوفٌ بِحُبِّهَا مِنْ هَوَاهَا لَا حَالَ
وَصَلَ الْمَحْبُوبُ مِنَ الشَّهَدَا حَلَا وَغَلَا

وَصَفِّى مِنْ سِرِّ خَدِّى عَلَى وَجْنَتِ عِبَلَةٍ

شَوْفْ عَاشِقْ جَارُوْ بِهَوَاهْ شَارِبْ مَرَارْ مَا يَصِيبُ الرِّحَا عَمْرٌ وَعَشِيقْ جَارُوْ

دَابَلُونُو مَسْفَارْ وَدَبْصُولُونُو جَارْ
وَالرَّقِيبْ مَكْكَفْ مَا بَيْنَهُمْ خَصَارْ
عَيْنْ هَذَا فِي وَجْنَتْ دَ تَطَالِبْ التَّارْ
شَوْفْ كُرْسِيْ هَذِيكَ الْيَاسْمِينْ مَعْلَاة
طَلَقْتْ ضَفَايِرْ مَنْ تَحْتِ الْخَلَالْ مَفْدَاة
مَا عَرَفْ حَقَّ الْجُورَا مَا طَفَا جَمَارُو
مَا حَمَلْ حَمْلْ ثَقِيلْ كَبِيرْ عَنْ سِيَارُو
وَلَا مَنْ قَدَا لِلْعَاشِقْ فَا : الرَّقِيبْ ثَارُو
فَا : السَّرَايِرْ شَرِبْتْ كَيْسَانَ مَنْ تَدَاها
كَيْفْ يَخْفَى النَّهْدْ عَلَى كُلِّ مَنْ يَرَاهَا



مَشْرِقِيَّةٌ فَ لُونَهَا شَلَا يَذْكَارْ
بِيضًا وَمَذْهَبًا وَمَنْ ذَهَبُ التَّشْحَارْ
زَهْرُ الْعَفْيُونْ فَوْقَ رَاسُو جِلْنَارْ
جَنْبْ كَفَى انْوَاوْشُو وَنَزَلْ فَا غَدِيرْ
حَرَ قَصَّتْ اخْنُودَهَا عَلَى حَمْرِ التَّعْكِيرْ
الْوَرْدِيَا امْعَا السَّكْلُمَاسِي فَا غَدِيرْ
اَكْدَلَا تَوَمَكْدَلَا فِي شَانَ كَبِيرْ

جَنْبْ كَفَى انْوَاوْشُو وَنَزَلْ فَا غَدِيرْ

زَرْبِرَقَا وَشَامَاوْشَامَهَا مَنِيْلْ

"الزَّيْرَقَا" هي زهيرة بريبة زرقاء ، متناهية في الصغر ... وتتكاثر في الاراضي المعقاة ، فتشكل في الربى والبطاح ،
لوحات ولوحات قد لا يحس بروعتها إلا الفنان التشكيلي المستبصر ... شاهد السي التهامي هذه "الزهيرة الدقيقة الزرقا"
وهي تبعد لوحاتها في ناحية ما من أرض الله الواسعة ، فتراعى له وشامة مبدعة ... تدمع الوشم على أطراف الأرض ...
كما تفعل "الوشامة" بين النساء ...

"الْغَمَارَاة" "السَّلْسُول" دَالْ وَخَرَطَاة" طَابِعْ مَهْلَلْ" مَشْطَاة فَوْق الدَّرْعِينْ

خَالْ وَشَامَاة" نَسِيَالَة مَسْوَلَا" رُكْمَا فَا : السِّيَالَة هَمْرَا فَا : السَّاق " رَجُلْ حَمَامَة ... وهكذا احتفظ لنا

في هذا المقطع ... بكل أشكال الوشم في كل القبائل المغربية وتلك لعربي خصوصية من خصوصيات هذا الشاعر الملهم ...

زَرْبِرَقَا وَشَامَا وَوْشَامَهَا مَنِيْلْ
شِي وَشَمْتُو بَا : الْغَمَارَا " وَشِي بَا : سَلْسُولْ
شِي بَا : دَالْ وَخَرَطَاة " شِي طَابِعُو مَهْلَلْ
شِي بَا : خَالْ وَشَامَا " مَنْ شَافَهَا اتَخَلَّخْ
شِي بَا : خَالْ وَشَامَا كَمْ مَنْ عَشِقْ مَخْلُولْ

شِي عَلَى السَّيَّالَا رَكْمًا وَشِي مُسْـوُولٌ كَمْ عَاشَقٌ بِالسَّيَّالَا رَاحَ مَذْـوُولٌ
 شِي بَ : هَمْزَافَ : السَّاقُ وَشَامَهَا مَتُولٌ شِي بَرَجَلٌ حَمَامًا فِي جِيدِهَا الْمَسْقُولُ
 شَوْفُ ذَاكَ "الْخِيلِي" خَيْلُو خُصَلَّتْ فَوْغَاهُ مَسْرَجًا مَلْجُومًا ضَلَّتْ فِي حَمَاهَا
 كَانَهَا فَامِيدَانُ فَحُـوُولُ فَاخَمَ الْجَاهُ وَلَدَ سِيدِي هِشَامُ الْمِيرُ ، وَلَدَ طَهْ

يربط الصورة الخيالية التي تخيلها وهو ينظر الى أزهار "الخلي" وهي أزهار بوية معروفة - بالصورة الواقعية التي يراها صباح مساء : جنود الملك مولاي عبد الرحمان بن هشام - وقد امتطت الجياد (في طريقها الى صد غارة أو إخماد فتنة ، ويمثل هذه الاشارات الخفيفة يستطيع الباحث أن يضبط تاريخ الملحون بكيفية لا تقبل الشك فهنا " ولد سيدي هشام " ... وفي قصيدة زهرة :

وَيَدُومُ مَلِكُ سُلْطَانِي عَزَّ أَنْصَارُ بَنَ هِشَامُ التَّايَكُ الْأَشْهَرُ
 دَبَّابُ الْعِيَانِ وَلَدَ الزُّهْرَا

وليس من بين شعراء الملحون ، من لم يؤرخ لنفسه ، إما بمثل هذه الاشارات ، وإما بقصيدة تتويج أو نصر الملك في حياته أو حتى بتأحداث وقعت في عصره ووجدناها عند الناصري أو غيره من المؤرخين

قُرْنِفْلُ هَاجَ ، فَ : طَيْبُ نَسَمًا لِلْهِيَّاجِ هَيْجُ لَمْهَاجِ هَاجَ فُوَهَامُ الْبَهْجَةِ

سبق أن عرفنا أن هذه القصيدة ظهرت في عهد السلطان المقدس مولاي عبد الرحمان ، والآن نعرف أنه كتبها بمراكش ... ويمثل هذه الاشارات تستطيع رصد تحركات الشاعر ... يقول في "زهرة" ، وقد سبقت الإشارة إليها - يَقْطِي سَتْرُو الْبَهْجَةِ الْحَمْرَا وقصيدة :

شَدُّ أَسِيدِ رَمْلَانَكُ بِيَدِيكَ زُوجُ مَنْكَ لِيَهْ أَشْ عَلِيٌّ

كتبها بطنجة ، وفيها أكثر من دلالة ... والساكنة درب القاضي كتبها بفاس وهكذا ... وعلى ذكر القرنفل ، الذي هَاجَ فوهام البهجة أي في ضاحية مراكش يتوقف الشاعر لحظة وليعبر عن حبه لهذه المدينة وهيامه بها

بَهَجَتْ لَمْتُونُ حُبِّهَا لِلْقَلْبِ عِلَاجُ بُوْجُودُ السُّلْطَنَا وَالْهَنَّا فِي طَهْجَةِ
 خَضْرَا نَضَرَ طُلُوعَهَا فِي سَعْدِ بَرَاكِ وَطَلَّاسَمَ سَرَهَا غَمِيقَةَ عِلَلِ الْحَجَا
 مَنْ دَخَلَ حَمَارَ جَالِهَا عَمْرُو تَجَا

على رأي المثل : إذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار نكتفي بهذا القدر من التوضيح ونترك القارئ مع ما تبقى من

القصيدة حتى لا نفوت عليه فرصة التمتع بإيقاعاتها الداخلية والخارجية . وما بين كلماتها وألفاظها من ضل وجرس

شَوْفُ "البها" وَ "الشاكوكي" عَلَيْهِ يَشْكِي
"الحكم" بَلَطَافًا يَحْكَمُ حَكَامَ تُرْكِي
بَيْنَ "مَعْشُوقٍ" وَ "عَاشِقٍ" كَانَ جَاءَ يَشْكِي
كُنْ عَاشِقٌ بِصُدُودِ الزَّيْنِ رَاحَ مِنْكِي
شَوْفُ تَفَاحَاتِ الْعَاشِقِ زِينَهَا تَـاءُ
شَوْفُ ل : "الديدي" وَ "الجلنار" خَوْه حَيَّاهُ
الْبَهَامَا يَرْفُقُ بِمَحَايِنُو مَنْ شَكَّى
هَمَامٌ عَادِلٌ يَفْهَمُ مَنْ جَاعِلِيهِ شَتَكَّى
يَقُولُ لِلْمَحْبُوبِ فَحُكْمُو رَحِمَ مَنْ شَكَّى
وَالْمَلِيحُ إِلَى يَعْطَفُ كَمْ حَاسِدَتَكَ
فِي رِيَاضِ الْبَاغِي لَلِّي بِغَابِغَاهَا
وَالْحَوِيدَقُ ف : الْوَانُولُ : "الشقيق" ضَاهَا



شَوْفُ "الجمرأ" عَلَى خَنُودِ الْبَيْدَرِ مَاتُ
تَكْدِي بِخَنُودِ نَائِرَا بَيْنَ الْحَرَجَاتِ
"خَابُورِي" نَحْتَكِيهِ كَخَوَانُ أَفْ لَنْعَاتِ
جَمْرَا ف : قُلُوبُ نَاسِ الْغَرَامِ الْعَاتِي
وَالطُّفْسُ خَلِيلُهَا مِنْ هَوَاهَا وَأَتِي
يُخْبِرُ مَنْ هَوَى الْعَاشِقُ فَا انْعَاتِي

خَرِيرِيَا خَرِيرَهَا زَهْوِ أَوْقَاتِي

غَالِبَا تَرَكْتَنِي مَقْلُوبِيهَا فْ غَلَبَا
بَلْفَجُوجُ وَأَقْحَوَانُ رِيَاوَف : الْمَحْبَا
"البهر" يَبْهَرُ بِسَحُورٍ وَيَغِيرُ كَتَبَا
شَوْفُ "غُنْبَاجُ" زَهْرَ مَنْ كَثُرَ مَا تَرَبَا
شَوْفُ مَصْلَحُ لَنْظَارُ "اليعتو" مِنْ هَوَاهُ
إِلَى شَطَحَتْ أَحَدَهُ رِيَامُ الْخِيَامِ مَبْقَاهُ
وَالْعَشِيقُ الْمَعْشُوقُ مَا يَزُولُ مَقْلُوبُ
يَاسُ "يَشْبَهُ وَدَيْنِ الْخَيْلِ يَوْمَ الْحُرُوبِ"
سَفُورَتُو وَتَحُولُو بِيَهِ الْجَلَامَدُ تَسْلُوبُ
لَيْلٍ وَنَهَارٍ وَمَاهُ عَلَى الدَّوَامِ مَسْكُوبُ
إِلَى سَمْعِ اللَّهِيقاتِ يَهْتَجُوا لِفَاهَا
كَأَيُّجُودٍ بِدِينَارُو عَنْ رَضَا رَضَاهَا



الرَّزِييَاتُ فِ الْبَطَايِحِ لِلزَّهْمَا
أَبِيدَ الْقُدْرَا مَرْكَمَا سُبْحَانَ اللَّهِ

مَنْ لَيْسَ الْمَلِكُ الْبَدِيعَ مَطَرُ زَهَا زَهَرَ الْحَرَجَاتُ فَ : الْعَقَا نَسْجُو مُوَلَاةَ
 مَنْ حَقَّقَ فِي نَسِيجِهَا بِالْقَهْرِ فَهَهَا سَبَّحَانَ الَّذِي انشَى الزَّهْرَ وَنَوَّرَ بِهِهَا
 كَمْ مِنْ عَشَّاقٍ حَارَّ فِي صُورَتِ مَعْنَاهُ

شَوْفَ هَيْفَاتٍ تَقْطِفُ زَهَارَهَا فَالْأَوْهَامَ كُلُّ بُكْرَا عَمَلَتْ فَوْقَ الْخُدُودِ مَشْمُومَ
 رَأْفَدَاتِ الْبَارُودِ عَلَى جَعَابِ الْإِنْيَامِ حَادَاتُ الشَّقَرَا فِي سَحَرِ غَنَجٍ مَسْمُومِ
 مَنْ طَمَعَ فَ : الصَّيِّدَاتُ يَصِيئُوهُ بَسْهَامَ فَ : الشَّبَاكُ حَصَلَ حَرْبُ الْبَاهِيَّاتِ ، مَعْلُومِ
 مَنْ لَبَسَ شَيْءَ "نَوَّارٍ" مِنَ الْحَرَاكِ وَتَاهُ عَنْ خُدُودِ الْأَرْضِ وَسَبَّحَانَ مَنْ نَشَاَهَا
 وَاجِبَ انْحَمَنُوا وَتَشْكُرُوا تَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى النِّعَايِمِ لِكَثِيرَةِ رَبَّنَا عَطَاَهَا



جَادِيًا مَحْبُوبِي فَصَلِّ الرَّيِّعَ بِرِضَاهُ مَا بَقَا غَيْرَ اللَّهِ وَرَاهُ لِلنَّزَاهَةِ



هذه واحدة من ست ربيعيات كتبها "التهامي لدغري" في وصف الطبيعة الحرة الطليقة ، الطبيعية في الربى والبطاح ، في الجبال والسهول ، في الغابات والمروج ... أما ربيعيات الجنان ، والرياض ، والبساتين .. فلقد عرفت منها أزيد من ثلاثين قصيدة ، إنما فيما قدمناه كفاية لنتنقل الى الغرض الخامس .



* العَشَاقِي *

إذا ما سئل رجل الملحون عن "العشَاقِي" ما هو ؟ لا بد وأن يجيب بأن قصائد "العشَاقِي" إما أن تكون قصائد دموع ، وإما أن تكون قصائد بسمات أو أنها تبتدىء بالدموع وتنتهي بالبسمات ، أو العكس ، ويضيف أن "المعشوق" في قصائد "العشَاقِي" ، إما أن يكون : "موافي" .. فتكون القصيدة كلها متعة وطرب ، وغبطة وانسراح ، وإما أن يكون : "مجافي" فتكون القصيدة مجرد أهات وحنين ، وأنين .

ويستدلون على قصائد "الجافي" بمثل قصيدة "الكنوز" :

مُغْدَاكَ أَجَافِي إِلَى جَفِيَّتِي رَسْمِي
مَا زَالَ يَالْجَافِي يَجْفِي مُرْكَاحَكَ الْوَلِيْفُ
وَتَنُوقُ مَرَايِرَ الْجَفَا وَتَكُولُ أَوَاهُ كُنْتُ
حَتَّى أَنَا جَافِي

أو " ناكِرُ الاحسان " لانتجار

سِيرَ أَنَاكَرَ الْإِحْسَانِ الْإِيَّامُ تُشَيِّطُ وَرَاكَ بِالْقَهَرِ
وَيَبَيِّنُ الْبِرْمَانِ فِيكَ أَمِنْ خَانَ حَبِيبُو

وعلى قصائد "الوافي" ب : راضيا .. ل : يلقاسم :

أَسَاقِي رَادَفُ الرَّحِيقِ اَعْلَنَّا الْإِيَّامُ رَاضِيَا
يُوجُودُ الرِّيمُ رَاضِيَا السُّلْطَانُ رَضَا عَلَى الرَّعِيَا وَالزَّيْنُ اللَّهُ نَاصِرُو

أو الياسمين للحاج ادريس :

طَابَ السَّرُورُ وَنَسِيمُ رُضَاكَ يَفُوحُ كُلِّ حِينٍ وَيَعَطِّرُ الرِّيَاضُ أَوْ يَعْبِقُ بِالطِّيبِ مَنْ كَمَامَكَ

كما يستدلون على القصائد التي تبتدىء بالدموع وتنتهي بالبسمات بمثل قصيدة فاطمة للحاج ادريس : فهي في شطرها الاول : "جافي"

خَدِّي نَفْرَشُو بِالشُّوقِ الذُّوْكَ الْقَدَامُ

شَوْفِي بَعِينَ لَمَحْنًا فِي هَذَا الْغَمِّ لَامٌ
مَا كَانَ هَكَذَا ظَنِّي يَسَاءً بَنَتْ الْكَرَامُ

ولكنها في شطرها الاخير :

جَاءَ الْمِيلَافَ رَأَيْتَ الْهَشَامِي	نَاوِيًا تَزُودُ رُسَامِي
تَلَحَّفَتْ فَتِيَابَ رَفِيعَا	وَجَاءَتْ تَمَائِسُكَ يَا سَامْتَعْمَا
وَمَذِينَ نَظَرَتْ زَيْنَهَا بَنِيَامِي	قَلَّتْ مَنْ كَثُرَتْ هِيََامِي
وَأَشْ هَاذِي يَقْطَا وَلِلْ مَنَامِ ؟	عَهْدِي بِالشَّمْسِ كَيْلُ فَ : السَّمَاءِ
السَّاعَا لَاحَ نُورَهَا فَ : رُسَامِي	فِي صُورَتِ الْأَدَامِي
وَالْحَبِيبَا تَضْحَكُ حَتَّى تَطْيَحَ	وَتَكْوُلُ أَنَا لَا لِلْأَكْ فَاطْمَا

أما العكس ، أي القصائد التي تبتدىء بالبسمات وتنتهي بالدموع ، فهي تكاد تكون معظم قصائد العشاق .

وهذا التعريف بقصائد هذا الغرض ، ربما لا يجادل في صوابه أي أحد ، ولكنه على كل حال ، لا يعس الجوهر . لا من قريب ولا من بعيد ، ومن ثمة لا يلحق بنا إطلاقاً أن نستأنس به في بحثنا ، وندرج القصائد التي يشير إليها ، وننتهي غرض " العشاق " فالمسألة في حقيقتها أبعد من " وافي " و " جافي " فقط . وأكبر من دموع وبسمات فحسب ، المسألة مسألة : هل من تجارب عاطفية صادقة أنتجت الابداعات الحية الخالدة ؟ أم هل من مغامرات غرامية محمومة أثمرت إبداعات ملتهبة ؟

أم أن شاعر الملحن كالمثال أو الرسام يصور الجمال لا كما هو في واقع الحياة ، وإنما كما هو في واقع شعوره ؟

وهذه المفاصل الحسية : أجمل شفر ... على أحلا ثغر ، وأحمر خد على أنهد نهد ... وأملأ صدر ... على اتحل خصر ، أهو مجرد التعبير الذي لا يقصد به إلا التعبير ، أو في أحسن الأحوال التصوير ؟ أم أنه أقل من ذلك بكثير ، إذ لا يعدو تركيب الصور من أوصاف العبارات الجاهزة ؟ ثم ماهو العشاق ؟ أهو الشعر العاطفي ؟ أم هو الغزل ؟ أم هو التشبيب ؟ أم هو النسب ؟ أم هو كل هذه الانماط ؟

وإذا كان هو كل هذه الانماط ؟ فما هو الواصل الذي يوصلها ببعضها أو الفاصل الذي يفصلها عن بعضها وهي كلها داخل هذا الاصطلاح " العشاق " ؟ أسئلة كثيرة خطرت وتخطر في خاطري من أوائل الخمسينيات إلى يومنا هذا . وكنت ولا أزال كلما خطر لي سؤال من هذا النوع ، أعود إلى محفوظاتي ، أو إلى ما بحوزتي من " عشاقيات " لأراجعها من جديد ، ولا بحث فيها عن جواب السؤال الجديد ، والغريب المدهل ، أن كل الأسئلة التي خطرت لي حتى الآن ، وجدت لها الاجوبة الشافية والكافية ، بل وتردد بكثير عن الكفاية كما وكيفا إلى حد أنها تلج الصدر وتفرج القلب .

ويعود على بدىء : أجيب على السؤال الاول بكامل الاطمئنان : أن نعم في "العشاق" قصائد عاطفية صادقة ، بل أن من شعراء الملحنين من عاش تجربة عاطفية واحدة طوال حياته ، محمد بن سليمان مثلاً : ولنجعل من شعره النموذج للملحن العاطفي الصادق ، يقول في داليتة ف : الروح اسبابي خال ف : ورداً .

ويقول عن هذه الوردة : فَأَتَحَافِي غُصْنُ اسْمَا فِي رِيَاضِ عَالِي مَنْ سَعْدِي "هذه الوردة" هي في أعلى غصن ، من أعلا روض

وفي لا ميتة : "غَيْرُ جَبِيوُ وَرْدَا" مَنْ شِي رِيَاضُ سُورُو عَالِي "هنا أيضا وردة" وأيضا في روض محصن "سورو عالي" يرمز الى هذه المحبوبة بالوردة لا في داليتة ، ولا في لا ميتة ، ولكنه في قصيدة أخرى من : مكسور جناح يرمز لها بالياقوتة : ابْهَاعَلَا مَنْ الْبَدْرِ يَاقُوتَا مَحْضِيَا فِي جَيْبِ السُّلْطَانِ وتعرف أنها هي هي ، من الحصانة والصون في جيب السلطان والسلطان هنا بمعنى المنعة ، أو ما نسميه بالدارجة "الحجبا والرثيا" هنا في : "جيب السلطان" وهناك في رياض سورو عالي ، وهناك "غصن اسما في رياض عالي ، ويضيف في المثل الاول "سعدى"

فَاتَحَا فِي غُصْنِ اسْمَا فِي رِيَاضِ عَالِي مَنْ سَعْدِي

ولست أدري على وجه التحديد هل كلمة "سعدى" بين قوسين ، فنفهم منها الكلمة المقابلة : "من نحسة" أي من سوء طالعه أن تكون الفتاة التي أحبها في كل هذا الصون ، وأن تكون "عزيزة" بمعنى اللفظ الثلاث ... حتى لا يمكن التوصل إليها بالمرّة أم أنه يعني كلمة : "سعدى" كما هي فنفهم منه أنه لا يحب الفتاة الرخيصة المبتدلة المتاحة باستمرار وإنما من حسن طالعه أن تكون غير متاحة حتى ولو بقي هذا الحب من غير أمل إلى آخر رفق

ويصف حاله مع هذا الحب العنيف فيقول :

هَاجُ وَجْدِي وَفَرَعُ جَهْدِي مَدَا مَعِي زَادُوا سَهْدِي

طَالَتْ عَلَيَّ يَاسْتَشْقَايِي ، هَذَا الْفَقْدَا

كَالْحَمَامِ الْفَرْدِي شَلَا تَغَارْدِي وَنَا وَحْدِي

بِالْمَحْبَا جَنَحَانِ رَأَيْي قُولُوا عَمَّ دَا

بَعْدَ صَهْدِي وَتَلْجِي وَبَرْدِي تَنَاهْدِي تَحْمِي تَشْدِي

لَا مَا نَبْكِي طَالَ عَذَابِي هَلْدِي مَدَا

ويقول في مطلع لاميت

أَهْ مِنْ قَلْبِي يَشْكِي بَ : الْفَرَامَ مَا هُوَ سَالِي أَوِ اللَّي مَا يَعْذِرْنِي هَكَذَا ابْحَالِي يَيْلَا

غَيْرُ تَارًا بَرْدِي تَرَا أَجْمَارَ هَذَا حَالِي كُلُّ سَاعًا يَأْتِي لِي طَيِّبُ ابْحَالِ الْحَمَلَا

ويحدثنا عن محاولاته اليأس في التقرب إلى المحبوبة : والنموذج هذه المرة من قصيدة "الشهدة"

أَمَّا امْشَايَحِي تَحْتَ أَقْدَامِكَ لَا حَتَّ الْعَمَائِمِ لَوْ كَانَ قَلْبُكَ نَصْرَانِي لَا غَنَاءَ يَلْيَانُ

ويصف لنا حاله بين الناس في نفس القصيدة :

مِنْ غَيْرِ حَالٍ تَوْجِدُنِي مَا بَيْنَ الْأَسْوَاقِ هَائِمٌ

تَرَى نَفِيبَ تَرَى نَحْضَرَ حَتَّى تَقُولَ : سَكْرَانُ

فَ : الْحُبُّ هَكَذَا حَالِي

غَيْرُ سَلَمٍ لِي يَا مَنْ لَا بُلَاهُ وَعَذْرُ

والحق أنه لم يكن يلق القول على عواهنه عندما كان يتقوه بعبارة مثل :

"دَابَا نَضْرَقُ أَخْيَالِي" "غَيْرُ جِيتْ أَنْبَرِي" فَ : الرُّوحُ قَبْلَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِي

فَ : الرُّوحُ أَسْيَابِي ، خَالَ فَ : وَرَدَاً فَلَكَانِي بِهِ كَانَ يَحْسُ بِإِحْسَاسِهِ الصَّادِقِ ، أَنَّ هَذَا الْحُبَّ الْقَوِي ، الْعَنِيفَ الْمُنْتَمِرَ سَيُؤَدِّي بِحَيَاتِهِ لَا مُحَالَةً ، وَكَذَلِكَ كَانَ ، فَلَقَدْ بَكَتْ حَضِيرَةُ الْمَلْحُونِ ، وَلَمَّا يَنْتَهِي الْعَقْدُ الثَّالِثُ مِنْ عَمْرِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ شَابَ كَانَ صَادِقًا عِنْدَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ :

قَلْبِي كَبِيرٌ ، مَشْرُوحٌ ، صَغِيرُ الرَّأْسِ فَ : الْوَلَايَمِ

طَبْعِي رَهِيْفٌ فَأَيْنَ تَوْجِدَ مِثْلِي وَإِسْ نُوهَانَ

حَتَّى نَضْرَقُ أَخْيَالِي

عَادَ يَنْدَمُ مَنْ كَانَ فَ : عَيْنَنَا مَكْتُورٌ

وكنموذج للقصائد العاطفية الحية ، قصائد الانفعالات الشعورية الصادقة أسجل هنا النص الكامل لقصيدة "الياقوتة" وهي لهذا الشاعر الشاب محمد بن سليمان و "الياقوتة" كجل قصائد بن سايمان يختلط فيها التجريد بالتشكيل ، ويمتزج المطلق بالمعين ، ولو أن أهل الملحنين الذين عاصروا بن سليمان - بن علي وغيره - وصلهم شعره ، وأحسوا به واستطاعوا أن يفقهوه ، لكان ديوان هذا الشاب ، نقطة تحول هامة في تاريخ الملحنين ، ولكان الملحنون اليوم ، في أعلا مراتب فن القول الرفيع ، ويرحمه الله إذ يقول في هذه القصيدة ويحق :

اشْحَالَ عَايِرُونِي بِالنِّبْيَا فَ : الْأَقْوَالُ

الَّتِي بَلَاحُفًا جَهْلُوهَا

حَتَّى الدَّهَاتُ مَا عَرَفُوهَا

عبروه بتحليقاته التي لا تكاد تنتهي ، وبسياحاته التي تتخطى كل الحدود ... وبهذه "الالغاز" التي لم تكن مألوفة عندهم يومئذ .

ف : زَمَانُهَا غَرِيبَةٌ مَا جَابُوهَا امْتَالُ

هو يقول عن هذه القصيدة ... ف : "زمانها غريبة" أما أنا فاقول ديوان بن سليمان من ألفه الى يائه غريب في زمانه ، بل ان بن سليمان نفسه غريب زمانه .

ف : زَمَانُهَا غَرِيبًا مَا جَابُوهَا امْتَالُ

وَحَتَّى ف : الزَّمَانُ الْفَائِيَّتُ

وينتقل الى "الياقوتة"

الشَّمْسُ مِنْ ضِيَاهَا غَارَتْ

وَالَّتِي يَكُونُ عَقْلُهُ ثَابِتُ

تَارًا يَقُولُ حَمْرًا

تَارًا سَفْرًا

وَلَوْنُ فَجْرًا

مَا شِي نَقْرًا مِنَ الْأَصْلِ مَا هِيَ مَطْبُوعُ

وَلَا هِيَ فَخْرَيْنُ عِنْدَ عُنْمَانِي

نُورِيكَ سُومَهَا ؟! مَا هِيَ مَشْرِيقُ

مَنْ جَنَّتْ رَضْوَانُ

هِيَ غَرْفًا مِّنْ بَحْرٍ التَّفَافَحَ صَافِي مَجْرَاهَا
 ابْنَهَا وَعَلَا مِّنَ الْبَدْرِ يَاقُوتًا مَحْضِيًّا فِي جَيْبِ السَّلْطَانِ
 وَفَآنِي بَ : الرَّافَا بِلَا شَمُوعٍ رُسَامِي ضَوَاهَا

ويغرق في ضياء برق الاشرقة التي اشرفت عنه من وجهها ، والتي سرعان ما اختفت لتتركه يبكىها في : "الشهادة" في اللامية" في "الدالية" إلى أن وافته المنية ، إنها "الدrama" الحقيقية لمن يبحث عن "رائعة مغربية لمسرح مغربي" طبعاً لا أعني "الياقوتة" وحدها ، وإنما أعني "حياة بن سليمان" جملة وتفصيلاً : حبه الماسوي لهذه الياقوتة أو "الشهادة" أو الوردة" معاناته مع أهل الملحون في عصره ، وخصوصاً منهم بن علي ولد أرزين" القطيعة ، أو الجفوة التي طرأت على علاقته بأهله ونويه ... إصابته بداء تضخم القلب ، لقد انهمر الدمع من أعيني وأنا أكتب هذه الكلمات ، فأتلف بعضها ، وعلى أن أعيد كتابة هذه الصفحة ... قاله وحده هو الذي يعلم ما آتاني من عناء ، كلما تعاملت مع شعر هذا الانسان

اضْوَي مِّنَ الْمُصَابِحِ فِي دَاجٍ إِلَى كُحَالٍ
 وَيَهَى مِّنَ الثُّرَيَّا تَكْـُـدِي
 وَيَهَا مِّنَ الْبَدْرِ الْمَبْدِي
 عَلَى التَّمَامِ هَذَا قَصْدِي

"الْبَدْرُ الْمَبْدِي" أي الظاهر - من بدا يبدو ولكنه خشي أن يقول الخصوم "لبدري المبدى" أي الذي في بدايته ، ولا يزال كالشعرة ، فسارع إلى القول "عَلَى التَّمَامِ هَذَا قَصْدِي"

ضَوْأٌ مِّنَ الْمُضِيَّاهِ = الشَّمْسُ
 فِي صَبْحِيَّاهِ
 عَلَى الْبَرِّيَّاهِ
 هَذَا هُوَ كَمَالُهَا وَضِيَّاهَا شَعَشُوعُ
 وَالْبَرْقُ الضَّائِي فِي شَرُوقِهَا فَأَنِي
 لَعَقُولُ مِنْهَا فِي شَطْنَا مَذْهِيَّاهُ شَطَّانَتُ الْأَذْهَانِ
 يَقُوتَا حَرًا وَكُلَّ ضَاوِي ، ضَاوِي بِضِيَاهَا

ابْهَا مِنْ الْاَدْرَارِ السَّيَّارَا فِي كَمَالِ
هَانُوا مِنْ الْفَلَكَ الثَّامِنِ
هِيَ عَطَانُهُمْ مُحَاسِنِ
وَاللِّي يَكُونُ طَرْفُوْهُ وَاسْنِ
بَعْدَ الْمَنَامِ يَنْظُرُ
سَرًا مُعْتَبِرُ
بِهِ يَفْخَرُ

حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ كَمَالِ ضِيَاهَا مَفْرُوعِ
وَأَنِيَا شَلَا نَصِيفَ بِلْسَانِي
عَنْدِي طُلُوعَهَا فِي رُتْبَا عَلِيَا فِي بَرْجِ الْكِيَوَانِ
وَنَجْمُومِ الدَّاجِ إِلَى ضَوَاتِ يَظْهَرُ فَا : الْفَلَكَ سَنَاهَا

☆☆☆

وَفَرَا عَلَيِ الْجَبِينِ ، اللَّيْلُ فَا : وَسَطُوْهُ هَلَالِ
دَعَجَ الْحَاطِظِ زَيْنِ الْقَامَا
صَارِي سَفِينَتُو عَوَامَا
وَلَّ نَقُولُ غَيْرُ رُخَامَا
لَعَلَامِ لِيَهْ وَقَفَا
زَيْنِ الْخَلْفَا
مَنْزِنِ يُوَفَا

يَطْفِي جَمْرَ الْاَشْوَاقِ بِالزُّورِ لِلْمَوَاسِعِ
وَالزُّورُ هِيَ جَنَّتِي وَرَضَوَانِ
وَالْعَطْفُ فِيهِ عَيْشِي وَالْهَجْرُ مَنِيَا وَالْجَفَا نِيْرَانِ
وَالْوَجْنَ هِيَ رَاحَتِي وَلَا يَقْلَعُ اِلَى مَلَقَاهَا

☆☆☆

اَحْلَا مِنْ الشَّهْدِ فِي قَلْبِي وَمَنْ الْمَصَالِ
اَحْلَا مِنْ الْخَمْرِ فِ : طُلُوْعُو
وَيَعْطُرُو رَشِيْفَ ثِيُوْعُو
بِمَرَّاشِفُو يَكُوْنُ قَطُوْعُو
نَجْنِي فِ : كُلَّ لَحْظَا
وَرَدَّ فِ : لَحْظَا
وَحَالَ يَرْضَا
كَنْقَطَا مِنْ اَمْدَادٍ فِي وَرْدٍ بِلَا مَقْطُوْعِ
حَاضِيَهْ غَلَامٍ عَلَيَّ الْيَمِيْنِ سُوْدَانِي
نُوْرِيكَ حَلُوْ يَاسَايِلَ زَنْجِيَا جَاتُ مِنَ الْحَبِيْبِ اَنْ
لَا يَسُ بَرَنَاطَا مِنْ نَشَاهٍ مِنْ سِرِّ الزَّيْنِ اَنْشَاهَا

☆☆☆

يَاسِيْفُ عَنَّتْرَا فِ : نَهَارُ يَطُوْلُ الْقَتْلِ
يَابَنْدُ دَوْلَةُ الْعُلُوِي

يَارْمَحْ حَامَلُو عَلَقَاوِي

يَاتَا جْ عَامَلُو كَسْرَاوِي

نَهَيْبْ لِيكْ صَفْرِي

حَتَّى كُبْرِي

نَزِيدْ عَمْرِي

وَلَوْ هَنْتِي بِقِيمَتِي لِيكْ عَطَيْتِ الطُّرُوعْ

جعلت الشطر الأخير بين قوسين لأشير فقط ، إلى أنه من المصاييح التي تلقي بعض الأضواء على ظروف وملابسات تجربة بن سليمان العاطفية . ولو هنت بقيمتي ليك عطيت الطوع . وإذا ما أضفنا إلى هذا الشطر قوله في قصيدة : "الشهدا" أما أمشاخي تحت قدماك لا حت العمائم : "مشايخا" "عيران" "ادخيل"

وإشارة من هنا ، وأخرى من هناك وهكذا وهكذا إلى أن توضحت الملامح ، وظهرت السمات لهذه التجربة العاطفية الحية . ولو شئت لجعلت بن سليمان يعود فيحيا حياته مرة أخرى على هذه الصفحات ، تماما كما كان يحياها في واقعه المفجع . إنما لا أحب أن يطغى على حبي له وهيامي به حتى أنزلق إلى الترجمة له وحده من بين كل الذين أتعامل معهم في هذا الكتاب ، خصوصا وأنهم جميعهم شيوخ وأساتذتي وأولياء نعمتي ، رحمهم الله جميعا ، وأحسن إليهم

انْهَيْبْ لِيكْ صَفْرِي

حَتَّى كُبْرِي

نَزِيدْ عَمْرِي

وَلَوْ هَنْتِ بِقِيمَتِي لِيكْ عَطَيْتِ الطُّرُوعْ

انْتِ مَفْتَا حِي يَا مَسْرُوحْ اسْجَانِي

وَيْلَا قَتَلْتَنِي مَا تَقْبَاضْ أَفْدِيَا تَسْعَاوَا الْفَقْرَانْ

دِيكْ النُّطْرَا هِي الْمَرَامْ وَالتَّبْسِيمَا مَا احْلَا فَا

★❖★★★

نَادَا سُرُورَهَا فَالِـي

فِي اسْوَاقِ الْفَرْجَا تَدْخِيرْتُ وَيَشْهَرُ

وإشارات أخرى هنا وهناك ، تفيد أن بن سليمان هو امتداد لسيدي عبد القادر العلمي ، فمثلا "السفينة" "القرصان" "خوض ببحار المعاني" عند سيدي عبد القادر العلمي قبل أن يولد بن سليمان بنصف قرن من الزمان .

"انْفُوصْ عَنْ بَدِيعِ الْحُسْنِ فَعُمُقُ الْلُجُوجُ"

"فَعَسَى إِلَيَّ وَقْفٌ لِي دِيْدَانِ"

"وَجَابَ الْغَنَائِمُ قُرْصَانِي"

"اللجوج" : لجج البحر ... الغنائم "لغنيمة" جميل المعاني" رائع الصور ، وقد استعمل سيدي عبد القادر "السفينة" و "القرصان" و "البحر" للإيجاب كما استعملها للسلب ، استعملها للنجاح والخروج بالغنائم كما استعملها للفشل ، والضياع .

.....سَفِينَا مَايْنِ مُـوَجُ

مُوجًا تَلُوحَهَا مُوجًا تَرْفَدَهَا

وَلَا قَدْرَ رَأْسٍ يَرُصِدَهَا

غَادِيَا فَا الْبَحْرُ وَحَدَهَا

عَلَى جَهْدَهَا

ونفس الشيء عند بن اسليمان ، فكما أخبرنا غير مأمرة برجوعه من خوض البحار بالسلامة والغنائم ... أخبرنا أيضا بالويلات التي صادفته

أَنَا رَمَيْتُ رَأْسِي فَا الْبَحْرُ الْعَاتِي غَايِبٌ لِيهِ سَنِينَ مَا ظَهَرَ

وَقَا الْمَرْسَى تَجَارُ كَانَتْسَنَا

أَنَا سَفِينَتِي كَسَرْتَهَا مُجَاتِي وَالْبَحْرُ يَا كَلْتُ اصْبَرُ

نَجْنَا يَا صَاحِبَ الدَّمَامِ غَرَقْنَا

مَا حِيتُ لِلنَّجَا مَا صَيَفَطْتُ ابْرَاتِي ، وَعَلَى نَاسِي غَيْبُ الْخَيْرِ

وَحَبَابِي وَمَعَارِفِي تَنْسَنَا

وكما لم يستعمل سيدي عبد القادر العلمي "القرصان" في الحالات الاخيرة بل اكتفى بـ "الرايس" كذلك اكتفى بن سليمان بـ: "البحريا"

وليس هذا الطرح وحده هو الذي يفيد امتداد سيدي عبد القادر في شخص بن سليمان ، بل هي طروحات وطروحات ، يمتد فيها شعر الاول في شعر الثاني ، زيادة على اللفظة المشعة ، والعبارة الموحية في شعر هذا كما في شعر ذاك ، وزيادة على طرق السير في كل الموضوعات التي يتلقي فيها هذا بذاك ، وزيادة على الكيفية التي يسكب بها كل واحد منهما عصارة قلبه ، وخلاصة تجاربه ، ومقارعة الخصوم بقوة ، منطلق ونصاعة تعبير في هذه القصيدة أو تلك ، وفقه الدارجة المغربية في شعر هذا كما في شعر ذاك ، وتوظيف مقولاتها ، ومعانيها وتمثلاتها ... على كل حال نقط اللقاء التي يلتقي فيها بن سليمان بسيدي عبد القادر كثيرة وكثيرة جدا جدا ، وليس من حشو القول أن نشير هنا الى أن عمر بن سليمان لا يزيد عن ربع عمر سيدي عبد القادر إلا بسنتين فقط

وَاللّٰهُ الرَّزِيْنُ مَا نَدُوْزُ وَلَوْ يَسْنَخُ بِسِيٍّ فِي طَبَعِ زَمَانٍ
عَشَقْنِي صَافِي حُبًّا وَحَالَتْ الْفَسْدُ مَا نَرْضَاهَا
أَنَا الْمَوْلُوعُ بِالْهَوَى كَيْفَ مَوْلَعٌ بِسِيٍّ مَا عِنْدِي رُقْبَانٍ
غَيْرُ عَذَائَا بِمَشَاهِبِ الْأَضَا تَتَخَبَّطُ فَا : لَضَاهَا
تَخْوِيضُ الرِّيقِ وَالْخَمْرِ فِي شَفَا عَسَلِيًّا مِنْ غَيْرِ الْكِسْفَانِ
هَذِيكَ الدَّاءُتْ مَنِيْنٌ تَنْتَقِلُ مِنْ دَاهَا لَدَوَاهَا
وَالزَّنَجَارُ وَخَلٌ يَمْتَزَجُ وَنَعَصْرُ وَبِيدِيَّا فَا : عِيُونُ الْعَدِيَانِ
وَتَضَرَّتْ الْكُرَّةُ مِنَ الْحُسُودِ قَامَتْ الْارْيَاحُ مَعَاهَا
قُلْ هُوَ اللّٰهُ حِصْنُ حَصِيْنٍ وَقُلْ أُوحِيٍّ وَأَيَّاتُ الرَّحْمَـٰنِ
هَذَا الْخَمْسَا هُمَا حَجَابُ وَسُوْرَتِ يَاسِيْنٍ وَطَهَ
وَسَلَامُ الْوَهْبِ وَاهْبُوْا لَصَحَابِ الْوَهْبِيَّا بِرَجَالٍ أَوْ تَسْنُوَانِ
فَا : رِيَاضُ الْمَعْنَا قَالَ بَنُ سُلَيْمَانَ عَقُوْدُ رَوَاهَا

بدأنا شعر العواطف الصادقة ببعض ما كتبه بن سليمان ، باعتباره في نظرننا النموذج الرفيع لعينة من الشعراء ، عاشت
العمر كله تجربة عاطفية واحدة وظلت تعبر عنها في كل ما تبدع من روائع : - لهويتر - بوزايد - قدور بن علي - مولاي قدور
البلغيثي وغيرهم .

وننتقل الآن الى عينة من شعراء "العشاق" لا نكاد نجد شعر العاطفة الصادق عندها إلا في أبيات هنا وهناك ، أو في
أحسن الاحوال قصيدة واحدة تامة وكنموذج رفيع لهذه العينة في نظرننا "الجيلالي متيرد" ، وقد اخترنا من "عشاقياته" .

فَاطِمَةُ شَرَعُ اللَّهُ مَعَكَ بَيْنَ الْإِيَّامِ وَأَشْ لَحِيْبٌ يَكَا فِي بَ : الْجَفَا حَبِيْبُو؟

قد يتغزل فيها ، ويثني عليهاثناء المطر وقد يعمرها ، ويشهر بها لتشهير النخ لا بهم ... سيان عند التنويه بجميل
الحاسن أو التشهير بقبيح المساوي إذا كان النبع هو صدق الشعور والاحساس ، إذ المهم هو حرارة الانفعال عند ما تصل
في هذه الحالة أو في تلك الى التوهج ، بل الى الاشتعال .

يَاللِّي بَهْوَاهَا دَمْعُ النَّوَاجِلِ سَجَامُ
بَعْدَ حُسْنِ الْعَشْرَا وَكَمَالِ طَيْبِ الْمَرَامِ
بَانَ عَيْبِكَ وَغَشَانِي فَ : الْجَوَارِحُ سَقَامُ
الْمَلِيحُ مُسَاعِدٌ وَمُسَاعَدَاهُ الْإِيَّامُ
فُوقُ خَدِي وَضَحْ لَاهِلِ الْهَوَى كُتَيْبُو
رَامَ رَعْدَكَ وَهَطْلَ بَفَرَانْتُو سَكِيْبُو
نَاسُ الْحَيَا لُوَطَالِ الْحَالِ مَا يَعْيِيْبُو
وَالْقَبِيحُ أَفْعَالُوا وَمَصَايِيْتُ تُصَيِّبُو



أَنَا يَا فَاطِمَةُ حَسَنَاتُكَ مَا تَنْسَاهُ
بَحْنِي بِسَرَاتِي وَلَوْ حَتَّى يَغْطَاهُ
وَنَتِ الْإِحْسَانُ مَا تَلِيْتِي مِنْ نَاسُو
مَعْيَارِ الْحُبِّ طَائِعُكَ كَشَفَ انْحَاسُو
حَتَّى بَنِيَانُ مَا عَلَا نُونُ أُسَاسُو

كَانَ كُنْتِي شَادِي ضِيَالُ
كَانَ كُنْتِي صَارَمَ فُلَالُ
كَانَ كُنْتِي بَدْرَ ف : الْمُنَّالُ
كَانَ كُنْتِي سَرْتِيَا مِنْ سَرُوتِ زَعَامُ
كَانَ كُنْتِي بُسْتَانِ دَكَاتِ فِيهِ الْإِنْسَامُ
كَانَ كُنْتِي بَيْنَ فُحُولِ النَّجَايِبِ مَقَامُ
كَانَ كُنْتِي ثُوبِ الْبَسَنَاتِ بَيْنَ الْكُرَامِ
كُنْتِي عَنْدِي لِلنَّاضِرِينَ عَزْ أَوْزَمُوا
قَبْلَ لَا يَحْفَا هَدِيْتُ بِهِ كَمَ مِنْ رِيُوا
مَنْ ضِي سُرُورِ امْحَاسِنِي تَهَلَّلَ وَضُوا
لَحْتُ سَرَجَكَ وَلَقِيْتُ عَلَى الرِّضَا رَكِيْبُو
مَنْ شَدَايَا فَتَحَ زَهْرُو وَفَاحَ طَيْبُو
إِلَى عَلَاتِ الْحَيْطَانِ أَسْوَارَهَا يَزِيْبُو
وَجَلَالِ لَحْنَاهَا لِلنَّارِ سَحِيْبُو

كَانَ سَهْبِي سَتَقْضِي مَنْ حَالُ سَهْوِكَ وَالْي تَهْتِي التَّيَّ تَعْرِكَ أَيَّامُ
نَظْرِي بِمَلَامَحِ الْإِبْصَارِ الَّتِي سَبَقُوكَ كَمَا فَرَّغُوا يَفْرَغُ سَوْقَكَ وَزَحَامُ

سِيرِي حَتَّى يَشْرَبَ عَوْدَكَ بَلْجَامُ

إِلَى تَرْفَعِي قَدْرَكَ يَصْفَ—ارْ لَأَذَابُ يَذُلُّ عَلَى كَمَالِ طِيبِ النَّسَبِ
لَا تُصْرِفِي فَحَبِيبُكَ عَارُ رَدِّي شَيْطَانُ بَلَاكَ عَنْ عَيْنِ الْوَدْبِ
الْجَفَا بَعْدَ الْوَصْلِ غِيَارُ صَاحِبُ غَرَضٍ بَيْنَ الْأَصْحَابِ مَا لَوْ صَحْبًا
لَا تَغْلُطِي حِينَ تَنْظُرِي بِيَاضِ الْكَمَامِ عَمْرًا وَقَاتِ أَهْلَ الْغَلَطِ مَا يَطِيبُ
لَوْ شَرَقْتَ وَلَاحَتْ فَ: الْجَوْ شَمْسُكَ عَلَامُ لَا غِنَا اللَّيْلُ يَنَادِي خَلْفَهَا حَجِيبُ
لَوْ تَعِيشِي مَا عَاشُوفُ: الزَّمَانُ الْإِفْرَامُ لَا غِنَا مَنْ لَكَبَرُ يَأْتِيكَ جُنْدُ شَيْبُ
إِلَى حَكْمَتِي وَتَحْكُمْتِي يَفْرَغُ الْإِحْكَامُ سَاعَتِ الظُّلَمِ تَفُوتُ ، وَنَاسَهَا يَغِيْبُ



حَدَّثْتُكَ وَالْخَدِيثُ لِلْعَاقِلِ تَنْبِيْهُ تَرْكِي صَدَّ الْجَفَا وَجُولِي فَ: أَوْصَافِي
عَرْضُكَ صُونِيهِ ، وَعَيْنُكَ النَّاقِصُ غَطِيْهِ مَحَلُّ مَنْ جَاءَ بِصَدَقٍ وَالْقَوْلُ الْوَافِي

حَافِيَتِكَ بِالْجَفَا وَلَازَلْتُ انْحَافِي

مَا حَدَّثْتُ لَكَ مَنْنِي هَجْرَانُ يَأْمَنُ لَا فِيهَا خَيْرٌ مَنْ شَفَافِي يَكْفَا
بَاحُ سَرِّي بَعْدَ الْكُمَامَانِ لَمَنْ نَشْكِي بَجَفَاكَ يَا قَلِيلْتُ لُوفَا
قَالَتْ الْوَدْبَا وَالْعَرْقَمَانِ مَنْ لَا يَحْسَنُ بِأَحْسَانِ مَا يَلِيهِ مَعْرِفَا
بِالْوَفَا وَأَفِي مَنْ وَأَفَاكَ بِكَ يَتَعَامُ أَشْ مَنْ جَرَحَ بَرَامَا عَالِجُو طَبِيبُ
طَاعَتِكَ لَا زَمَ عَنِّي وَاجِبَا فَ: الْغَرَامُ لَا يَقْطَعُ مَنْ بِهِكَ السَّاكِنِي نَصِيْبُ

بِالْمُكَارَمِ كَرَمِي ، وَالرَّاحِمِينَ تَرْحَامُ لَوْ بَخَلْتَ الْبُخْلَى لَجَوَادَ مَا أَيَّخِيَّ —
طَالَتْ الْغُرْبَا زُودِيَنِي بِسُرْعِ الْأَقْدَامِ ضَرَعُ نَاسِ الْجُودَا مَا غَرَزَ مِنْ حَلِيْبٍ —



مَنْ بَاعَ حَبِيبَ خَاطِرُو بِالْفِ زَلَّةَ بَاعُو بَيْعَ الْخَطَا بِسُومِ رَخِيصٍ بِخِيسِ
أَنَا قَلْبِي عَلَى الْمُحِبِّ مَا وَلَّى وَنَتِ قَلْبِكَ كَالْحَجَرِ جَلْمُودٍ يَبِيسِ
مَبْقَانِي مَنْ جَفَاكَ كَانَعْدَلٌ وَنَمِيسِ

أَشْ قَلْ حَسَانَكَ وَجْهَكَ — دَاكَ حَتَّى خَالَفْتِي عَامِدِي بِغَيْرِ نَوِيَا ؟
شَرَّ رَقِيقٍ افْعَالَكَ يَلْقَاكَ مَا يَنْجَحُ مَنْ لَا فِيهِ صَدَقٌ وَلَا نِيَا
فِي نَهَايَتِ مَسْطُورٍ غَنَّاكَ رَدِي نَفْسَكَ لِحَجَاكَ لَا تَكُونُ سَهِيَا
لَا زِمِي مَنْ طَاعَكَ وَلَغِي عَلَيْكَ الْمَلَامَ وَأَشْ قَلْبَكَ وَصَاكَ تَسَاعَفِي رَقِيبُوا ؟
لِلصَبْرِ شَدِّي يَا تَاَجَ الْغَوَارِمِ حَزَامَ عَارَ الْأَشْيَاخِ الْعَاقِلِ لَاغْنَا يَهْيِيُوا

بَيْنَ لِمَحَاسِنَ لِيكَ رَغِيَتْ حَقٌّ وَدَمَامَ لَا غْنَا كُلَّ مَنْ الدَّاءُ الْجَفَا يَجِييُوا
إِلَى قُرَيْتِي مَسْطُورِي جَاوِيَةِ بِسَلَامَ وَأَشْ قَلْبَ الْمُحِبُّوبِ صَفَا عَلَى حَبِيبُوا



أُمُولَاتِي إِلَيَّ وَتَبِتِ الصَّفْحُ يَقُمْ نَوَيْتُ بَحْرَ نَارِ شَوْقِي وَغَرَامِي
قَوْلِيلِي وَأَشْ خَيْرَكَ الْمَنْعُومُ نَتَمَ ؟ هَلْ تَرْجِعُ كَيْفَ كَانَتْ أَمْعَكَ يَا مِي ؟
نُكَارُ الْخَيْرِ قَالَتْ النَّاسُ حَرَامِي

لَوْ تَبِعِينِي عَلَى لَشَهَادَ حَاشَا نَفْدِيكَ خَيْرِيَا شَبِيهَتْ عَبَا
كَانَ عَشَقَكَ إِلَيَّ جَدَادَ مَا لَوْ نَقَطَعَ يَا بُودَلَالِ مَنْ حَيْثُ خَلَا

يَا تَرَى لَلْفَايِتِ يُعَادُ يَدْفَقُ خَيْرُكَ وَيَفِيضُ كُلُّ يَوْمٍ بِحَمَلَا
ب : الزَّيَارَا وَلَفَّتَنِي حَسَانُكَ التَّامُ كُلُّ يَوْمٍ يَهَبُ نَسِيمَ الرِّضَا بِطَيُّو
فَالْكُدَيْبِي ، زُودِنِي ف : يَقْضَا وَالْمَنَامُ إِلَى غَضَبَتِكَ لَقَلْبٍ يَرُوقُ مِنْ غَضِييُو
عَبْدَا لَجَلِيلٍ يَرَا عِي لِيكَ عَبْدُكَ غَلَامُ لِيكَ طَاعَا وَالْقَادَرُ رَبَّنَا حَسِييُو
الكدوب امولاتي ف : الْمَذَاهِبُ حَرَامُ قَالَ مَمْلُوكٌ غَرَامُكَ : بَرْدِي لَهِييُو

كانت هذه هي قصيدة "فاطمة" أو "الغضبانا" كما سماها فقيده مدرسة الملحن المعاصرة محمد دلال رحمه الله . وهي للجيلالي متيرد المراكشي وقد سبق القول غير ما مرة : أنه كان رحمه الله على رأس شعراء الملحن الذين عاصروا السلطان الصالح المصلح سيدي محمد بن عبد الله

والقصيدة كما لا شك لاحظ القارئ الكريم - تعبر عن تجربة عاطفية صادقة ومن شيوخنا من قال عنها : أن الشاعر يخاطب فيها زوجه الغضوب ، ومنهم من يضيف أن فاطمة هي أم التجار صاحب قصيدة "نور الحق السامي" وأن هذا الأخير نشأ في أحضان الجيلالي متيرد إذ تزوج أمه التي تزلت في عز شبابها ، وتبنى طفلها ، ومنهم من يقول : لا أنها مجرد "شيخة عياطا" ولع بها وعاش مدة طويلة لا تقوت ليلة من ليالي الأفراح التي كانت تحببها بقنها الحوزي ، وهي نفسها التي قال عنها في غينية من "أغانية" يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ تَلَحَّقَ "عَيْطُونَا" طَايْحَا ب : الْمَدَامُ تَلَاغِي

أما أنا فمع الرأي الأول ، وعندني من الأدلة ما يدعوه ، إنما الموضوع برمته مكانه ليس على صفحات هذا الكتاب ، وإنما في "الترجمة للجيلالي امتيرد" من كتاب "أعلام الشعر الملحن" وسيصدر قريبا إن شاء الله

الشعر الغزلي

أما "الغزل" فيكفي - في نظرنا - أن يقول الرجل لامرأة : أن ثوبها جميل وأن الوانه متناسقة ترتاح اليها النفس ، فقد تغزل فيها حتى ولو لم يقصد وعلى هذا الأساس أسوق قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي وهو من المعاصرين للسلطان الجليل الحسن الأول قدس الله سره

طَابَ السَّرُورُ وَنَسِيمُ رِضَاكَ يَقُوحُ كُلُّ حِينٍ وَيَعْطُرُ الرِّيَاضُ أَوْيَعْبَقُ بِالطَّيِّبِ مَنْ كَمَامُكَ
وَعَرَايِسُ الْأَزْهَارِ يَخْضَعُوا لِنَهَاكَ مَائِلِينَ وَالْيَاسُ ، قَامَتِكَ يَتَمَخَّطِرُ وَيَبْتِهْ مِنْ قَوَامُكَ
وَحَنًا ف : ضَلَّ عَطْفُكَ يَا مَوْلَاتِي مَزْهِيْنِ ف : الْعَزُّ ، وَالْهَنَّا ، وَالسَّطْوَا ، وَالسَّعْدُكَ : غَلَامُكَ
لَاتِيَهْ لَا جَفَا لَا هَجْرًا الْقُلُوبُ سَالِيْنِ بِالْفَرْحِ وَالسَّرُورِ أَوْلَمْنَا وَالْخَيْرِ فِي مَقَامُكَ

انت للي علاشاك علل لبنات كاملين
 انت جميع هل لمحاسن لبهاك خاضعين
 انت الساكننا في قلبي ما طالت اسنين
 والسر والطاقا والعقل الراجح الفطين
 والشمس ف: الضحى تستحيا وتغيب في خيالك
 ما ريت ف: الغوالي مسرارا باهيا ابحاك
 وانت المالكاني من بعد كنت لك مالك
 غزيبا ليقا وعذاب القلب من جمالك



انت جويهر مكنونا ف: العقد الثمين
 والجوهري النفيس الساطع والدروالجين
 انت الروح والراحا ، عندك خاطري رهين
 وتبسمي بيان الجوهر ف: الخاتم الحصين
 وانت ويقتا والياقوت قليل في امثالك
 قدام صورتك يتلاشا ، واش قيمتو قبالك ؟
 فكي يسير حسنتك وفدي من زاك في دلالك
 وتمايلي وتيهي يحلالي كل ما خلالك



انت في وصاف بهاك يحيروا الواصفين
 وغصين القديد وغراب التيت والجبين
 وعيون كعيون الضبي اسرادا مهذبين
 طلبت الشرع من لشقار اللي امخبلين
 والقول ينتهي ، وينحصر الكلام في وصافك
 وبجاه حاجبك لمعرق رفعي لي حجابك
 وراي انجيوا للحق الضبي يغير من عيانك
 والخذ ورد حباشي يجري فيه ما شرباك



بك السوانع او الايام او الاوقات زاهيين
 ونتي في حلل وحلي والنهدين واقفين
 والعود ينحرق ودموع الشمعات ساكبين
 هاك الالفاظ تسحر هل الانواق المادبين
 ومباسم السعادة تضحك بسرور هاتفالك
 نحكي لويمنات نقول لمن جايشوف: مالك ؟
 وانت ف: قلب قبا ملوكيا بماره مالك
 نحكي عقود جيدك ، وحلوا كنتها مقالك

من رَأَيْقِ النَّظَامِ اللَّيِّ شَهَدُوا الْفَائِزِينَ — إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ قَوْلُوا مَا بَيْنَ الرِّيَامِ سَاكٍ
اللازمة أو "الحربة"

صُولِي بِطِيبٍ لِمَحَاسِنِ يَا مَشْمُومٍ كُلِّ زَيْنٍ — أَنَا فُ : عَارِ ذَاكَ الْخَدَّ الذَّهْبِيَّ وَمَسْكُ خَالِكَ



تكتفي قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي كنموذج للغزل في الشعر الملحون إنه مجرد تطف ، أو بلباقة أو أنه النبيل في التعامل مع المرأة أما التغني بالمفاتن الحسية للمرأة ، ووصفها من رأسها إلى قدميها ، وتصويرها في غلالات لا تكاد تخفى أي شيء من مفاتنها الجسدية ، فذلك لا يكاد يحصى ، ويكفي أن نجتزئ هذا الوصف من قصيدة "الباكي" للتهامي الدغري ، الذي لا يدانيه ، ولا يمكن أن يجاريه أحد في هذا الباب :

سَبَائِي وَنَظَرْتُ الْقُدُودَ تَتَمَّائِلُ — وَتَسَاعَفُ النَّسِيمُ يَمِينُ وَيَسَارُ
وَسَوَالِفُ وَصَفَائِرُ الشَّعْرِ — بِالْيَاقُوتِ الرَّفِيعِ وَتَسُومُ ذِكْرًا
وَالْفُرَّاءُ وَجَبِينُ تَحْتَ لَيْلِ الْوَقْدِ — بَرَقَ أَوْهَالُ وَتَرِيٍّ وَالْفَرَارُ
وَالْحَجَبِينَ تَوْنِينَ فُ : السَّطَرُ — عَطَفُوا عَطْفًا عَلَى السِّيُوفِ الْمَسْقِيَّ
وَالشَّقَرِ الدَّبَّاحِ تَقُولُ صَارِمٌ وَهَذَابُ — مَرِيشِينَ فَوْقَ "الْفَنَجِ" السَّحَارُ
وَالْخَدَّ الْعُكْرِي بِلَا عُكْرٍ — وَ"الْخَالُ" غَلَامٌ فِي غَرِيصًا مَسْقِيًا
وَالْمَعْطَسُ سَوْسَانُ رُونُوكِ رُكَّابُ السُّلْطَانِ — عَاقَدُوا مِنْ ذَهَبِ التَّشْجَارِ
وَالْمَبْسَمُ مَخْتُومٌ وَ"الشَّعْرُ" — عَقَدُوا مَصْيُورٌ وَ"الشَّفَائِفُ" قَرَفِيًا
وَالرَّجَبَا عَرَاضُ فُ : الْفِيَّافِي مَا يَأْمَنُ حَيَّ مَا يَرُومُ الْفَاشِي حَذَارُ
وَالْعَضْضِينَ صَوَارِمُ السَّقَرِ — وَصَبَاغُ قُلُومٍ وَ"الْكَفُوفُ" حَرِيرِيًا
وَالصَّدْرُ رَحَامُ مَرْمَرِي فُ : مَنَازَةُ مَلُوكِ أَرْضِنَا الْإَشْرَافَ الدُّكَّارُ
وَتَهْيِدَاتُ "تَفَاحُ" فُ : الشَّجَرُ — وَلِلرَّمَانِ فِي غَرِيصًا مَحْضِيًا

وَالْبَطْنُ الطَّائِي عَلَى الْمَطَاوِي يَطْوِي قَلْبَ الْعَشِيقِ طَيِّئًا لَوْ تَحَكَرَ
وَالصَّرَّاءُ بِالْكَاسِ تَتَعَبَّرُ وَالْكَاسُ جَرَّتْ فِي طَرَفِ حَمِيٍّ
وَفَخَّاضَ اسْوَارِي مِنَ الذَّهَبِ فَ: مَنَازَهُ لَعَمَالِقُ الدُّخَانِ قَوْمُ التَّقْضَارِ
صَانُوها فِي قَبْتِ النُّصَرِ وَلَا تَوُجَدُ فِي قُبُوبِ السَّعْدِيَّا
وَالسَّاقُ اسْقَانِي كَمَا سَقَا قَيْسٌ وَأَمْرُ الْقَيْسِ وَبَنُ الْمَلُوحِ مَنْ دُونَ عَقَارِ
سَاقٍ أَحْمَرُ مَنْ وَأَضْحَ أَجْمَرُ الْقَدَامُ مَحْنِيَّاتُ زَادُونِي كَيْيَا

هكذا هي قصائد التهامي لدغري "العشاقيا" التي أعرف منها ما لا يقل عن الثلاث مائة قصيدة، تكاد تكون كلها على هذه الوشيرة، أما الأبيات الصمر، والآيات اللاعبة الملتببة.

أَخْلَعْتُ الْعَذَارَ فَ: مَحْرَابُ الْهَوَى وَصَلَّيْتُ وَمَطَارِبُ الْخَمْرِ تَرَكَّعَ لَصَلَاتِي

إدريس بن علي:

دَاسِيْنِي تَحْتَ الْخَلَالِ بَيْنَ أَدْرُوعِكَ لَمْلَاحٍ وَالْأَلْبَا وَالسُّدُوحُ

التهامي لدغري:

لَيْيَا دَرَاغَهَا بَاتَ وَسَادَا وَرَيْقَهَا بَاتَ أَشْرَابِي تَرُشَّفُو بِطَعْمِ الْبُذِيذِ

عبد القادر العلمي

فلا تكاد تتجو منها إلا قلة قليلة من أمثال بن سليمان لدغري، بوزايد وأمثالهم.

ولو لم تكن في مثل هذه القصائد، أشياء تراثية جميلة، من مقولات، وتمثلات ومعاني مغربية صميمية، ونوادر، وطرائف، وملح، ودعابات، من إبداع الصانع التقليدي.

وحكايات ومغريات كانت رائجة في أوساط الصناعات التقليدية واندثرت ولم يعد لها من أثر يذكرنا بها إلا في مثل هذه القصائد أقول: لو لم تكن في مثل هذه القصائد كنوز وبخائر تراثية لا زلنا نتتبعها ونحاول أن نوثقها لناديت بإلقائها جميعها في البحر حتى ولو كنت على يقين تام من أن التعبير في جلها ما هو إلا قصد التصوير، ولا يخفى ما فيه من كبير نفع لمخيلة الإنسان الذي لا يقرأ ولا يكتب، أو لتصويراته.

نعم قد نجد بقية من حياء في القصيدة التي لا يتجاوز كاتبها في الوصف صدر المرأة كقصيدة زينب ل: بن علي ولد أرزين

رَمَحَ قَدَّكَ دِيوَانِي صَابٌ وَ السَّوَالِفُ تَكْسِي ذَاتَ الْكَمَالِ كَمْ مِنْ نُوبًا
 وَالْجَبِينُ انْوَارُ تَلْهَبُ
 حَاجِبُكَ قَوْسٌ رَمَا نَشَابٌ وَالنَّوَاجِلُ شَهْلًا بِالسَّحَرِ رِيثَهَا مَكْتُوبًا
 شَيْءٌ مِنَ السَّحَرِ وَزَوْجٌ احْرَبُ
 وَالْخُدُودُ وَرُودُ فِ : تَخْصَابُ بَيْنَهُمْ غَنْجُورٌ فَ تَسْلِيسُ زَانَهُمْ خُصُوبًا
 وَفِ : التَّغَرُّ دُرُّ اللَّأ نَكْسَبُ
 سَرَفُ : الْعَتَتُونَ الرُّكَّابُ زِينَةُ اللَّبَاءُ وَالرُّكْبَاءُ الْوَافِيَا الْمَسْلُوبًا
 وَالْعُضُضُ بَرُوقُ فِ : لَحْجَابُ
 وَالْكَفُوفُ اصْبَغَ مِنْ عَنَابُ وَالصَّبَاعُ قُلُومًا بِخَوَاتِمِ الذَّهَبِ مَرْكُوبًا
 وَفِ : الصَّدْرُ رَمَانٌ امْحَجَبُ

ويقف عند هذا الحد ليقول :

شَيْءٌ مِنْ وَصْفٍ وَصِيْفِكَ جَابُ يَا إِلَهِي مَا تَشَبَّهَ لَبْهَاكَ بِأَهْيَا مَا نُوبًا
 لَافُ : لَمْدُونٌ وَلَا فِ : عَرَبُ

ومنهم من وقف عند محاسن الوجه ، ومنهم من اقتصر على جمال العيون أو جمال الثغر ، ومنهم من اكتفى بأشراقه بسمة ، أو رنين ضحكة بل قد نعثر على أبيات هنا وهناك ، وحتى على قصائد كاملة ، تتجاوز جمال المرأة الحسي لتصل الى جمالها المعنوي ، رقة مشاعرها ... رهافة أحاسيسها نبل أخلاقها . و و إلى آخر محاسنها المعنوية .

وخير من أعطى العطاء الأوفر في تجاوز القشور للتعامل مع اللباب هو سيدي هاشم السعداني رحمه الله
 زَيْنٌ وَتَحْتَ الزَّيْنِ سَرٌّ مَا يُوصَافُ فِ : الْأَشْعَارُ مَا يَتَنَظَّرُ بِبَصَارُ
 زَيْنٌ أَيْحِيزُ الْافْكَارِي زَيْنُ الرُّوحِ الطَّاهِجَا يَخْلِي لِمَحَاسِنَ عَاطِرًا
 وَقَلْبُ حَلِيبٍ صَفَاوَتْهُ وَبُعِيدًا مِنْ كُلِّ غِيَارٍ وَالرُّوحُ مِنَ التُّطْهَارِ

"هِيَ سَبَّتْ تَطْهَارِي" وَالْعَزَافُ : النَّفْسُ خَرَقَ عَادَا فَ : النَّظْرَا ظَاهَرَا
لِيَقَا وَمَادَّبَا "لَطِيفَا دُرْتُ الْاَبْكَاارُ بِكَ يَطْهَجُوا الْاَفْكَاارُ
يَا رُوحَ جَمِيعِ اشْعَارِي يَا سَرَّ مِنْ اسْرَارَ مَنْ عَمَلْ فِيكَ اسْرَارُو ظَاهَرَا
وَالرَّافَا ، وَالذُّوقُ ، وَاللُّطَافَا ، وَاسْرَارُ كُنَّارُ فِيكَ احْرَتْ الْاَحْبَارُ
وَطِيبَ عَبَقِ عِلَلِ الْقَمَارِي يَامَا وَرَدَّ الْخَلْدُ فِي مَرَشَا مِنْ جَوْهَرِ بَاهِرَا
فِيكَ كِتَابِي فِيكَ لَوْحَتِي ، فِيكَ قَرِيتْ اسْرَارُ مَا دَرَكُوها الْاَحْبَارُ
مَا كَتَبُوها فَ : شَطَارِي يَا سَبَّحَانَ اَللّٰي اَشْشَاكَ شَهْدَا بِمَصَالُو عَامَرَا

فالمرأة إذن عند السعداني "ماورد" الخلد في مرشاً من جوهراً وتلك - لعمري - حقيقتها ... فسبحان من أنشأها شهداً
بمصالو عامراً

شعر الغربة

بقي أن أضيف أن :ملحون الغربة" وياما في ملحون الغربة ، من عواطف جياشة صادقة - هو أيضا يدخل في غرض
العشاق

شعراء من قاس دُبَاغَا" أو لِبَاطَا هاجروا الى مراكش ، والعكس صحيح ... شعراء مراكش "خرازا" أو "درازا" هاجروا
الى سلا وأيضاً العكس صحيح ...

شعراء من قاس من مكناس ، من سلا ... "بُتَايَا" "كَبَاَصَا" "بُتَارَا" هاجروا الى الصويرة والعصر غير العصر ،
والموصلات غير الموصلات ، فينبعث الحنين الى الامل والاحباب ويكثر الشوق ، وتطول المسافات ، ولا يجد غريب الديار
كمتنفس يروح به عن نفسه إلا هذا اللون من الشعر .

سَلَمَ يَا مَنْ لَامَ الْفَرَامُ طَفَعَنِي بَنَصَالُو كَفَ مَلَامَكَ لَا تَلُومَ لَوْمَانِكَ غَيْرَ كَنْوَبُ
خَلِينِي كَيْفَ قَضَى وَقَدَّرَ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُو وَالْوَعْدُ نَوْدِيهِ وَالْقَضَا لَيْسَ عَلَيْهِ اهْرُوبُ
فِي كُلِّ انْهَارٍ نَكُولُ مِنْ غَدَا وَالْوَعْدُ بِمِجَالُو وَيَلَادِي جُوبَا مَدْرَقَا بِشَنَاقَرُ وَسَهْوَبُ
عَلَى رَفُودِ عَيْنِي يَظْهَرُ "زَلَاغُ" وَاجَهْ "تَغَاتُ" وَ "كَنْدَرُ" دَارُ بِالْجِبَالِ الْمَنْصُوبَا
هَمَا يَفْكُونِي فِي بَرِّ مَرَامُ "جَاوَرُو كِيلِيرْزُ" أَوْ صَمْعَا مَقَابِلَاهُمْ مَنْصُوبَا

يَزِيدُ كُلَّ سَاعًا شَوْقِي مَنْ فَقَدَ لَا مَتَى وَتَعُودُ الدَّمْعَا عَلَى خُدُودِي مَسْكُوبًا
 بَاقِي غَرِيبٌ فِي فَاسَ الْبَالِي فَرِيدٌ مَنْ شَفُو حَالِي ؟
 كَانِبَاتُ نَقَسَمَ دَاجِي وَدَمَعَتِ الشُّوْقُ عَظِيمًا
 اِيْمَتِي كَمَا هَذَا الْفَرَّاقُ
 فَرَقْتُ نَاسِي وَرَجَايَ أَوِ اللَّي شَطْنُو بَالِي
 وَالْمَسَايِفُ شَلًا وَطَرِيقَهَا مِنَ الْخُوفِ طَوِيلًا
 طُولُ زَمَانِي نَسَعَى اللَّهُ لَجَلِيلِ الْعَالِي يَجْمَعُ شَمْلِي بِغَزَالِي
 لِلْمَدِينَا الْحَمْرَا نَمَشِي نَشُوفُ زَيْنَ التَّخْلِيلِ لَا
 غَايِبٌ غَايِبٌ هَذَا شَحَالٌ وَأَيَّامُ الْغِيَا طَالُو وَاللَّي رَادُ اللَّهِ فِي زَمَانِ الْغُرْبَا مَكْتُوبًا
 عَمْدًا عَمْدًا لِلِّي غَرِيبٌ كَيْفِي وَقَوًا تَجَوَّالُو فَ : بِلَادِ النَّاسِ مَا يَصِيبُ الرِّيحَا مَتَعُوبُ
 طَالِبُ نَعَمِ الْمَتَعَالِ مَا يُخَيِّبُ قَصْدٌ مَنْ سَعَالُو يَجْمَعُنِي فَ : مَدِينَتِ الْحَضَرِ قَامَانُو مَحْجُوبُ
 وَالْغُيَا جُوبًا وَحَرَمًا وَالْوَعْدُ الْمَكْتُوبُ
 مَصْبِرْنِي لِلتَّيِّ وَالْجَفَا وَغَرَامَكَ زَادَ الْقَلِيبُ رَجْفًا
 نَارُ الْفَرَاقِ صَعْبًا وَالْغِيَا وَاعْرَا عَلَى لَحَابِ وَالرِّزْقُ وَالطَّعَامُ يَنَادِي اللَّي سَابِقًا تَكْتَابُ
 وَاللَّي هَوَانٌ مَا يَصْنَعُ سَابُ
 طَالِبُ رَبِّي عَالَمُ الْخَفِيَا يَجْمَعُنَا فَ : سَاعَا زُهِيَا
 وَنَقُوسُ لَوْ عَلَى سَلَامَتِ الْغِيَا سَابُ

هذه أغنية ملحونة "السراب" وقد سبق أن تناولناها ببعض التفصيل في الفصل الأول من هذا الكتاب .

قلت هذه أغنية ملحونة كتبها شاعر مراكشي وهو في مدينة فاس ... ولا بأس في مقابلتها بأغنية ملحونة أخرى ، كتبها شاعر فاسي ، وهو في مدينة مراكش .

أَعْشِيرِي شِ يَنْسِينِي فِرَاقُ لُونِاسْ أَعْشِيرِي خَلَيْتُ أَنَا بِلَادَ الْحَضَرِ
 وَبَقِيتُ غَرِيبٌ فِي بِلَادِ النَّاسْ
 أَعْشِيرِي لَا غَاشِي لَا خَيْرُ رَقَاسْ أَعْشِيرِي يَا تِينِي بَ : الْبَرَا يَخْبَرُ
 وَيَهْنِينِي عَلَى مَدِينَةِ فِاسْ
 أَعْشِيرِي هِيَ أَرْضُ الْمِيَاهِ وَغَرَّاسْ أَعْشِيرِي هِيَ نَقْمًا لِكُلِّ ضَاسَرِ
 طَاطِيهَا خَادِفَ : الْعَضَا مَدْعَاسْ
 أَعْلِي ضَامَتَهَا سُلْطَانُ أَرْضِنَا عَسَاسْ
 فَاضْ بَحَرُو مَالِيهِ قِيَّاسْ رُوحْ دَاتِي مُوَلَايْ ذَرِيَسْ
 لِيهِ طَاعَتُ مَنْ دُونِ عَكَّاسْ مَنْ الْهِنْدُ وَشَكَ الْمَقْدَسْ
 وَالْفَرِيبُ امْلَاحَقْ الْانْفَاسْ تَاهْ عَقْلُو مَا صَابَ وَثِيَسْ
 أَعْشِيرِي وَقْتُ مَا شَفَتْ ذُوكَ الْاقْوَاسْ أَعْشِيرِي تَتَفَكَّرُ نُورَتِ النُّوَاسْ
 وَيَنْوُرُ الزَّيْنُ مَنْ اخْيَارِ النَّاسْ
 أَعْشِيرِي يَظْهَرُ فَاسْ أَجْدِيدُ قِيَّاسْ أَعْشِيرِي مِيرَ الْعَلَفَاتِ وَالْفَنَاضِرِ
 تَمَّا قَصْرُ وَيَّانُ فَ : الْعَسْفَاسْ
 أَعْشِيرِي شَاهَدَتْ تَغَاتُ بَيْنَ الْاَغْرَاسْ أَعْشِيرِي يَظْهَرُ بَيْنَ الْجِبَالِ كَنْدَرُ
 زَلَاغْ عَلَى مَدِينَتُو عَسَاسْ
 أَعْلَى شُوفْ جَنَّانِ الدُّوحِ فَ : الْبَطَايِحِ مَاسْ
 وَلَعَشِيْقُ بَ : الْفَرَامُ تَقَاسْ
 عَلَالُ يَا عَلِي كَمْ لِي نَرْجَا مَنْ غُرْبَتِي بَاغِي نَنْجَا هَذَا اشْحَالُ كَانْتَرْجَا

وَلَا قُطْعَتَشِي لِي سَأَسْ جَرَحَ الْعُضَا بِغَيْرِ مَأْسْ
خُويَا وَصَاحِبِي طَالِبُ رَبِّي ، نَلْقَى عَشَائِرِي وَأَصْحَابِي ، نَنْسَى أَمْحَائِنِي وَشَغَائِبِي
مَنْ اللَّي نَرَى مَدِينَتَ فِئَاسْ

يقولون : "الشقي للشقي نسيب" . أما الاغنية الثالثة في هذه المجموعة تقول "الغريب للغريب حبيب"

مَبَارَكْ عِيدَكْ وَأَهْيَا الْبِرَّانِي مَنْ لَأَلُو سَنِيدْ وَالْغَايِبْ يَتَرَا حَمَّ مَعَا اللَّي مَلُوفْ : الْغُرْبَا فَرِيدْ
وَاللِّي عَنَدُو مَحْبُوبْ صَارَ لِيهِ وَكِيدْ يَتَفَرَّحُوا صَبَاحَ الْعِيدْ
وَأَنَا مَعَكَ تَتَفَرَّحُوا

قَرَّبْ لِي نَعِيدْ لِيكَ اخْبَارِي
وَتَعِيدْ لِي خَبَارَكْ

نَحْكِي لَكَ أَشْ صَارَ فِي أَيَّامِ اعْدِيدَا
أَنَا مَتَغَرَّبْ ... وَالْغَرِيبْ يَرْجَاوُهُ نَاسُو
بَعْدَ حِينْ فِي أَيَّامِ سَعِيدَا
وَأَنَا نَاسِي جُويَا اضْحَاوَا
حَايَزْهُمْ وَادْ " غَمَّاتْ "

الْمَكْنِي " صَبْرَا "

وَوَادْ " نَفِيسْ " مُوَاجَهَةٌ لِلْجِدَارْ
وَجِبَالْ " الدَّيْرْ " وَتَيُودَارْ
بَهْجَا وَتَعَمَّ بَهْجَا

صَالَتْ بِسَرُورِهَا عَلَى الْقَلْبِ لِذِيْدَا

خُودَاتُ كَالْجَلَابِ——لَايَبُ
 غَزْلَانُ يَبْهَوُفُ وَطَيَّانُ الْيَبِ——دَا
 أَنَا فِي فَاسٍ فَرِيدُ
 وَالْحَبِيبَا رَاهَا فِي بَهْجَتِ الْمُتُونِ "الْحَمْرَا" أَرْضُ اجْرِيدُ
 وَالْمَرْكَدُ تَادَا
 وَالْقَدَامُ يَجُولُو بِي عَلَى اللَّيِّ سَابِقُ لِي مَكْتُوبُ
 فِي سَطُورِ التَّنْفِيدِ
 وَسَوَائِعُ الْفَرَاقِ يَفُودُ
 وَتَرْجَعُوا الْفُرْجَاتُ لَذِيذَا
 أَنَا الْغَايِبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
 عَشْرُ أَيَّامٍ طَرِيقُ
 وَالْمَسَايِفُ شَلَالًا وَطَرِيقُهَا
 مِنْ الْخَوْفِ شَدِيدَا
 لَكِنْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَشْ بِيَدِي نَعْمَلْ لِحُكَّامٍ لِيهِ
 أَرْجَايَا فِيهِ يَلَمْ لِي الشَّمْلُ ، وَأَنْهَنَا وَلَا نَعُودُ نَكِيدُ
 نَفْرَحُ بِالرَّضَا وَتَزِيدُ
 أَوَاهِ يَ : الْبَا——رَأْنِي ...
 قَرَبُ لِي النُّوحُ غَيْرَ أَنَا وَيَاكَ
 شَاقُ شَوْقِي
 وَتَفَكَّرْتُ لَا مَتِي وَتَاسِي
 وَصَبَحَ جَمْرِي زَيْدُ يَوْمَ الْعِيدِ

وشعر الغرّيا لا يوجد في الاغاني الملحونة فحسب ، أعني "السرايات" بل في القصائد أيضا : "يَاللّٰهُ وَيْنَ أَنَا مَا جَابَ لِيْ خَيْرٌ" تغريبة الفقيه لعمرى بتادلة ، ومسقط رأسه مكناس :

يَا تَغْرَابِي عَلَى الْغَرْبِ أَتَغْرَابِيْ غَرِيْبَةً بِنَ عَلِي الْمُسْفِيُوِي فِي "الترك" وأصله من أسفي "غَرِيْبَتِيْ غَرِيْبًا فَ : التَّغْرِيبُ" بوزيان ... على كل حال أعرف ست قصائد من شعر الغرية ، وما اخترت "الاغنية الملحونة" "السرايا" إلا لأنها قصيرة خفيفة تيسر التعامل مع أكثر من شاعر من جهة ، ولأن لها الحق في أن يكون لها مكانها هي الاخرى على صفحات هذا الكتاب .
والى جانب شعر الغرّيا نجد شعر الرحلات رحلة بلقاسم الى سلا :

قَالُوْا الْاَحْبَارُ السَّفَرُ يَقْطَعُ اسْلَاسِلَ الْفَقْرِ وَالْجَوْلُ لَا تَنْبِيْهُ لِلْفَكْرِ
وَتَزِيْدُوْا يَضْمَارُ وَالرِّزْقُ يَنْبَادِي وَالْمَهْجَا جَرَا
صَحَّتْ الْاَخْبَارُ اَنْهَارُ كِتَابٍ سَرِيَتْ لِّلْسَفَرِ قَلَّتْ الْجَوْلُ حَدَهَا شَهْرُ
هَآيِمٌ بَيْنَ قَفَّارِ تَايَةً فَوْقَ الْيَبْرِ اَلْعَمَامُ
مَاعَبَتْ قُرَارُ غَيْرِ اِنْفَاجِي الْاَهْوَالِ وَالْكَدْرِ حَتَّى جَلَّتْ سَوَاحِلُ الْبَحْرِ
وَمَهْمَا اَلْاَقْطَارُ رِيَتْ الْمَرْسَاتُ وَقَلَّتْ يَآ تَرَا
بَانُو الْجُدَارُ وَظَهَرَ حَسَانُ هَمَامٍ مَشْتَهَرٍ عَنْ شَلِيْفِي قَبْتُ النُّصْرُ
رَاقِبٌ عَلَّ الْاَسْوَارُ بَيْنَ سَفَايْنِ وَيَحْوُرُ زَافَرَا

رحلة "التجار" الى فاس ، رحلة بوزايد الى تلمسان ، ورحلات ورحلات تحتفظ لنا بالكثير من أسماء القبائل وعاداتها ، وتقاليدها كما تحتفظ لنا بالكثير من أسماء الانهار ، والعيون ، والآبار الى غير ذلك ، مما يزخر به شعر الرحلات ... وهذه الاسفار ، وهذه الرحلات قد أنتجت لنا شريحة أخرى من شرائح "العشاق" هي :

"شعر المراسلة"

قَدْ يَكُوْنُ سَاعِي الْبَرِيْدُ مِنَ الْحَمَامِ
لَلَّهِ يَا حَمَامُ الَّذِي عُنُوَانِي مَعَ السَّيْلَامِ

لِّلصَّحْرَى يَا وَرْشَانَ تَغْدَالِي وَهْدِي سَلَامَنَا كَانَ وَصَلْتِي لِلْأَشْرَافِ

فَكُدُّهُمْ فَا : الْغِيَابِ

سِيرَ بَكْتَابِي يَا وَرْشَانَ سَلَّمَ عَلَيَّ الْبَدْرُ السَّيَّارُ

وقد يكون مجرد نسيم ، أو ضوء القمر ، بل قد يكون من البشر :

أَمْرَسُـوْلِي لِلَّهِ صَبْرِي هَذَا أَشْحَالُ وَأَنَا فَا نِي مَهْجُورُ

مَيْسُورُ الْبَيْنِ وَطَالَ صَبْرِي نَوَاحٍ فِي أَبْلَادٍ بَعِيدَا مَهْجُورُ

وَالْهَاجِرْنِي مَا جَابَ خَبْرِي مَا خَفْتُ غَيْرَ نَمُضَا مِنْ قَبْلِ يُزُودُ



صَيِّفْتُ لِلْفَزَالِ بَرَاتِي مَرْسُولِي "مَشَا طَرْدَاتُـو

قَرَأَ لَهَا حُرُوفَ ابْنَاتِي قَبْضَاتُ الْكَتَّابِ" أَرْمَاتُـو



هذا وقد رمزوا بالمرأة الى أمنا الارض :

صَبِحتْ بَارِزَا فَا : كَسَاوِي حَسَانِ دَامَ اللّهُ جَمَالَهَا وَحَسَنُـو

ورمزوا بها الى الكعبة "ملیكة" للغرابلي "فضيلة" ل : بن علي ...

"ليلی" للحاج ادريس ، ورمزوا بها الى الحكمة "دامي شرادا" لسيدي عبد القادر .

ورمزوا بها الى "اشجيا" أو "الإلهام" أو "الموهبة" "حمايت الاسرار" للازموري و ... كما يقول المثل العربي : "مالا يدرك كله

لا يترك كله" هذا باختصار شديد هو ما اصطلح أهل الملحون على تسميته ب : العشاقی

* الساقى "أو" الخمرية *

كل الإبداعات التي تسمى "الساقى" - قصائد الساقى ، سرايات الساقى ، عرويات الساقى هي خمريات ، والخمريات في الشعر الملحون ، لا تقف عند حد ما يوحى به اسمها ، بل تجوب فضاءات وقضاءات لا تكاد نجدها في أي غرض آخر من أغراض الملحون .

لوحات الاصائل ، نسانم البكور ، ألوان الشفق ، روح الفجر ، والتراث ... أي نعم التراث ، هذا الفيض الزاخر من المعاني ، من التمثلات ، من الرؤى ، من التصورات ... وقد أفاضه الصانع التقليدي والرجل الحرفي ، على شاعر الملحون والفنون فن التعبير ، فن التصوير ، فن التشخيص ، فن التجريد ، وتجسيم ما لا يحسم ، وتجسيد ما لا يجسد ... يوحى الله الجليلي متبرداً إذ يقول :

"الرَّهْوُ" فَسَطُورٌ نَظْمُنْ نَاهُ وَالْهَوَى سَاقِي سَمَيْنْ نَاهُ
وَالْوَدْنَ سَمْنْ نَاهُ

وفي بعض النسخ زيادة هي : "وَلَا زِيَادَا إِلَّا خَيْرٌ"

فرتين كؤوس الخمرة أذن ... وألوان أنواعها ، وأسماء عيناتها ، وجمال ساقيتها ، والزرايبي .. والارائك .. والطنافس ... وما الى ذلك ما هي إلا من قبيل "الاكسوسوار" في صناعة "السيناريو" أما المحتوى في أبعاده ومرامييه فهو أعلا وأرفع وأسمى بكثير من هذه الشكليات .

وسنكتفي في هذا الغرض بقصيدتين فقط فجر "التهامي لدغري" وفجر عبد القادر العلمي فأما فجر التهامي لدغري فسنورد منه مجرد أبيات من هذا المقطع أو ذاك وأما فجر عبد القادر العلمي ، فسوف نسجل نصه الكامل ، مع تحليل له شامل ساهم به الاستاذ عبد الصادق سالم في ندوة "الشعر الصوفي" بملتقى سجعلماسة الثالث للملحون أيام 8 - 9 - 10 يوتيه 1990

يقول التهامي لدغري في نسانم الفجر :

مَا شَمِيتْ نَسَائِمَ الْفَجْرِ حِينَ أَتَيْتُ زَيْتَرَ الرَّهْرِفَ : خَمَائِلُ الْأَنْوَاحِ
وَتَرَشْ كَمَا مَوْ الْفَائِي حَا وَتَغْرَمُ ادْنَانُ الزَّهَبِ دُونَ شَحَا حَا

فالنسيم يهب على الاغصان فيحركها ، فيبدأ "الرش" من أوراق الاغصان و"الرش" قد يكون المقصود به "التصفيق" وقد يكون إشارة الى قطرات الطل المتجمعة على الاوراق ... وكيفما كان الحال ف : اللفظ من قاموس الدارجة المهجور ... وكذلك "لغراما" أي وريقات الازهار التي تتساقط بفعل النسيم وهي هبات الفارح المسرور لمن أدخل عليه الفرح والسرور .

مَا شَفَقْتِي هِزَارَ " تَأَيُّوْرَقْ " بِأَوْرَاقِ الرُّوْضِ وَيَخْطُبُ فَ : مَنَابِرُ الْاَنْوَاحِ
وَعِيُونُ النَّرْجِسِ ط_____كَفْحَ بَنَدَاهَا خَاشِعًا وَدِيمًا نَوَاحًا

ومن قاموس الدارجة المهجور أيضا "التوريق" ف : العلامة المحدث يحدث الناس مما جمع الله في صدره من علم ومعرفة ، فهو يوما يرتجل حديثه ، أما الفقيه ، المورق " فهو الذي يحدث الناس من كتاب يقرأ لهم بعض صفحاته .

والهزار عند التهامي لدغري هو ذاك "الفقيه المورق" : تَأَيُّوْرَقْ بِوْرَاقِ الرُّوْضِ وَيَخْطُبُ فَ : مَنَابِرُ الْاَنْوَاحِ .
مَا شَفَقْتِي شِ الْبَاغِ كَا يَحْفَظُ " لَمَحْضَرًا " مِنَ الطَّيْرِ وَرَدُّوْ فِي كُلِّ صَبَاحِ
وَالْوَرْدِ وَذَاتُ مَفْتَحًا يَصْفَى لَقَرَايَتُوا بِنَقْمًا صِيَّاحًا

"لمحضرا" لمحاضريا" أيضا من الدارجة المهجورة ... والمعنى ، تلاميذ الكتاب القراءاني .

والطير المعروف باسم "الباغ" يلقن "لمحضرا" أولاد الطيور . الورد الذي يرددونه قبل الشروق في كل صباح
وأشرقت الشمس ، أو على حد تعبير عبد القادر العلمي : " وَتَحَقَّقْ ضَلَّ الْوَرَّاقُ "

مَا شَفَقْتِي ضَلَّ الْوَرَّاقُ يَتَعَانَقُ بِالْعَشْقِ الْحَقِيقِ فَوْقَ زُرَابِي الْاِبْطَاحِ
تَقُولُ عَرُوسًا جَاءَ رَايَحًا فَ : كَمَايَمَهَا بَعَزُ حَنْطًا وَسِيَّاحًا

وهذه الإشارة الجميلة الى الرياح وهي تكتب على صفحات المياه الساكنة "سطور الوهب"

لُوشِفَتْ "السَّهْرِيْجُ" سَطُرَتْ فِيهِ الرِّيْحُ سَطُورُ مِنْ الْوَهْبِ قَرَاهَا نَصَّاحُ

من أجل معجم الدارجة المهجور ، ومن أجل ما في هذه القصائد من وصف الأجواء الاصال والبكور ، والضجى ... والليل إذا سجي ... والليل إذا يسري ... والصبح إذا تنفس ، من أجل هذا وما شابهه ... ومن أجل ما في هذه القصائد من إشارات صوفية سوف يكشف عنها الأستاذ عبد الصادق سالم بعد لاي ، من أجل هذا وغيره مما لا نريد أن نطيل بذكره ، تحب هذه القصائد ونعتز بها ، حتى ونحن نتخرج في إذاعتها ، أو الترويج لها .

النص الكل لقصيدة "الفجر .. أو الساقى" وهي من غرر قصائد سيدي عبد القادر العلمي .

اللازمة:

رَاحُ اللَّيْلِ وَعَلَّمَ الْفَجْرَ تَاكَ الصَّبْحُ الرَّاقِي يَا سَاَقِي
دُورُ عَلَى الْحَضْرَا بَفَتْجَلْكَ تَرَيَانُ الْمَوْسِي قَى جَرَّعَ لَلْسَاهِي يَفِيْقُ

القسم الاول:

شُوفْ هَمَامُ الضُّوْ بَانَتْ عَلُومُوْ فَ : الْاَفْـاقُ
وَنَظَرُ لَشَمْسُو الْبَاهِيَا عَلْلْ لَجْدَارْ شَرِيْقَا هَزَمَتْ سَلْطَـانُ الْفَسِيْقُ
وَطَيَارُ الْبُسْتَانْ كَاتَسْبَحْ لِلْحَيِّ الْبَاقِـي
فُوقْ غُصَانِ الرُّوضْ كَاتَحْنِيْ بِاصْوَاتْ رَقِيْقَا صَاحُ الْبَلْبَلْ وَالْبَشْرِيقُ
شُوفْ اَمَ الْحَسَنُ شَاكِيَا لِلْحَيِّ الْخَلَاْقِـي
بَغْرَامْ هَوَاهَا لَانْهَا مَوْلُوعَا وَعَشِيْقَا بِالْحُبِّ جِسْمَنَهَا رَقِيْقُ
وَالْحَرْبِلْ يَنْشُدْ مَايْتُوفَ : طُلُوعُ السَّرِيْقَا
وَالْحَدَادْ اِيْجَاوِيُوْ بَرْنَا فَ : نَغَامْ لِيْقَا تَسْبِيْ الْوَالِغْ وَالْعَشِيْقُ



القسم الثاني :

مَاسُ الْغُصْنِ النَّايِقُ وَزَخْرَفَتْ لَحْدَايِقُ وَتَحَقَّقْ ضَلَّ الْوَرْدَاقُ
وَالْبُسْتَانُ الْبَاسِقُ وَمِيَاهُوْ تَدَافِقُ فَغْرَاسُ نَوَاحُوْ سَاقُ
فَاحُ الزَّهْرِ الْعَابِقُ وَأَصْبَحْ غُصْنُوْ رَايِقُ وَرَوَاتُ الْغُصَانِ الرِّقَاقُ
طَابَ سِرُّوْ الْعَاشِقُ ذَاتُ الْحُسْنِ الْفَاقِقُ يَخْجَلْ مَنْ شُوفْ الرَّمَاقُ
طَارَ غَرَابُ الدَّاجِ وَالْخَمْرُ فَ : الْاَوَانِيْ بَاقِـي
اَهْدِيْ كَاسَكَ لِلْمَلِيْحِ وَخَضَعَ لُوْ بَتَبْنَدِيْقَا وَفَهَمْ مَعْنَاتُوْ وَعِيْقُ
رُويْ يَا سَاقِيْ خَمْرُ قَمْصَا لَكَ وَسَطُ رَوَاقِـي
وِيْلَا فَاَضْ الْكَاسُ كُلُّ قَطْرَا فَ الْاَرْضُ عَقِيْقَا وَأَصْفَا مِنْ الدُّرِّ اشْرِيْقُ

غَدَرَ لِي تَكْمَلُ فَرَحَتِي يَتَحَقَّقُ رَوْنًا قِسِي
 تَرَكَ الْخَمْرَ وَهَاتَ لِي الصُّهْبَا فَا : الْكَاسُ حَقِيقَا وَمَلَأَ لِي ذَاكَ الْبَرِيْقُ
 كَاتَبَ مُوَلَانَا السَّعِيدُ سَاعَدَ وَالشَّاقِي شَاقِي
 لَا تَسْتَكْرِبُ مَنْ ذُنُوبٌ وَلَا تَتَكَلَّمُ عَنْ تَبِيقَا مُوَلَانَا غَانِي شَفِيقُ

القسم الثالث :

رَاحَ اللَّيْلُ وَلَاقَا .. إِلَّا وَقْتُ الْمَعَانِقَا .. كَبُ .. أَرَا .. وَدُخِيَ الرُّوَاقُ
 بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَا .. أَوَالِطِيَارِ النَّاطِقَا .. عَمَرَتْ بَلْغَاهَا اسْـوَاقُ
 كَبُ الْخَمْرِ الْخَارِقَا .. فِي كَيْسَانِ ابْنَادِقَا .. مَنْ رَاجَ أَبْلَادَ الْعِرَاقُ
 تَظْهَرُ خَمْرًا بَارِقَا .. فِي أَوَانِي شَارِقَا .. فِي لُونِ سَحِيقِ الرَّمَاقُ

سَرُودُ الدُّنْيَا وَزَهْوَهَا فَا : الزَّيْنُ أَوْ الْعِرَاقُ قِسِي
 وَالصُّوْلَا وَالْعَزَا فِي رُكُوبِ الْفُرْسَانِ حَقِيقَا وَمَعَ الْفَضَا وَالْوَرْدِيقُ
 سَعَدَ زَمَانِي تَاكَ كَوْنِي وَيَتَنَوَّدُ إِشْرَاقِي
 هَذَا وَقْتُ سَعِيدِ كَبُ كَاسِ الْخَمْرِ لَعْنِيْقَا لَا تَرْتَأِشِي لِلرَّحِيْقُ
 غَنِي بِأَشْعَارِ الْقَدَامِ وَذَكَرُ طَبِيعِ الْعُشَاقِ قِسِي
 مَتَعْنِي فَا : جَمَالَ صُورَتِكَ وَالْحَاطَكَ لَفْسِيْقَا يَا خَدَّ الْوَرْدِ اشْـشَرِيْقُ
 بِصَنَائِعِ وَسْجُودِ وَالتَّوَاشُحِ مَنْ شَغَلَ نَوَاقِ قِسِي
 وَادْكُرْ قُصْدَانِ الْكِبَاحِ وَبِرَاوِلَ فَا تَرُونِيْقَا مَنْ شَغَلَ الْحَبَرَ اللَّيْبِيْقُ

القسم الرابع :

خَلَعَ الدَّاجُ غَسَاقُو وَرَخَا الصَّبِيحُ أَرْوَاقُو وَلَبَسَ حُلَّتَ الْأَشْـشَرَاقُ

دَاقَ الْحُسْنَ أَوْثَاقُـو وَرَخَا سِرَّ امْسَاقُـو وَالزَّيْنُ خَلَقُـو الْيَاقُـو
 دَارَ الْحُبِّ ثَمَاقُـو لَمَطَرُزْ بِمَسَاقُـو وَخَرَجَ لِاصْحَابِ الْاَشْـوَاقُـو
 وَأَمَرَ عَنْ عَشَاقُـو قَدَامُوا يَنْسَاقُـو وَحَيَا لَعَهُودِ الْوَثَاقُـو

امضِلْ ، وَقَادَاتُ ، وَالْمَزَارِقُ ، وَالنَّاجِ الرَّاقِـي
 وَكَدَاشُـو ، وَمَحَافُـو وَرَايَاتُـو فِ : تَرْوِيقَـا وَطَبُـوْلُ الْحَرْبِ الزَّعِيقُـو
 أَمَّا فَكَمْ مِنْ دَهَاتُ ، وَمَا زَهَقُ مِنْ تَاقِـي
 وَمَا بَعْدُ مِنْ أَفْضَالٍ عَنْ لَمَزُـو وَالْتِيقَـا وَمَا عَادَا مِنْ صَدِيقُـو
 مِنْ حَرَبُ لِعَصِيفِ تَاهُ قَيْسُـو وَ"جَابِرُ لِعَرَاقِـي"
 وَالْعَبَسِـي لِهَمَامُ "عَنْتَرَا" تَرَكَو الْحُبَّ فَضِيقَـا وَسَقَاهُ السَّمُ الْخَرِيقُـو
 كِي كَانَ مِنْ أَرْمَانٍ حَاطَ قَدَامُـو عِلَّ لِعَنَاقِـي
 الدَّابَّـا مَا زَالَ سِيرَتُـو عِنْدَ النَّاسِ حَقِيقَـا لَا حَدَ لِحَرَبُـو وَيَطِيقُـو



القسم الخامس:

يَا مَنْ دَرَا نَتْلَاقَـا بُونَجَلَاتِ غَسَاقَـا وَكَيُـوسُ مَدَامِـي يَنْدُوقُـو
 صَالٍ يَطْبَعُ عَشَاقَـا وَكَيَاسَـا وَفَيَاقَـا يَجْرَحُ مِنْ شَوْفِ الرَّمُوقُـو
 وَحَنَا زُوجَ رَفَاقَـا وَالصُّهْبَا دَفَاقَـا فِ : دَوَاحِلِ غَمَقِ الْغَمُوقُـو
 فِيكَ الشَّوْفُ عَشَاقَـا بُوَصَالِكَ نَتْلَاقَـا رَاقَا يَا بَذَرَ الشَّـرُوقُـو

وَصَالِكَ فَرْجَا الْمَرْسَمِـي وَتَزَاهَا لَخْلَاقِـي
 وَصَالِكَ تَفْرِيجُ لِلْحَجَا ، وَصَدُودُكَ تَضْيِيقَـا لَا حَسَاسَ الْجِسْمِ الرِّقِيقُـو

إِلَى تَعَطَّفَ لِي نَصِيبَ عَقْلِي وَيَزُولُ حَمَاقِي
وَيْلَا تَجْفِينِي تَعُودَ رُوحِي فَ: الدَّاءُ قَلِيلٌ
لَا يَنْ طَبَعَ الزَّيْنُ عَارِفُو فَ: نَهَايَتُ تَحْقَاقِي
رَاكِبٌ عَنْ سَمَحُوجٍ لِلْفَدْرِ سَالِكٌ كُلِّ طَرِيقَا
وَوَصَالِكَ كَمَيَّا لِحَبِيبٍ فَكْرِي ، وَضِيًّا لِفَسَاقِي
وَصَالِكَ رَافَا وَصَدَّ هَجَرَاتِكَ نَارُ خَرِيقَا
بَجَمَارِ الضَّالِّهَا خَرِيقُ



القسم السادس :

صَدَرَ الزَّيْنُ رَوَاقُ وَرَخَا السَّرُّ اسْتَوَاقُوا وَحَلَفَ عَارِي لَانْقَا
تَظْهَرُ غَيْرُ مَزَارِقُو وَسَيُفُو وَدَمَاجِقُو يَطْعَنُ ذَاتَ اللَّيْ لَقَا
وَحَيُولُو وَصَوَاعِقُو وَيَطَالُو وَزَوَاعِقُو مَنْ قَابِلُ جِيشُو الْقَا
مَا قَدِيَّتْ نَرَاْفَقُو وَلَا طَقَّتْ نَرَاْفَقُو وَكَيُوسُ مَدَامِي سَقَا
رَاكِبٌ عَنْ شَلَوِي سَرِيعُ شِيهَانُو مَنْ لَعَنَاقِي
اهْمَزَ سَمَحُوجُ وَنَسَارُ خِلَانِي فِي تَشْوِيقَا نَرَثِي بِالْدَمْعِ الدَّفِيقُ
سَلَنَكَ بَ: الْخِلَاقُ قُلْتُ لُو: يَا سَلْطَانُ رَفَاقِي
وَقَفَ لِي حَتَّى نَكَلَمَكَ يَا بَاهِي لَخْلِيقَا هَجَرَكَ بِي مَا يَلِيقُ
رَاقِبٌ فِي وَجْهَ سِيرَتِي وَعَشْرَتِي وَمَلَاقِي
شَاهِدٌ فِي وَجْهَ طَاعَتِي وَعَهْدِي لَوَيْقَا وَحَسْبَنِي خُوكُ اشْقِيقُ
هَذَا حُكْمُ اللَّهِ ، الْجَلِيلُ ، الْبَرُّ ، الرَّزَاقِي

يَا سَعْدَاتُ اللَّيِّ سَعَادَتُوفَ : الازل سَبِيْقَا وَرَضَاهُ الْحَقُّ لَحْفِيْقُ



القسم السابع والاخير :

مَنْ لَا يَرْكَبُ نَاقَا هِيْرِيَا سَبَاقَا مَا يَرْبِي نَهْجَ الطَّرُوقِ
مَنْ لَا يَمْلِكُ طَاقَا مَا يَبْرَأُ مَنْ فَاَقَا وَلَا يَتَدَانَا لُسُوقِ
حَقْظُ النَّظْمِ فَيَاَقَا وَفَرَّاسَا وَحَدَاقَا يُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ
وَالْمِيزَانَ الْيَاَقَا وَلَطَافَا وَلِبَاقَا شَلَا يَدْرِوَا الْوَشُوقِ

أَوْيَحُ الدَّاعِي إِلَى يَنْدُقُ فَنَاجِلَ تَرِيَاَقِي
زَهْلُوْلِي بِمَخَالِبُو يَمْزُقُ دَاتُو تَمَزِيْقَا وَدَمَاهُ يَتَرَكُو هَرِيْقِ
وَأَمَّا مَنْ طَاغِي رَاحَ يَشْتَكِي مَنْ ضَرَبَتْ سَعْنَاقِي
وَأَمَّا مَنْ بَاغِي تَرَكْتُ دَاتُو بِالشُّوْمِ حَرِيْقَا وَسَقِيْتُو خَرَقُ الْخَرِيْقِ
وَأَمَّا مَنْ هُوَ جَحِيْدُفَ سَجَانُ غَلَالِي بَاقِي
وَأَمَّا مَنْ هَرَّتَالُ غَرَّتُو النَّفْخَا وَالتَّرْزِيْقَا سَرَطُو الزَّخَارُ الْغَمِيْقِ
وَسَلَامِي لِلْمَاهِرِيْنَ الْارْخَاخِ أَهْلُ التَّحْقَاقِي
مَا هَبْ نَسِيْمُ الْازْهَارِ وَدَكَأَ بَنَسُوْمُ غَبِيْقَا مَهْدِي لَارَبَابِ الطَّرُوقِ



كان هذا هو النص الكامل لقصيدة "الفجر" أو "الساقى" كما يسمونها في حضيرة الملحون . وهذه مداخلة الاستاذ عبد الصادق سالم كما سبقت الإشارة اليها .

وإذ نشبت هنا بكل فخر واعتزاز ، وبكل غبطة وانشراح وارتياح اجتهد هذا الشاب الطيب ، الهادئ ، النبيل ، فلان المحاولة في نظرنا ، وحسب اطلاعنا وتتبعنا ، الباكورة الناضجة الاولى في التعامل الصحيح الجاد ، مع القصيدة الملحونة

قراءة في قصيدة الساقى

بقلم الاستاذ عبد الصادق سالم

العنوان : الساقى ، من السقي - الري والارتواء

والسقي والري لا يكون الا بالماء : " وجعلنا من الماء كل شيء حي " السقي إذن هو " زرع عنصر الحياة في الجسد : " إخراج الحي من الميت " حديث قدسي : " الناس نيام ، اذا ماتوا استيقظوا " إن العالم كتاب مسطور الهي - الفتوحات / ج / 2 / ص 163

1 - في عنوان القصيدة : الساقى

يحمل الكثير من قصائد الملحون الخمرية عنوان " الساقى " مثلما نجد عند الجيلالي أمتيرد، أو عند التهامي المدغري، أو غيرهما ، والساقى في أدبيات الخمرة هو الغلام أو (الجارية) الذي يتولى توزيع الخمر على الندامى . يخاطبه الشاعر في لازمة القصيدة :

رَاحَ اللَّيْلُ وَعَلَّمَ الْفَجْرُ تَاكَ الصَّبْحُ الرَّاقِي يَا سَاقِي
دُرْ عَلَى الْحَضْرَا بِفَنَجْلِكَ تَرَيَانِ الْمَوْسِيقَى وَأَزْرَعُ لِّلْسَاهِي اِيْفِيقُ

فإن عبارة "ياساقى" يحافظ المنشدون على ذكرها ، فتشكل شطرا متميزا داخل البيت وتمنح القصيدة وجهة خاصة مفادها ان الخطاب من المرسل (الشاعر) موجه الى المرسل اليه (الساقى) . فما دلالة هذا المفهوم المركزي في القصيدة ؟ كلمة "الساقى" اسم فاعل من فعل سقى ، أي أروى القلة والعطش -

فالسقي هو الري والارتواء . والري لا يكون إلا بالماء . والماء هو مبدأ الحياة: وجعلنا من الماء كل شيء حي " فالسقي إذن هو : الارتواء وإخراج الحي من الميت

وفكرة خروج الحياة من الموت الواردة في قوله تعالى : " يخرج الحي من الميت " طالما استغلها الصوفية للدلالة على سلوك الطريق وخوض التجربة، إذ أن التصوف هو إخراج للحياة الحقة ، المتمثلة في الروح ، الجوهر الرباني في الانسان ، من الجسد أي المادة رمز الموت والجماد ، والصنمية . ولا يأتي هذا للصوفي إلا إذا "قذف الله في قلبه نورا " على حد تعبير أبي حامد الغزالي . وهذا هو المسمى إشراقا أو إلهاما أو حدسا ...

وعليه فإن مفهوم السقي والساقى هنا يفيد الإشراق والنورانية

2 - البنية السردية في القصيدة :

بنى الشاعر قصيدته على خطة سردية ، يبرز فيها تدرج الحالات والحظات الشعرية بشكل نسقي ، يتضمن الثوابت الأساسية التي تقوم عليها البنية الدلالية للقصيدة .

تتكون القصيدة من سبعة أقسام ، كل قسم تتقدمه سويرحة (أوناعورة) ، باستثناء القسم الاول . وفي كل سويرحة 4 أبيات ثلاثية الاشطار ، كما أن باقي أبيات القسم أربعة ، تنضاف إليها في نهاية القسم لازمة القصيدة ، وذلك عند الانشاد . وبهذا تكون لدينا سبع وحدات شعرية هي التي تشكل الخطة السردية للقصيدة .

ففي الوحدة الاولى : يخاطب الساقى ويتوقف وإياه عند العنصر الاول في المنظومة الرمزية للقصيدة : وهي الطبيعة ...
شَوْفْ أَهْمَامُ الضَّوْ بَأَنْتْ عَلَّومُو فَلَآ فَا قَاقِي وَأَنْظَرْ لَشَمُوسُو الْبَاهِيَا عَلَى لَجْدَارْ شَرِيقَا
هَزَمَتْ سُلْطَانْ لُقْسِيْقْ

وَأَطْيَارِ الْبُسْتَانْ كَتَسْبَحْ لِلْحَيِّ الْبَاقِي فَوْقْ أَغْصَانِ الرُّوضْ كَتَفْنْ بِأَصْوَاتْ رَقِيقَا
صَاحَ الْبَلْبَلْ وَالْبَسِيقْ

ففي الوحدة الثانية والثالثة : يظل عنصر الطبيعة حاضرا ، ويتوجه بالخطاب الى الساقى لطلب الخمرة . قالعنصر الرمزي الثاني الذي ظهر هنا هو : الخمرة فيصفها ويصف مجلس الطرب المصاحب لها .

مَاسْ الْغُصْنُ النَّايِقْ وَتَزَخَّرَفَتْ أَحْـ دَائِقْ
وَأَتْحَقَّقْ ظَلَّ الْوَدَاقْ
وَالْبُسْتَانِ الْيَاسِقْ بِمَيَّاهُ تَدَافِقْ
وَأَنوَاحْ أَغْرَاسُو سِيْـ قَاقْ

الى أن يقول :

- وَأَرْوِي يَـ سَاقِي ...

- غَدْرُ لِي تَكْمَلْ ...

إلى أي يقول في القسم الثالث :

- اسْتَرْوُرْ الدُّنْيَا ...

- سَعْدِي زَانْ ...

في الوحدة الرابعة والخامسة : ينتقل الى العنصر الرمزي الثالث : الحب . فمن الحسن الى الحب ، يصف سلطانه وجبروته وقوة تأثيره ، ومن الحب الى المحبوب ، يصف قوته ، ويفتح باب المناجاة والتدرج الى المعشوق .

- دَكَ الْحُسْنَ أَوْثَاقُو
.....

- دَارَ الْحُبِّ ائْتَمَّاقُو
.....

- وَأَمَرَ عَنِّ عَشَّاقُو
.....

- بِمُضَالٍ أَوْ كَدَاتُ
.....

الى أن يقول :

- سَلَّتْكَ بِالْخَلَّاقُ
.....

- هَذَا حُكْمُ اللَّهِ الْغَنِيِّ

في الوحدة السادسة والسابعة : يدخل الشاعر لحظة الحيرة بين الخوف والرجاء في الوصال والاتصال ، ليبرر في النهاية السبيل الى ذلك : ضرورة سلوك الطريق، متحديا العوائق المادية الشهوانية

- أَمَدْرًا نَتَلَّاقِي
.....

- فِيكَ الشَّوْفُ اعْشَاقًا
.....

- أَوْصَالُكَ فَرَجًا
.....

الى أن يقول :

- مَنْ لَا يَرْكَبُ نَاقًا
.....

- مَنْ لَا يَمْلِكُ طَاقًا
.....

الى أن يقول :

- وَأَمَّا مَنْ دَاعِيَ اجْهَدْ
.....

- وَأَسْلَمِي

يتضمن البيت الاخير في القصيدة الذي يتضمن السلام - على عادة الملحون - عبارتين جديرتين بالانتباه : "أَهْلُ التَّحْقَاقِ" "أَرْيَابُ الطَّرِيقِ" ... أنهما عبارتان تكشفان عن شحنات صوفية واضحة .

من خلال هذه العجالة نتبين أن العناصر المكونة للمنصوصة الرمزية في شعر الخمرة الصوفية ، تحتويها القصيدة وهي ثلاثة

الطبيعية - الخمرة - الحب (أو المرأة) فما دلالات هذه الرموز ؟ وما هي البنية الدلالية التي توظف القصيدة ؟

3- البنية الدلالية في القصيدة :

سنقف هنا عند المفاهيم الأساسية الثلاثة التي استخلصناها من وحدات القصيدة للبحث في دلالاتها :

أ - مفهوم الحب :

هذه مقولة أساسية ضمن أدبيات التصوف ، بل هناك من الصوفية من يعتبر المحبة حالا من الأحوال أو مقاما من المقامات ، فلا يوجد صوفي من المتقدمين والمتأخرين إلا وتحدث في الحب والمحبة ، وهذا امر طبيعي لان التجربة الصوفية مبنية من مبدئها على أساس الحب . فلو لا حب الله والتعلق به الى درجة الطول والفناء أو الاتحاد ، لما انقطع الصوفية عن الدنيا وملذاتها لينقطعوا الى الله كلية .

وهنا حديث نبوي يدعم هذا المسمى ويحفز عليه "وما يتقرب الى عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه . وأنه ليتقرب الي بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به . ويده التي يبطش بها . إن دعاني أجبت وإن سألني أعطيت" .

هكذا تبلغ العلاقة بين المحب والمحبوب أقصى درجاتها وهي حالة التوحد حين يجعل الرضا والقبول من طرف المحبوب ويتحقق الاتصال . فالرضا وهب من الله يمتحه لمحبيه . وهذه حال السعادة القصوى يقول شاعرنا :

يا سَعْدَاتُ اللَّيِّ سَعْدَتْ فِي الْأَزَلِّ سَبِيْقًا وَارْضَاهُ الْحَقُّ الْحَقِّيقُ

وهكذا نتبين أن مقولة الحب والمرأة وشبابهما من الكلمات ليست إلا رموزا يوظفها الصوفي لاداء معاني دقيقة وحالات خاصة .

ب - مفهوم الطبيعة :

ما دلالة أن يتوجه الشاعر في مطلع القصيدة الى الطبيعة : شُوفْ أَهْمَامَ الضُّوْبَانَتْ عُلُومُو فَالْأَهْأَقِي ... " يتعامل الصوفي مع الطبيعة تعاملًا متميزًا ، وينظر اليها نظرة غير نظرة الانسان العادي اليها . فليست الطبيعة هي ذلك القطاع الذي يتحرك فيه الحسد . وتتحقق المازب والاغراض المادية بل هي - حسب اتجاه صوفي عريض - تجلي لله "الذي أحب أن يعرف بعد أن كان سرا مجهولا ، فخلق الخلق ليعرف" كما قال محيي الدين بن عربي . فذات الله تعالى تتجلى في مخلوقاته على درجات من ادناها (الجمادات) إلى اعلاها (الانسان) باعتباره العالم الصغير الذي انطوى على العالم الكبير .

وبذلك تصبح ذات الصوفي بعد أن تتحقق لها الكمالات ، ترى الله في كل شيء : كما قال ابن الفارض

تراه (أي الله) إن غاب عني كل جارحا في كل معني لطيف رائق بهج

في نغمة العود والناي الرخيـم إذا تألقا بين الحان من الهـزج

وفي مسارح غزلان الخمائيل فيها برد الاصائل والاصباح في البلج

ج - مفهوم الخمرة :

إذا كان الحب هو العاطفة الجياشة والباعث القوي ، الذي يدفع التجربة الصوفية ويوجهها ويؤطرها ، وإذا كانت الطبيعة هي الفضاء الذي تتحرك ضمنه هذه التجربة ، كقول ابن عربي :

فما نظرت عيني الى غير وجهه ولا سمعت اذني خلاف كلامي

فإن مقولة الخمرة هي الغذاء الذي تتغذى به التجربة الصوفية . إن الحالات التي تتراوح بينها ذات الصوفي حين ينخرط في سلك السالكين ، هما حالتان : حالة يغيب فيها عن الواقع المحسوس (عالم الشهادة) ويخرج من تيار الزمن العادي ، ليدخل عالم الغيب ، العالم الجواني . بكلمة واحدة . عالم الحقيقة ، وهذه كلما وقف الشاعر عند موضوع الطبيعة إلا وأورد اشارات متنوعة لعالم الطير في القسم الاول :

أَطْيَارُ الْبُسْتَانِ كَتَسْبَحَ لِلْحَيِّ الْبَاقِي
صَاحَ الْبَلْبَلُ

صَبَحَاتُ أَمِّ الْحَسَنِ شَاكِيَاً لِلْحَيِّ الْخَلَاقِي
وَالْحَرِيبُ يَنْشُدُ مَا يَتَوَقَّلُوعُ السَّرِّيَاقِي
وَالْحَادُّادُ يَجَاوِبُو

ويقول في سويرحة القسم الثالث :

أَوْ لَطْيَارُ النَّاطِقَا عَمَرْتُ بَلْغَاهَا سَوَاقِي

فما دلالة الطير وعالم الطيور في النسق الصوفي الرمزي ؟

يرى لويس ماسينون أن الطائر رمز للبعث والخلود ، وذلك استلهاما من قوله تعالى : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ : أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي . قَالَ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك . ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا * (سورة البقرة 260)

ويقول تعالى : إِنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، (ال عمران آية 49)

وإذا كان الامر هكذا ، فهل من باب الصدفة ان يقول الشاعر العلمي :

وَأَطْيَارُ الْبُسْتَانِ كَتَسْبَحَ لِلْحَيِّ الْبَاقِي ؟

لماذا لم يختَر من أسماء الله الحسنى إلا اسمي "الحي" و "الباقى" ؟

فالعلاقة واضحة هنا ، إذن بين رمزية الطائر الى الخلود والبعث وبين مفهومى الحي / الباقى ، حالة غيبوية أو سكر . والسكر كناية عن الوجد الصوفى " وما تقابله من معاناة فى طلب المحبوب ، وهذه هي الحالة التى تجعل عقدة لسان العارف تنفك فتبوح الذات بأسرارها وتنطق العبارة بالإشارة ، لأن العبارة مهما أفصحت وبانت لا تقوى على استعاب المعطى الحاصل ، ألا ، هو انكشاف الحقيقة ، فتخرج اشارات مختصرة ، وعبارات مبهمه وهي ما يعرف فى اصطلاحهم بالشطح الصوفى .

أما الحالة الثانية فهي حالة الصحو أى الارتباط بالواقع العيني والمادى ، وهو عالم مرفوض من طرف الصوفى وهكذا فالخمرة التى تحدث حالة السكر ، ليست شيئاً آخر غير الحقيقة التى تشرق فى قلب العارف ، فتدخله فى غيبوية ، يتنوق فيها نشوة السكر وحلاوة الوصال فهذا ابن الدراج السبتي يقول :

ألا كل عقل لا تخامره الخمر	فمعناه من معنى اشارتهم ففـ
اضاعت كمشكاة غدت فى زجاجة	تلالى اشراقا كما يشرق الشهر
خلعت عذارى فى لدائد شربها	فلا خير فى اللذات من دونها سـ
سمحت لنفسى كي افوز بنيلها	ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

أما الاواني التى يتناول فيها شاعرنا الخمرة ، وقد ذكرها فى أسماء متعددة : الفنجل (الفنجان) / الكأس / الابريق / ... فإنها لا تخلو هي الأخرى من إبعاد رمزية . فالكأس للاستمتاع بنعيم الجنان ، يقول تعالى فى سورة الواقعة : " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين " .

ويقول فى سورة الانسان : " وسقاهم ربهم شرابا طهورا " .

(وهكذا نجد الصوفية ينتشون بالنعيم الذى يشربونه خمرة ورحيقا وصهباء .)

يقول العلمى فى القصيدة نفسها :

غَدَرْ لِي تَكْمَلْ فَرَحَتِي يَتَحَقَّقْ رُونَا قِي تَرَكْ الْخَمْرَ وَهَاتِلِي الصَّهْبَاءَ فَ الْكَاسُ حَذِيقًا
وَأَمْلَأْ لِي ذَاكَ الْبَرِّيقَ

الصهباء هي الخمر ذات اللون الابيض تخالطه خمرة . فهي خمرة جيدة ونفيسة ومؤثرة فهو يفرق هنا بين مستويات فى جودة وفعالية الخمرة . كما يفرق الصوفية بين درجات فى الحقيقة . فهناك الحقيقة التى هي من شيم الخاصة وهناك الحقيقة الحققة وهي من شيم خاصة الخاصة أى الاولياء والانبياء

4- بنية النور / الظلام :

بعد أن تبيننا العناصر الرمزية الأساسية التي تتشكل حولها القصيدة وهي : الطبيعة - الخمرة - المرأة - نتوقف لاستخلاص البنية التي تنظم هذه العناصر الرمزية في بناء نسقي محكم يعكس رؤية خاصة للحقيقة .
ووفقا عند المعجم اللغوي الذي وظفته القصيدة ، نجد مفهومين توزعا فضاء النص كله ، يتمظهران في أشكال مختلفة حسب كل عنصر من العناصر الرمزية المشار اليه ، هذان المفهومان اللذان يشكلان البنية العميقة للقصيدة هما :
مفهوم النور ومفهوم الظلمة والظلام .

أ - مفهوم النور : والعلامات التي تعبر عن مفهوم النور في قصيدة نذكر منها : ورد أولا في المطلع :

شُوفْ هَمَامُ الضُّوْ بَأَنْتْ عَلُّومُوْ فَاْلأَفَاقِيْ

فهناك كلمة الضوء والتي لم يستعملها الشاعر لوحدها بل جاءت مضافة لكلمة همام ، أي سلطان ، للدلالة على السلطة والنفوذ والجبروت .

المعجم : هَمَامُ الضُّوْ - بَأَنْتْ عَلُّومُوْ - شَمُوسُوْ الْبَاهِيَاْ - اشْرِيْقَاْ - عِلْمُ الْفَجْرِ - تَاكُ الصَّبِيْحُ الرَّاقِيْ -
الشَّارِقَاْ - تَاكُ كَوْنِيْ - اَنْتُوْ يَشْرَاقِيْ - اَرْمَى الصَّبِيْحُ اَرْوَاقُوْ - لَبَسَ حُلَاتْ لَشْرَاقْ ...

ومع هذه الكلمات الدالة على النور بصورة مباشرة ، هناك جهاز مفاهيمي مركب من افعال وأسماء تفيد هذه الدلالة بصورة غير مباشرة مثل :

مَاسُ الْغُصْنِ - تَزَحْرَفَتْ اَحْدَاقُ - فَاحُ الزَّهْرِ - وَارَوَاتْ غُصَانُوْ - طَابَ اسْرُوْرُ الْعَاشِقِ ...

الْيُسْتَانُ الْيَاسِقُ - الْغُصْنُ النَّايِقُ - اغْصَانُوْ اَرْقَاقْ ...

فالنور والجمال والجلال ... صفات لحقيقة واحدة هي التي اشرقت في فضاء القصيدة . والنور في النسق الرمزي الصوفي هو الله جل علا ، مصداقا لقوله تعالى : " الله نور السموات والارض " (سورة النور) . وكقوله في سورة القصص : " فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لاهله : امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى أنا الله رب العالمين " .

ب - مفهوم الظلمة : والعلامات التي تفيد هذا المفهوم في القصيدة :

رَاحَ اللَّيْلُ - طَارَ غَرَابُ الدَّاجِ - خَلَعَ الدَّاجُ اغْسَاقُوْ - اغْسَاقِيْ

يلاحظ أن هناك تفوق للمعجم النوراني عن المعجم الذي يفيد الظلمة وذلك لان فضاء القصيدة ، فضاء الاشراف والنور

والتجلي... بين الليل والداج و (الدجى) قد انهزم وولى ، فلم يرد حضوره في القصيدة إلا بصورة سلبية .
 ومعنى هذا بلغة الصوفي ان الظلمة رمز لحجب النور الحقيقة ، والذين تظل بينهم وبين الحق سبحانه حجب ، فهم بعيدون كل
 البعد عن الحقيقة .
 وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب سورة فصلت ، اما الذين ارتفعت الحجب بينهم
 وبين الحق فاولئك هم السعداء .
 تنتهي من كل هذا الى أن القصيدة التي بين أيدينا تعكس تجربة صوفية ورحلة رمزية ، توجهت بالوصال ، لان صاحبها يدري
 نهج الطريق ويملك طاقة لانه صبر لبق ومن أهل التحقّق و أرباب الطريق .



✧ " الترجما " ✧

"الترجما" يتسكين الراء والجيم هي كما قال عنها الحاج إدريس في قصيدة "الكاس": "قَصًّا ... وَعَجُوبًا ... وَتَرْجَمًا".
فهي أولا قصة ، "قَصًّا جَرَّاتُ لِلخَادِمِ وَالْحُرَّةِ" يَا قَاضِي "قَصًّا جَرَّاتِي مَعَهَا" سَمِعُوا قِصَّتْ خُمَانْ".
وهي ثانيا "أعجوبة من أعاجيب الزمان" إذ أن الحياة الرتيبة الهادئة التي لا غرائب فيها ولا أعاجيب ، ربما لا تثير انتباه
الانسان العادي ، فضلا عن أن تحرك شعور الانسان الممتاز

وهي ثالثا "تترجم" لشخص أو لاشخاص ، تماما كما تفعل "الترجمة" في الادب الفصيح ... إلا أنها في الملحون لا تترجم
للشخص أو لاشخاص ، من الميلاد الى الوفاة وإنما تهتم فقط ، بالاحظات الغير المألوفة في حياة من تترجم لهم . لنقرأ أولا
هذه "الترجمة" لشيخ هرم ، تزوج بفتاة في عمر الزهور ، وبعد سنة أو أقل من سنة ، ضاقت به ذرعا وقررت أن تنفصل عنه
مهما كان الثمن :

قَالَ الشَّايِبُ لِلشَّابِّاءِ مَا لَكَ لِفَرَاقِي زَارِبًا
قَلْبِي أَنَا مَفْرُومٌ بِكَ ، وَتَعْرِفِينِي يَا حُرَّتُ الْغَوَالِي وَالْفَتَكِ
فَرَاقَكَ مَا نَطِيقُ صَبْرًا ، وَلَا نَقْدَرُ عَلَى

لِلَّهِ الْحَدَّ ... أَشْ ذَنْبِي يَا مُوَلَاتِي ؟ وَبَاشْ مَنْ جَرَّمَ كَرَهِيْنِي وَحَرَسْتِي ف : فَرَاقِي بَعْدَ الْمُوَالَفَا
وَالْعَشْرَا ؟

ولا قطعت في قلبك ونسيتي وصايت امك وباك منين رحت ليك .
وَصَاوُوكْ ، مَا تَمَرَّتِيْنِي ، وَتَسْعَفِيْنِي وَلَا تَهْوِيْنِي بِي طُولُ الْحَيَاتِ . وَقَبْلَتِي وَبَغِيْتِي غَلَا رَضَايْتِ
نَفْسَكَ ، وَنَهَارُ جِبْتِكَ تَعَاهِدْنَا بِيْنَاتْنَا ، وَف : الْمَصْحَفُ احْلَقْنَا لِبَعْضِنَا لِبَعْضِكَ مَا نَكُونُ رَاجِلْ وَنَتِ
لِلْغَيْرِ مَا تَكُونِي زَوْجًا ، وَلَا تَفَرَّقْنَا غَيْرَ الْمَوْتِ الْوَاجِبَا عَلْنَا . وَتَرَاضِينَا عَلَى الْمَحَبَّا ، عَشْنَا وَعَطَاتْنَا
الْوَجِبَا ، وَطَبَايَعْنَا اتْوَالْمُو ، وَنَتِ كُنْتِ مَطَاوَعَانِي وَأَنَا مَأْمُورُ كُنْتِ عِنْدَ كَلْمَتِكَ ، وَبَوَالْدِيكَ رَافِعْ ،
وَضِيَا فْتَهُمْ كَيْفَ شَفْتِي عَمْرِي مَا بَخَلْتِ فِيهَا ، وَصَدَاقَكَ بِالْوَفَا اذْفَعْتُوا وَآكْثَرُ مَنْوُ عَطِيْتَهُمْ زِيَادَا
مَنِّي حَسَانْ .

وَعَطَاوُوكْ لِي ب : الصَّفَا عَلَى السَّنَا وَالْكِتَابِ وَأَمْرُوكْ عَلَى الطَّاعَا مَا تَخَالِفِي ف : كَلَامِي . وَالْيَوْمُ

بَعْدَ مَا تُرَى وَمَضَاتِ أَيَّامِهِمْ ، جَرَّتِي عَنِّي بَعْدَ الْعُطُوفِ ، وَسَعَفَتِي قَوْلُ الْحَاسِدِينَ فَيَا وَكَرِهْتَنِي بِدُونِ
سَبًّا وَلَا خَفْتِي مِنَ الزَّمَانِ يَفَادِي وَعَقُوبَتِ الدَّهْرِ وَالْوَقْتُ أَيْتَقَلَّبَ لَا غِنَا وَتَجِيبُكَ الْإِيَّامُ كَيْفَ جَابَتَنِي
إِيَّاكَ وَطَاحَ بَيْنَ رَجْلَيْهَا وَدَمُوعُ سَكَابِ . وَتَنْتَرَاتِ الْبَنَاتِ مِنَ الشَّائِبِ مَا سَمِعْتَ لَوْ كَلَامَ ، كَانَ تَسْأَلُو
يَا حَاضِرِينَ .

نَطَقَاتِ الْبَنَاتِ عَلَى الصَّوَابِ قَالَتْ لِلشَّائِبِ ف : الْجَوَابِ

بَعْدَ مِنِّي ، يَكْفَاكَ مَا تَعَزَّرَ فَيَا ، مَلَيْتَ مِنْ عَشْرَتِكَ ، وَاللَّهِ مَعَاكَ مَا نَزِيدُ نِكَابًا وَلَا نَكُونُ مَرَّتَكَ ،
وَلَا لِي تَكُونُ رَجُلٌ ، دَوَّرْنَا مَا كَتَابِ .

وَالْيَوْمَ انْتَبَا سِيرَ شَوْفِ غَيْرِي ، وَنَا نَمَشِي شَوْفِ غَيْرِكَ ، وَالشَّائِبِ مَا تَنَاسَبُوا غَيْرَ مَرَا قَدُوا
تَسَاعَفُوا وَيَسَاعَفُهَا وَيَتَوَالَمُوا ف : الْعَشْرَا مِنْ حَالَتِ الْكَبَرِ ، فَارْقَنِي لِلَّهِ سِيرَ شَوْفِ مَرَا قَدُكَ شَائِبًا
إِبْحَالًا ، وَتَقَبَّلْ عَلَيْكَ بَرَمَنَهَا ، وَتَطِيبْ لِيكَ مَا كَتَابِ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى شَهْوَةِ نَفْسِكَ .

وَيْلَا جِئْتِي تَلْقَا ، مُوضِعَكَ مَفْرَشَ ، وَالطَّعَامَ وَاجِدَ ، وَالضُّوْ مَشْغُولَ ، وَالْوَضُوْ يَسْنَخُنْ لَكَ .
ظَنَيْتِ الرِّتَاجَ زَهَقَ لَكَ ، عِنْدَاكَ الْوَضُوْ يَبْرُدُ لَكَ .

وَيْلَا وَجِبْتَ لَوْ قَدْ تَوَضَّأَ ، وَقَابِلِ الْقَبْلَا وَتَهَلَّأَ ف : دِينَ رَبِّي .
وَعَمَلُ تَسْبِيحِ الذِّكْرِ ، وَتَوَلَّعَ بِالصُّومِ ... وَالْفَجْرِ ، صَلَّيْهِ ف : وَقْتُ لَا يَقُوتُكَ وَعَمَلُ فِي بَالِكَ
الشَّهَادَا ، وَشَهْوَةُ النَّفْسِ تَبُ عَنْهَا .

وَحَتَالِ اللَّيْلِ الْقَبْرِ ، وَاعْتَصَمَ بِاللَّهِ لَا يَنْ كِبَرْتِي وَهَرَمْتِي وَلَا بِقَالَكَ قَدْ مَا فَاتَ ف : الْعَمْرُ
وَأَنِيَا مَا زِلْتُ شَابًا وَصَغِيرًا ، رَبِّي يَجِيبُ لِي رَجُلَ قَدِّي نَوَالْمُو وَيُوَالِمَنِي وَتَحْسَنَ زَوَاجِي وَنَفَادِي
كُلَّ مَا مَضَا ، وَتَدَوَّرَ صَغِيرِي وَصَوَلَتْ شَبَابِي كَيْفَ بَغِيَتْ ، وَتَتَمَتَّعَ بِنَزَايَةِ كِي نَرِيدَ ، فِي أَيَّامُو نَبَرَزَ
فَابْرَازَ ، أَوْ نَعْمَلْ مَا دَارَتْ الْبَنَاتُ إِبْحَالِي ، وَتَذُوقِ غَلَّتِ الرَّجُلَ . وَتَتَ كُلَّ مَا خُسْرَتِي قَبْضُو وَعَطْنِي
فَصَالِي بِالْعَقْلِيَا بَلَا شَرَعَ تَتَفَرَّقُو ، وَلَلَّ تَدَوَّرَ عِنْدَ الْقَاضِي ؟

يَفْهَمُ كَلَامَنَا وَيَجُولُ ف : مَعْنَاهُ وَيَفْرَقُنَا بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ ... هَكَذَا قَالَتْ لَوْ مَرْزُوبًا .
وَالشَّائِبِ كَشَفَ الْحَيَا وَشَدَّ عَلَى الْعَيْبِ أَحْزَامَ ... كَانَ تَسْأَلُو يَا حَاضِرِينَ

تَمَّ الشَّائِبُ حَالُو نَضَامٍ وَغَوْلٌ عَنْ تَاجِ الرِّيَامِ

وَجَهْلٌ عَنْهَا مَنْ حَيْثُ جَرَحًا تُوفِي قَلْبَ جَوَارِحُو وَقَالَ فِ قَوْلُو :

خَمَمْتُ فِيكَ يَا أَدِيًّا وَنَظَرْتُ فِيكَ نَصِيبَكَ مَبْغُوضًا وَفَاجِرًا ، وَقَلِيلَتُ لَحْيًا وَبَانَ عَيْنُكَ وَلَا صَبْتِي
حُكَامٌ ، وَتَشْهِيَتِي لَفْجُورٍ وَالْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرُ السَّائِيَا قُلْ اللَّهُ حَيَاكَ يَا الرَّهْطِيَا ، يَا مَكْرُوهَتِ النِّسَاءِ ،
يَا عُرْتُ لِبَنَاتٍ ، يَا الْمَقْضُوحَا ، يَا قَصَارَتِ الرِّقَابِ ، اغْوَاكَ الشَّيْطَانُ يَا الْكَرْفَا ، وَتَنَفَّكْتِي عَلَى النِّعَايِمِ ،
مَا خَلَيْتِي حَيَا لِنَاسِكَ وَلَا هُمَا وَلَا عَنَايَا وَفَضَحْتِي عَرْضَهُمْ ، أَوْ سَفَلْتِي وَلَا بَقَاتُ فِيكَ تَمَارَا ،
وَمَنْزِنُ شَفَتِي حَالِكَ يَا مَخْرُوبَتِ الْعَقْلِ ، وَتَفَكَّرْتُ أَحْسَانَ وَالْدِيكَ ، ابْغَيْتِكَ تَبْقَايَ كَيْفَ كُنْتِي ، مَنْ
نَاسُ الْعَرَضِ وَالْمَرْوَا ، وَحَفَرْتِكَ خَفْتُ مَنْ عِيُوبِكَ وَسَتَرْتِكَ مَارْضِيَتِ شَوْهَا ، وَتَسْفَهْتِي وَلَا قَبْلَتِي
رَغْبَا .

وَقَرَّتْ مَا نَفَعَتْ وَقَارَا ، بَشَرْتُ مَا نَفَعَتْ أَبْشَارَا ، وَكَرِهْتُ بِالْحَوَائِجِ ، وَعَطَيْتُ الْمَالَ وَالنِّعَايِمِ فِي كُلِّ
اصْنَافٍ مَا خَطَاوَكُ ، وَنَتِ دِيمَا امْخَنَّتَا فِي دَارِكَ ، وَالسُّخَارَا عَلَا مَرَامُكَ ، وَلَا خَلَيْتُ لِيكَ بِأَشْ
تُعِيْبِي يَا الْعَايِيَا ، وَبَغَيْتِي عَنَّا بِلَا سَبَابٍ خَصَامِي يَاكَ الظَّالِمَا شَفَتِي زَعْمًا كَبِيرًا ، وَحَتَّجِيْتِي
بِالشَّيْبِ يَا الْبَرَهُوشَا ، الشَّائِبُ اللَّهُ وَقَرُّو ، وَسَتَحِيَا مَنُو إِلَى حَسَنَ دِينُو بِالتَّقْوَى وَشَابَ مُسْلِمٌ وَحَفَرَ
رَجُلُو مِنَ الْحَرَامِ ، وَخَالَفَ نَفْسُو وَلَازَمَ أَوْقَاتُو وَأَهْدَاهُ الْكَرِيمُ .

وَنَا مَنْ فَضَلَ اللَّهُ وَالنَّبِيَّ ، عَمَرُ لَوْقَتَ مَا خَطِيئَتَهَا ، وَالْجَامِعُ دِيمَا مُوَابِدُوا ، وَالْفَجَرُ مَعَا النَّاسُ
كَانَصْلِيَّةُ فِ : وَقَتُو مَا يَدُورُنِي ، وَنَخْرَجُ لِعِشَارُ وَالزُّكَا وَنَصَدَقُ وَنَحَاسُنُ الْمَسَاكِنُ .

وَالشَّائِبُ فِ : الْإِسْلَامُ دِيمَا مَكْرُومٌ بِغَايَتِ اسْمَاحَا

وَالشَّائِبُ سِيرَتُو قَوِيمَا يَخْبَرُ وَيَفِيدُ بَ : النَّصَاحَا

وَالشَّائِبُ بَرَكَتُو عَظِيمَا عِنْدَ أَهْلِ الدِّينِ وَالنَّصَاحَا

الشَّائِبُ مَا يَعْرِفُ حَقُّو غَيْرُ اللَّيِّ صَوَرُو وَخَلَقُو

وَالشَّائِبُ حَقَّ يَنْعَذَرُ ، وَبَنَاتُ الْعَرَضُ كَايَقْبَلُوا بَ : الرَّجُلُ يَا الظَّالِمَا كَيْفَ مَا جَابُوا اللَّهَ
وَجَهْلٌ عَنْهَا وَبَغَايَسْفَهَا لُو مَا فَكَّوْهَا النَّاسُ مَنُو وَقَرَّا لَعْقُوبَا ، كَانَ تَسَالُو يَا حَاضِرِينَ

قَالَتْ مَصْبَاحُ الْبَاهِيَّاتِ لِلشَّائِبِ حِينَ تَغْلُفَلَاتِ

هَذَا الْمَعْيَارُ امْعَا اللَّيْ بِحَالِكَ دِيرُو، وَنَامِرًا عَلَيْكَ بَ: لَوْقَرُ، وَحَلَفْتُ لَوْيَمَا يَلْزَمُهَا، لَا بُدَّهَا فَ:
دَارُ الْقَاضِي ...

وَمَشَاتِ لَالًا كَاتَمَاحِ كَالْعَلَمِ بَيْنَ عَسَاكِرَ فِي حَوْمَتِ السَّقَرِ، وَالشَّيْبَانِي فِي خِلَافِهَا تَابِعَهَا .
مَنْوُضُ الْعَجَاجِ بَرْجَلِيهِ، وَمَتَبَعُ الضَّبَابِ بَعِينِيهِ، وَحَالَتْوُ تَشْفِي، وَسَبَقْتُ الْبَاهِيَا الدَّارُ الْقَاضِي،
وَبَقَاتِ وَأَقْفَا نَصْرَ نَهَارَ تَعَايِنُو يَلْحَقُ بِهَا، وَمَنْبِنَ جَاوَزَادُوا عِنْدَ الْقَاضِي بَزُوجِ .
كَعَدُوا قَدَامُو بَعْدَ بَايَعُوَالِيهِ، رَفَعَ سَيِّدُ الْفَقِيهِ عَيْنِيهِ، يَصِيبُ مَقَابِلَاهُ بَنَتْ صَغِيرًا، تَسْحَرُ بَزِينَهَا
وَحَذَاهَا رَجُلٌ كَبِيرُ شَائِبِ، يَحْسَابُو غَيْرَ جَدِّهَا، وَتَلَفْتُ لِلْبَنَتْ قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَتْ لُو، خَيْرُ
يَالْقَاضِي، حَالِي يَغْنِيكَ عَنْ سَائِي، هَذَا الرَّجُلُ قَلَّ جَهْدُو، وَكَبُرَ وَالشَّيْبُ هَرَمُو، شَوْفُ أَوْصَالُو
رَاجِفِينَ .

جَاوْخَطْبَنِي مَنْ عِنْدَ وَالِدِيَا، وَغَوَاهُمْ يَا فَقِيهِ بِالطَّمْعِ وَلِيهِ عَطَاوَنِي، وَصَبْرَتْ صَبْرَتْ، صَبْرَتْ،
يَالْقَاضِي، أَنَا بِاللَّهِ وَالشَّرْعِ فَاصِلْنَا بِحُكَامِ اشْرِيْعَا، هُوَ يَمْشِي شَوْفُ غَيْرِي، وَنَا نَبْقَى أَمَامَنَا
فِي دَارِكَ، حَتَّى تَشَوْفَ لِي مَنْ يَا خَدْنِي عَلَى يَدِيكَ، وَالْقَاضِي فِي عَوْضِ وَالِدِيَا، نَحْسَنَ دِينِي عَلَى
الرِّضَا وَتَوَلَّى مَنْ جُمِلَتِ النِّسَاءُ وَتَوَلَّدَ أَوْلَادِي إِلَى عَطَانِي رَبِّي، وَالْحَالُ مَاخْفَاكَ تَعْرِفُو، وَنَتْ تَبَارَكَ
اللَّهُ فَقِيهِ نَبِيهِ... وَأَشْ فَارَسَ مَقْوَارَ بَصَارْمُو مَهْنَدٌ يَشْبَهُ تَرَأْسَ عَنْ شَمَالُو كُلْخَا مَعْيُوبَا؟ وَيَاكَ اللَّيْ
مَا فِيهِ فَايْدَا مَا يَدْخُلُ لَزْحَامُ كَانَ تُسَالُوا يَا حَاضِرِينَ .

انْطَقَ سَيِّدُ الْقَاضِي وَقَالَ هَذَا الشَّائِبُ بِهِ الْهَيْبَا

وَنْتِ يَا هَذَا الْبَنَتْ غَيْرَ هَنِّي نَفْسَكَ، وَاللِّي يَلِيْقُ بِكَ نَدِيرُو، أَنْتِ مَا نَتَاعَتْ مَحْنًا عَمَرُ الرِّزْنِ مَا
يَتَمَرْتُ، وَعَلَا الصَّوَابُ صَبَتْ كَلَامَكَ لَا عَيْبَ فِيهِ وَالشَّرْعُ الْحَبِيبَا اللَّهُ جَعَلُو رَحْمًا، وَالْحَقُّ مَا
يَنْجَحِدُ وَيَحَالِكُ فَ: الْبَنَاتُ مَا يَتَغَيَّرُ .

سَبْحَانَ مَنْ نَشَاكَ وَوَدَّكَ بَ: الرِّزْنُ وَالْبَنَاهَا وَالطَّيْبَا، وَالسَّرُّ وَالْحَيَا وَالْهَيْبَا وَلَا نَسَاكَ رَبِّي مَنْ

مَنْ شَيْءٍ ، وَقَالَ بِالْأَمْرِ لِلشَّائِبِ هَذَا الْمَرَّةَ شَكَاتَ بَعِينِكَ جَهْرَاتٍ بِهِ ، وَالْعَيْبُ اللَّيِّ بِأَشْ عَابَتْكَ ، فَبِكَ
ظَهَرَ لِي بِشَوْفٍ عَيْنِي ، مَا نَحْتَجُّ لَوْ شَهَادَ .

قَصَرَ الْكَلَامَ وَتَوَضَّ لِلْعَدُولِ اعْطِي لِلْخَلْقِ بَرَائَتَهَا وَسَتَرَ رَأْسَكَ مَا أَتَا أَدْيَالَ صَغِيرًا يَكْفَى خَلَاصَ
رَأْسِكَ كِبَرَتِي ، وَاللِّي كِتَابَ دَوْرَتِيهِ مَعَهَا وَمَا يَغْلِبُكَ مَنْ غَيْرَ اللَّيِّ يَقُولُ لِيكَ فَرَقْنِي ، أَوْ اعْطِينِي
مَتَاعِي أَوْلَا خُرْجَ مَنْ مَكَانِي وَنَتِ هَانُوا جَرًّا وَلَكِ بَثْلًا .

وَعَطَاكَ خَاطِرَكَ ، دَوْرَتِيهِمْ بَعْدَ مَا سَمِعْتِيهِمْ ابْنُ ذِيكَ غَيْرَ مَنْ سَيَّالًا لَعْرَابٍ قَالَتْ ف : مَعْنَاهَا
قَطْرَانُ ، الْعَرَّ وَلَا عَسَلُ الدَّلَا هُوَ طَبِيعُ الْإِحْرَارِ ، وَلَا يَنْبِي بَعْدَ ادْوِي نَسَمَعُ كَلَامَكَ ، وَنُوي وَقَالَ ذَاكَ
الشَّائِبُ أَيَا فُكِيهِ .

لَوْ كَانَ نَمُوتُ حَرَامٌ مَا نَطْلُقُ مَرَّتِي لَنِي فَرِيدٌ ، مَا عِنْدِي وَلَدٌ وَلَا بَقَاتِلِي بَنَتْ تَشَوْفُ الْحَالَتِي
وَكِبْرِي وَلَا عِنْدِي مَرًّا خَفِيفَتِ الْعَضَامُ ، تَقَرَّبَ الْبَعِيدُ وَتَجَالَسَنِي إِلَى صَبَحَتْ ف : دَارِي ، وَتَكُونُ لِي
وَنَيْسًا ، وَتَوَالِيهَا وَقُلْتُ بِهَا نَكَلَعُ خَمَجًا عَلَى قَلْبِي ، وَتَوَاكُضُنِي إِلَى وَقَالِي عَمْرِي عَنْ كَلَمْتُ أَشْهَادًا
حَتَّى يَغْفُو اللَّهُ عَنِّي وَسَكَتَ مَسْكِينٌ ، غَرَّغُوا بِالْدمْعِ عَيْنَانِ وَصَارَ يَشْهَقُ وَيَكُحُّ وَطَاحَ عِلَلُ الْأَرْضِ
أَيَقُولُ أُنِيَا ف : عَارَ رَبِّي وَفَ عَارَكَ رَدَلِي عَمَارَتُ دَارِي مَالِيكَ خَيْرٌ ، أَيَا قَاضِي مَالِيكَ خَيْرٌ
نُوبِي فِي حَقِّ الْكَرِيمِ ، بِأَحْسَانِكَ صَالِحِي مَعَا غَزَالِي ، سَاعَا وَحْدًا إِلَى أَخْطَاتِ عَلِيٍّ رَأْنِي بَذَ
نَمُوتُ ، وَفَرَّاقُ الزَّيْنِ صَعُوبًا كَانَ تَسْأَلُوا يَا حَاضِرِينَ

مَيْرُزُهُمْ فَصِيحُ الْعُلُومِ وَلَقَا تَفْعُوفَ : فَرَأَقَهُمْ

شَافَ الْغَادَا تَسَاهَلَ النُّصْرُ بَسُوَالَفَ يَهْجِيُوا بِالْعَطَرِ

وَالْفَرَاكَ : دَارَتِ الْقَمَرُ

وَخَوَاجِبَ نُؤْمِينَ ف : السُّطْرُ وَالْعَيْنَيْنِ كَوَابِسَ الْغَدْرِ

وَخُدُودَ كَمَا الْوَرْدَ وَالزَّهْرَ

وَشَفَايَفَ تَقْصِيرَ لِلْعَمَرِ وَعَلَى الْجَوْهَرِ فَايِقُ الثَّغَرِ

والرقيباً عراض في قفر
والعضدين اصوارهم اسقروا وصباغ قلوباً بلا فخر
والبلارزخامت الصدر
والنهدين اتفاح اشجروا وردف بو دواح معتمروا
والبطن الطايي معاً الخصر
والسرأك : طاست الخمر والفخذين اشوابل البحر
والسيقان تهيج الفكر
وقدام اخدلج بلا عكر والقذف : جهدوا بلا حكر
والعدرا تريت الخصر
والقاضي ما فادلو صبر تيهتو مسبولت اشعر
بصغرها والتية والعفر
ويذاك الشموخ كي ظهر ف : وجيه كي طلعت البدر
او ثريا وسط شي قصر
والشيب من يماير الكبر
والشايب مسكين ، غير كا ييكي وينين ، مآلو ؟ مآلو ؟
مغبون عاجز القدر وكبر ما بقات فيه مزياً ، وملامحو اشهابو ، والسعلا قبطاه ، عاد يكحك
ويزيم والبخاش تعاقب ، ولا بقا ف : عم الشايب ، من غير ما بقا يا حضر في شيخ الضبوعا قلت
لملاق والنكار ، وقال القاضي - وشار لاعوانو - : عدل لعدول نوزوه ... اودغيا ... سيروا معاه ،
يعطي للمسكين ابراتها ف : الساعا ، ويلا تفاصلوا ردها ببراتها العندي ، وما خسروا غير
نوزوه السعدول بقا ولا كره حتى طلقها وصيفطوه مبالض ، ومشى بلا عقل لوكارو ويقول من

صَمِيمَ اسْتِيارُو ، اغْرِيتُو فَرَقَ خَنَارُو ، وَبَقِيَ بِلَا عِمَارَتِ دَارُو ، وَمَنْ الْفَرَاقُ شَعَلَتْ نَارُو .

وَالشَّابُّا رَجَعْتُ اَمْعَا الْحَرْسِي مَطْلَقًا لَا عِنْدَ الْقَاضِي وَبِنَدَقَتْ لِيَه ، وَقَالَتْ لَوْ يَجْزِيكَ خَيْرٌ عَنِّي وَأَنِيَا
لِيكَ يَا الْقَاضِي خَادِمَ مَكْسُوبَا ، وَمَشَاتِ الدَّارُ وَأَمْعَا الْجَوَارُ أَوْتَقَطَعَ الْكَلَامُ ، كَانَ تُسَالُو يَا حَاضِرِينَ
وَيَعْدَهَا شَخْشَ الشَّخْشُوشُ حُبُّوهُمَا جُ وَمَا سَامَحُوشُ

وَنَدَمَ عَنْ مَرَّتُو غَايَتِ النَّدَامَا ، وَالْقَاضِي لُونُ غَرَضُ طَلَّقَهَا لُو .

وَالْحُبُّ جَارُ عَنُو وَفَرَعَتْ عَزَائِمُو وَبَارَتِ الْحِيَالُ وَقَالَ مَا يَفَاجِي صَمِيمِي غَيْرُ الْهَمَامُ ، وَيَقَا وَأَقَفْ
سَاعَا وَكَأَ يَرْجُلُ رَأْسُو وَيَرِيضُ الرِّعَامَا وَيَجُولُ ف : مَا يَقُولُ قَدَامَ الْمِيرِ إِلَى دَعَا الْقَاضِي ، وَرَجَعَ
عِنْدَ الْفَقِيهِ وَدَعَاهُ وَسَارَ مَعَ الطَّرِيقِ كَايْتَخْرُوعُ ، مَرَّا يَنْوُضُ مَرَّا يَكْعُدُ ، مَرَّا يَزِيدُ مَرَّا يَسْخَفُ ،
وَحَدِيثُنَا لِسَيِّدِ الْقَاضِي ؟

وَلِلَّالْقَلْبِ دَارُو ، وَرَفَدَ مَصْحَفَ تَحْتَ بَاطُو ، نَادَا لِلشَّابُّا تَبِعْتُو ، وَمَشَاوَا بَزُوجَ لَحَقُوا لِلشَّابِّ ،
صَابُوهَ كَا عَدُ وَكَأَ يَنْهَجُ ، ف : الْحَيْنَ جَاوَا زُوجَ مَنْ اصْحَابِ الْمِيرِ زِيدُوهُمْ بَثْلَاثَا وَالْهَمَامُ جَلَسَ فِي
مَحْفَلٍ مَا يَلُونَهَا يَا وَالْوِازَارَا عَلَى يَمِينُو وَشَمَالُو وَالْمَزَارِكِيَا ، حَتَّى الْقِيَادَ وَالْفَرَادَا ، وَالْأُمْنَادُ كُلُّ
حَنَطَا وَالشُّكَايَا مُصَافِينَ ، مَنْ مَوْرَاهُمُ لِمَسْخَرِينَ ، عِنْدَ الطَّاعَا مَتَشَمِّرِينَ ، وَكَلَمَتِ الْمَلِكُ نَافِدَا ،
وَالْمَشُورَ بِعَجَائِبِ الْمَلَكََا عَامَرَا .

وَبَشَّرَتْ سَيِّدُنَا مَبْشُورَا ، وَكَذَلِكَ صُورَتُو مَهْيُورَا ، وَالشَّابُّا مَعَ الشَّابِّ وَالْقَاضِي سَرَاتِ فِيهِمْ
رَهْبَا مَنْ هَيِّتُو ، وَنَطَقَ الْهَمَامُ اللَّهُ يَنْصُرُو قَالَ لَهُمْ : ادْوِيُوا مَا لَكُمْ اَشْكِيُوا عَلَيَّ وَخَضَعَ لِيَه الشَّابِّ
وَنَوَا وَقَالَ لُو : يَا سُلْطَانُ ، أَنَا جِيتُ شَاكِي لَلَّهِ وَلِيكَ خَذْ لِي حَقِّي وَأَنْظُرْ مَنْ الْحَالُ هَذَا الْخَلْقَا مَرَّتِي
وَجَارَتْ عَلَيَّ وَبَغَاتِ الْفَرَاقُ مَنِّي وَأَنَا وَالْفَتْهَا وَقَلْبِي مَا طَائِقُ لِلْفَرَاقُ ، وَعَيبَتْ اَمُولَايَ مَا نَسَاعَفُ ،
وَنَسَمَعَ الْعَيْبَ وَنَتَعَامَا ، وَمَنَّاينَ شَفَقْتَهَا بَغَاتِ الْمُنْكَرَ حَجَبَتْهَا ف : دَارِي ، وَيَعْدَهَا غَدَرَتْ بِي وَمَشَاتِ
دَعَاتْنِي لِهَذَا الْقَاضِي وَشَكَاتُ لُو بِشَيْبِي وَرَجَعَ لِي خَصِيمُ ، وَشَتَمَ فِي قَدَامَهَا ، وَبَهَدَلْنِي ، وَنَهَرْنِي
وَبَزَمْنِي طَلَّقَهَا لِي وَحَارَهَا لُو كَارُو ، وَلَا قَرَا عَقُوبَتِ مَخْرَنَ ، وَنَتَ قَضِي بَعَرَفَكَ ، شَافَ السُّلْطَانُ

ف : الْفَقِيهَ أَوْ فَهَمُوا بِرَجَاحَتِ الْعَقْلِ ظَلَمَ الشَّائِبَ فِي غَرَاضٍ لَمْرًا ، وَأَمَرَ سِيَّافٌ قَالَ دَرَجَ رَأْسُو ،
وَنَشَوْفُ سَيِّدِ الْفَقِيهِ اجْبَدْ مَصْحَفٌ لِلدَّخِيلِ وَحَطُّو لِلْمِيرِ فَوْقَ صَدْرُو وَبَسَطُوا خَدُّو وَكَتَفَ يَدِيهِ وَقَالَ أَنَا
ف : جِيرَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَفَا عَنْهُ سَيِّدِي وَخَيَّتُو وَحَلَفَ لَوْ لَوْلَا كِتَابُ رَبِّي حَتَّى يَبْرِيَهُ .

وَأَمْرُو يَلَازِمَ دَارُو ، وَلَا بَقَاتُ لِيَهَ حَكَامًا ، وَأَمَرَ عَلِيَّ الْعَدُولُ اتَّوَجَّتُوا ف : الْحِينَ رَجَعُوا لِلشَّائِبِ
مَرَّتُو وَسَارَ بِهَا مَبْشُورُو خَاطَرُو مَهْنِي وَتَمَامَ الْقَوْلُ : خَالَقِي يَسْمَحُ لِي "قَصًا" بِدَعْتَهَا لِلنَّاسِ فَرَاجًا
وَلَا يَظُنُّو صَارَتْ وَلَا جَرَاتُ ، غَيْرَ رَجَاحَتِ عَقْلِي مَعَ الرِّيَّاسَا ، مَا جَبَّتْ خَبَارُ مِنَ الشَّائِبِ ، وَلَا
شَاهَدَتْ شَابًا مَغْرُورًا وَلَا تَوَاصَلُوا لِلْقَاضِي ، وَالْمِيرُ مِنْ سَلَاطِنِ الْهَوَى ، أَمَّا الْهَمَامُ سَرَفَ : لَوْ قَرَّ
وَمَعَ أَهْلَ الْإِفْكَارِ كَلَامِي ... وَالْدَّامِرِينَ هَلْ الْعُقُولُ الْمَخْرُوبَا ، مَا فَفَقَهُو مَعْنَا وَلَا الدَّوَا يُقَادُ التَّمَامُ
... كَانَ تَسَالُو يَا حَاضِرِينَ .

خَذْ أَحْفَاطَ عَلَيَّ التَّقَانُ حُلَا مَرَكُومًا ف : الْوَزَانُ

بِجَوَاهِرَ زَهْوًا لِلدَّهَانِ ، وَالْيَاقُوتِ الشَّعَالِ وَالتَّبَرِ ، وَسَلَامِي بِالْوَرْدِ وَالزَّهَرِ وَالْخَيْلِي وَالْيَاسَمِينِ ،
وَالنَّسْرِي وَالسُّوسَانَ وَالْعُطْرَ ، وَعُطْرُشَا وَالْغَالِيَا وَغَنَبَرُ ، وَالنَّدْمَا مَعَ الْغَيْبَرِ ، وَالْجَاحِدْنِي مَا جَافَ :
شَايَ يُعَذَّرُ ف : جَهَادُو مَا يَلُو دَرَايَا ف : فَنُونُ الْقَوْلِ ، وَالْكَلَامُ مُعَاوَلُ لِعُقُولِ فَاهِمِينَ الْمَعْنَا ،
وَمَعْنَتَهَا عَجِيبًا بِلِسَانِ الْحَالِ رَافِقًا كَمَا تَشْرَحُ لِعُقُولِ ، وَالْفَنَى يَسْمَحُ لِي فِيمَا عَصَيْتُ ، مَا وَقَعَ
خَصَامُ وَلَا حَضَرَتْ لَوْ غَيْرَ النَّسَانِ الْحَالِ كَيْفَ رَادَ تَكَلَّمَ ، وَخِيَارُ مَا نَقُولُ : الشَّائِبُ حَاشَا نَمَازَحُو ،
مَوْلَانَا عَذْرُو وَسَامَحُو ، وَسَمِعْتَ اللَّيَّ شَابَ ف : الْإِسْلَامُ مَعْنَى غَدَفَ : الْآخِرَا مَا يَدْخُلُ لِلنَّارِ مَا
يَرَاهَا وَدَعَوْتُ الشَّائِبِينَ : مَقْبُولًا مِنْ رَبِّي وَقَالَتْ أَهْلُ التَّحْقِيقِ "الشَّيْبُ نُورٌ"

وَاللِّي مَا شَابَ يَشِيبُ لَا غَنَا يَا حَفَاطَ إِلَى طَوَالٍ لَعَمْرُكَ كَمَا قَالُوا شِيَاخُ مِنْ قَبْلِي حَتَّى أَنَا نَقُولُ
مَا أَنَا جَاحِدٌ مَا أَنَا سَفِيهٌ ، مَا أَنَا دَاعِي مَا أَنَا وَقِيحٌ ، قَابِضٌ وَقَرِي وَمَلَازِمُ الصَّبْرِ وَالِدَعْوَا مَا
أَنَا ف : سَوْفَهَا بِوَاهِلِ الدَّعْوَا مَا لَهُمْ صَوْلًا ، وَلَا وَصَلُوا الْجَاهُ وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى الْأَشْرَافِ نَعَمْ أَسِيَادِي
وَعَلَى الْأَشْيَاخِ هَلْ الْأَمْجَادِي ، وَعَلَا

اهل الغُـلُومِ اُوطَلِبَا وَعَلَى اهل الذُكْرِ مَثْرَادِي
وَعَلَى الاقْطَابِ هَلْ لَمَحَبَا وَعَلَى السَّامِعِينَ اَشْشَادِي
دُونِ الْجَحُودِ وَهَلْ الْغُتْبَا وَعَلَى اُمّتِ الْمَهْتَرَادِي
سَيِّدَ الرُّسُولِ خَيْرَ النُّسَبَا

مُحَمَّدُ الْمَفْضَلُ عَيْنَ الرَّحْمَا شَفِيعَنَا صَلَّي اللّٰهُ عَلَيْهِ قَدْ مَا دَائِمَ مَلِكُ الرَّافِعِ السَّمَا وَعَلَى الْوُغَايَتِ
الرَّضَا ، وَهَلُوَ وَازْوَاجُوْهُ وَلاَمَتُوْهُ وَأَنْصَارُوْهُ ، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِلدَّائِمِ وَسَمِي نَبِيَّنَا "الْمَدَانِي" عَبْدُ
الْاَشْرَافِ هَلْ الْاَسْرَارُ الْمَوْهُوبَا ، قُولُوْكَ كَاغْ : اللّٰهُ يَرْحَمُوْهُ ، وَالرَّاحِمُ يَرْحَامُ . كَانَ تُسَالُوْهُ يَاحَاضِرِينَ

الحربة ، او "اللازمة"

شَاهَدَتْ الْيَوْمَ عَجُوبَا شَايِبَ ضَلَّ مَعَا الشَّابَا ف : مُعَايِرُ وَخَصَامُ
كَانَ تُسَالُوْهُ يَاحَاضِرِينَ

هذا إبداع من إبداعات "فن الترجما" في الملحون ، ولا أقول قصيدة من قصائد "فن الترجما" فنحن في هذا الإبداع لم
نكن مع "الشعر الملحون" وإنما كنا مع "الادب الملحون" مع "النثر الفني" المعروف باسم "السوسي" وقد مر معنا ذكره في أول
الفصول .

نعم ليست كل "الترجما" في السوسي بل فيها ما هو مكسور جناح "أَقَاضِي قَصَا جَرَاتِي مَعَتَاهَا" "الْخَادِمَ وَالْحُرَّة"
"الْجَلَنَارَا" "الطَّيْرُ" وفيها ما هو من الشعر العمودي "الدَّيْجُورُ" "حَمَانُ" وَ"حَرَارِيْزُ"
إلا أن معظم "الترجمات" وأروعها ، هي تلك التي في "النثر الفني" أي السوسي وقد قدمت منها "الشايب والشايا"
كنموذج .

فماذا يرى القارئ الكريم في هذا النموذج الأدبي الدارجي الذي عمر مائة سنة بالتمام والكمال ؟ أو نحتاج الى شيء من
التجاوز لنطلق عليه اسم : "أقصصوصة" ؟ فهو كما لا شك قد لا حظت لم يبدأ بتمهيد ولا بتوطئة أو مقدمة . وإنما بالحوار "
قال الشايب للشايبة" ومن خلال الحوار ، والتعليق على الحوار نبدأ في التعرف على الحدث شيئاً فشيئاً الى أن تكتمل
الصورة ...

حتى رسم الشخصيات لا يأتي إلا حيث ينبغي وبالقدر الذي ينبغي ، مَلَامَحُوْشَهَا بُو ، وَالسَّعْلَا قَابَطَاهُ "مَنْوُوسُ الْعُجَاغُ"
بِرَجْلِيَّةٍ "مَتَّبِعُ الضُّبَابِ بِعَيْنِيَّةٍ" بل نحن لم ننتبه لمفاتيح الحسنة ، إلا عندما رأيناها من خلال نظرات القاضي وهي تكاد
تلتهمها ... أما اللفظة العامة الساطعة والعبارة الشعبية الرائعة وكيفية السير في الموضوع ، وتلك السلسلة وذلك الانسياب ...
وما بين السطور من إشارات خفية يستلزمها الطرح ولا ينبغي الإفصاح عنها ... على أية حال النماذج بين يديك ، والرأي
رأيك ، وما أنا إلا دَلَالُ الْخَيْرِ "والله الموفق . صحيح أننا في الملحون ، لا نعرف عن هذا الغرض إلا أنه طافح بالمستلحات

اللطيفة والطرائف الشيقة ، والهزليات الممتعة ، والانتقاد الساخر لكل من ، وكل ما يستحق الانتقاد . والحق أنه - أي هذا الغرض - أكبر بكثير من مجرد مستملحات ، وطرائف ، وهزليات ... ف : ترجمات الحراز مثلا ... وقد تجاوزت في عددها المائة حراز ... لو وجدت من يحلل بعضها التحليل السيكلوجي الصحيح الجاد ، لتبين أنها في جملتها تحارب الكبت والقهر بكل أنواعهما ، وفي تفصيلاتها تحارب سائر ضروب الاحتكار والاستغلال ، وجميع أشكال الشعوذة والتدجيل ، وأنماط الذل والمهانة وأوضاع الدعة والاستسلام .

وإذا كان الملحون خصوصية مغربية لا يمكن أن توجد إلا في البلاد المغربية ، فإن الحراز خصوصية من خصوصيات الملحون المغربي ، ولا يمكن أن توجد في غيره من سائر أنواع فن القول .

و "ترجمات" الخادم الحرة " وهي أربعة إبداعات ، ظهر الأول في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي ، وظهر الثاني في التسعينيات من نفس القرن ، والثالث في الثلاثينيات من هذا القرن ، والرابع في الخمسينيات منه ، وأصحاب هذه الإبداعات هم على التوالي :

"الحاج أحمد الغرابلي ... فاس" ، "المدني التركماني ... مراكش"

"الحاج الحسن بنشقرن ... مراكش" ، "العيسوي الغلوس ... فاس" .

فقراءة متأنية في هذه القصائد تظهر بوضوح ، أنها أكبر من مجرد شجار عابر بين امرأة سوداء وأخرى بيضاء ، بل أنه الصراع الأزلي المزمع ، بين سكان شمال أرض الله ، وأبناء جنوبها ، بدأ بالاسترقاق والاستعباد ، مروراً على الاحتلال والاستغلال ، وصولاً إلى انتفاضات الأفارقة التي لا تزال متوالية في بعض الجهات إلى يوم الناس هذا ...

وترجمات "الفقيه المسلم والمبشر المسيحي" و"العابد والراهب" و"النخلة والصفصافة" و"الناسك والشيطان" كل ذلك فكر ... وفن ومعرفة وثقافة .

وليس من لغو القول أن أشير إلى أن هذا الغرض الذي يسمونه "الترجمة" يعيد قراءة كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، سواء منها ما تناولناه حتى الآن ، وما لم نتناوله بعد ...

فالمناجات الإلهية والامداح النبوية نجدها في ترجمات "جمهور الانبياء" "جمهور الأولياء" "جمهور اهل النوايا" جمهور رجال الله .

والوصايا "لوصيات" ... تتناولها "الترجمة" ... لا بالأسلوب الواعظ ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل بأسلوبها الفني الرائع الذي يجعل الشعور يمقت المساوى ويهجمها ، ويغضب بالمحاسن ويتعشقها ...

ف : "الترجمة" لا تقول عن الخمر مثلاً : **كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ** وكفى ... أو **يَبِيعُهَا وَشَرَاهَا وَشَرَابُهَا حَرَامٌ** ... وإنما تصور لك المضمور الفاقد الوعي ، الذي **عَمًا لَمِيعَتُو الْعَيْنِ** ، أو الذي صفع آباه ... أو الذي تبول في الفراش ليلة زفافه ، وهكذا كل أنواع الفسوق والفجور والزيف ، من كذب ، وخيانة ، وغدر وما شابه ، وغرض "العشاق" في "ترجمات الحراز" وفي غيرها ... ووصف الطبيعة في الربيع ، وفي غيره من فصول السنة نجده في **تَرْجَمَاتُ الْفَصَادَةِ** ، **وَالشَّرَاطَةِ** ، **وَالْوَشَامِ** للآثات و **تَرْجَمَاتُ** ، **الصَّيْدِ**

والقص والنزه الجماعية للذكور ... وهكذا وهكذا الى أن نأتي على كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، فنجدها جميعها حاضرة في هذا الغرض الذي أطلقوا عليه اسم "الترجمة" أتراهم قد أخطأوا الصواب بتسميتهم للإبداعات هذا الغرض ... الترجمة ؟ لنرى .

إذا نحن اعتمدنا مفهوم اللفظ كلفظ "ترجمة" وتجمع على "ترجمات" فقد سبق لاحد رواد الفكر ، وجهابذة اللغة ... أن أطلق على ديوان شعر له اسم : "ترجمان الاشواق" انه محي الدين بن العربي .

وإذا جاز أن نعتبر الشعر ترجمان الاشواق ، جاز أن نعتبره ترجمان الخلجات التي تختلج في الاعماق ، وترجمان المشاعر والاحاسيس بل وجاز أيضا أن نعتبره ترجمان الاحوال في كل الحالات ، وتلك هي حقيقة "الترجمة" الملحونة.

أما إذا اعتمدنا مفهوم اللفظ كاصطلاح أدبي "ترجمة" وتجمع على "تراجم" ، فإن هذا الاصطلاح ما كان ينبغي أن يقتصر فقط على الترجمة للأشخاص ، النابغة فلان ، والعبقري فلان ، والبطل فلان ... فأهل الملحون مثلا ترجموا للمدن :

مَدِينَتُ سَلَوَانَ كَالْمَنَارِ مَنْ سَبَّعَ مَدُنَ مَا تَبِيعُودُ
مَاقْبَلُوا نَاسَهَا جَسَارًا كَتَبُوا فَا : شَوَاهِدُ السُّطُورِ
لُوجَاتُ قُبَايِلِ الْجَسَارِ تَفَنَّا بِدَوَائِبِ الشَّشْرِورِ
صَالَتْ بِأَسْوَارِ قَلْعَا مَبْنِيَا حَازَتْ الْوَعْرَ بِالْهَيْبَا وَالْعَزَّ وَالْوَقْرَ
وَمَنَازَهُ وَدِيَارِ بَيْنَ سَقَايِلَ لِبَرَاكِ عَامِرَا
فِي كُلِّ شَبَارِ مَهْرَازِ الْكُورِ يَهْدُ مَنْ دَسَرَ وَتَفَاضَ الْعَسَا عَلَى النَّمْرِ
وَالْعَسْكَرُ جَرَارِ وَصَحَابُ الْوَزْنِ بِمِيزِ غَازِرَا

وترجموا للجبال :

حَدَّثَنِي عَنْ عَيْنٍ فِي ضُلُولِ الصَّفْقَصَافِ مَبْرَدَا وَعَذْبَا تَحْيِي الْأَرْوَاحِ
وَعَلَى شَيْ طَفَلَاتٍ رَايَحَا وَالشَّيْخُ رَوَايَحُوا فَا : الْهَوَا فَيَا حَا
يَاطُودُ مَنْ أَطْوَادُ أَرْضِنَا عَالِي مِثْلِ انْفُوسِنَا اللَّي مَا تَخْصَعُ لُوقَا حَا
حَدَّثَنِي عَنْ كُلِّ مَا ضَحَا كَايْنُو لَيْسَ كَانَ يَخْطُرُ فِي وَاحَا
حَدَّثَنِي لِلَّهِ عَنْ الصِّيَادَا وَعَلَى خَيْلِهِمْ وَعَلَى ذَاكَ التَّحْيَا حَا

وَسَرَّابُ الضَّأْيَا اللَّائِحَا وَالصُّلَّاحُ الْقُطَابُ وَقَتُ السَّيَّاحَا

وترجموا للحصان :

هَاجَ وَجَدِي وَجَوَادِي هَاجَ لِي مَسْرَجُ نَجَالِ جَرْدٍ مَجْرَدٌ مَتَفَنِّجَا دُعَا جَوُ

☆☆☆

سَالُ عُوْدِي عَنْ وَعْدِي يَبَاتُ يَرْتِي وَيَضِلُّ مَعَا اللِّجَامُ مَسْكِينُ يَكْدُ

وترجموا للنحلة :

صَوُّلِي يَا شَامَا الضَّرِيفَا وَزَهَايَ وَغَنِّي وَدَنْدَنِي قَطْفِي مَنِ الْاَزْهَارُ

يَا تَرِيَاقَ عِلَاجِ كُلِّ ضَرٍّ يَا بِنْتَ الْمَلِكِ فَيْكِ هَمًّا وَتَجَارَا

وترجموا للشمعة :

لَلَّهَ يَا الشَّمْعَا سَلَّتْكَ رَدِّي لِي اسْأَلِي اَعْلَاشُ كَاتِبَاتِي تَبْكِي مَا دَا لَكِي شَعِيلاً

بل وترجمو للفتيل الذي بداخل الشمعة :

أَنَا اللَّيِّ اتَّحَرَّقْتُ وَمَا انْتِيَاغِي الصُّهْدُ اَكُوَاكُ

ترجموا للذئب:

فَرَّخُ الذِّيَابُ مَا يَتَرَبَّأُ قَالُوا النَّاسُ وَأَنَا رَبِّيْتُ

ترجموا للنملة:

لَحْوِيْدَكَ دِيمَا امْحَرَمْنَا مَشْمُورَا وَمَخْمَلَا جَلَالِهَا كُلُّ نَهَارُ

هِيَ وَالنَّحْلُ لَا مَنِ الْفَجْرُ وَجَنُودُ الْمَلِكِ مَا اتَّخَالَفَ لِيْشَارَا

وترجموا للاطلال:

جِيَّتْكَ يَا رَسْمَ الْبَاهِيَّاتِ صَبَّتْكَ خَالِي مَهْجُورُ

سُكَّانَكَ جَابُـوْنِي نَزُّوهُمْ لِلَّهِ وَأَيِّنْ سَارُوا وَأَعْطَيْنِي الْاِخْبَارَ
وترجموا للمسجد :

لَوْ شَفَقْتَنِي كَمْ مِنْ حَبَابٍ دَخَلُوا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، مَنْ عَلِمَا وَأَقْطَابُ
مَنْ ذَاكَ الْيَوْمَ الدَّابَا وَالصُّلَاحُ اللَّيِّ اعْتَاكَفُوا فِيهِ سَنِينَ مُوَاضِبَا
وترجموا الانهار ...

مَلُوبَا ، مَنْ حَيْثُ عَايَرَتْ وَرَغَمَا بَيْنَ هَضَابٍ وَ سَبْوٍ يَسْمَعُ لَخَطَابِ
وَاللَّيْرَ وَالسَّبَابَا وَالرَّغْيَانِ يَوْرَدُوا وَلَبَنَارَتْ عَلَى الْمَدَاعِبَا

لا بد من أن نعود الى "الترجما" مرة أخرى ، عند تناولنا للملحون المعاصر ، أما الآن ، علينا فقط أن نتم لها حصتها من
النماذج كباقي الاغراض .

"بَيْك مَالِيُون" كما لا يخفى على مثقف ، ينحت تماثيل الاجسام من الحجر ، ومن غير الحجر ، وقد نحت مرة تمثال امرأة
فأبدع فيه كما لم يبدع في أي تمثال آخر قبله ، ولما فرغ من العمل ، وأصبحت المرأة ماثلة أمامه تكاد تخاطبه ، أحبها ، وطلب
من الآلهة أن تهبها الحياة ففعلت ، وارتمت المرأة في أحضانها وجن جنونه ، وقرر أن يتزوجها ... قصبت عليه اللعنات ...
وسمع الاصوات تردد من كل جانب "بيكاماليون الملحون" ... أو يتزوج الخلاق من مخلوقاته ؟ "هذه في سطور ، هي أسطورة
"بيكاماليون" وكما ترددت في اليونان قبل الاف السنين ...

وسوف يأتي "برنادشو" فيستوحي من الفكرة مسرحيته المشهورة : "سيدتي العزيزة" وستأتي السينما ، فتننتج المسرحية
في أكثر من فيلم ...

ويأتي "بن الصغير الصوري" . وقد مر معنا ذكره ... وسبقت الاشارة الى أنه شاهد عهد السلطان العلوي الحازم مولانا
الحسن الاول فيستوحي من الفكرة هذا الابداع الخفيف المرح ،

كَانُوا بِأَثْنَيْنِ مُسَافَرَيْنِ فَ : طَرِيقُ الْخَيْرِ مُرَافِقَيْنِ

وَأَحَدٌ فِيهِمْ نَحَاتُ صَانِعٌ رَفِيعٌ بَهَرَ جَمَعَ الْعُقُولَ ، مَا عِنْدَ بَنَادِمٍ مَا يَقُولُ ، مَنْ غَيْرُ صَوِيرِي مَا
يَطْوَعُ جَدْرَ دَالْعَرَعَارِ الْهَشِيشِ ، مَنْ غَيْرُ فُشْرٍ مَنْ نُونٍ فِيشُ كَايَصْنَعُ بَ : الْعَرَعَارُ شَيْ عَجَائِبُ مَا
يَشْرِيهَا الْوَيْزُ وَلَا جَوْهَرُ وَلَا بَرِيزُ وَالثَّانِي كَانَ مُجَادِلِي ، وَفَ كُلُّ افْرَاحٍ مُوَاوِلِي

وَتَجَرَ دَغْيَا دَغْيَا غَنَاهُ أَتَايَ وَصَارَ مِنَ السَّبَابِ يَبِيعُ وَيَشْرِي فَ : الْاَثْيَابُ ، عَنَدُو لَحْرِيرِ مَعَا

السَّابِرَا ، عَنَدُو الْمَلْفَ مَعَا الْكَامَر ، عَنَدُو لَفَوَالِي الْعَاطِرَا وَعَكْرَ وَالْحَرْقُوسَ وَالسَّوَاكَ وَالْكَحُولُ ،
وَمَا عَلَى الْجَمَالِ مِنْ حَمُولُ ، زَارُوا مَقَامَ سَيِّدِي مَكْدُولُ أَوْسَكُونَا
خَرَجُوا فَ : السَّرُويَا مِنْ الصُّوِيرَا جَدُّوا فَ : السَّيْرُفَ : الْفَيَافِي وَأَقْفَارَ ، كَايَغْنِيُوا اشْعَارَ
قَاصِدِينَ بَعَزَمَ وَنِي الْبَهْجَا الْحَمَرَا



فَ : عَوِيْنَتُ سَيِّدِي يَاسُّنِي صَابُوا صَاحِبَتَا بَنَ الزُّيْنِ
هَرُوهَ وَكَالَ كَلَامَ مَا نَقَدَ نَكُودُو ، وَاللِّي قَوَا عَلَيْهِ فَضُودُو ، زَعَمَا
بَغَا يَسْمَعُوا ، إِيجِي حَتَّى الْعَدْنَا وَيرَافَقْنَا فَ جَمَعْنَا وَنَجِييُوا إِلَيْهِ خِينَا
وَحَدَاهُ نَهْرُوهَ إِلَيْهِ ، أَوْ يَسْمَعُ أَشْ يَكُولُ إِلَيْهِ ، عَنَدَاكَ يَكُولُ عَلَى سَفِيهِهِ لَحْدِيثَ قِيَاسَ وَغَايَتُو دَرَاوَهَ
قَابَطُ دِيكَ الطَّرِيقُ

وَدَجَعَ حَتَّى هُوَ رَفِيقُ ...

يَا مَا حَلَاهَا دِيكَ الْمَرَافَقَا ، مَنْ حَكَايَاتُو الْخَارِقَا ، وَالْمُغْرِبَاتِ رَايِقَا وَالضُّحُكَ أَوْ الْأَقْجَامَ فِي
طَرِيقِ السَّيَّارِ ، هَكَذَا دَارَ أَنْهَارَ ، رَوَّحُو فِيهِ الْفَرَحَ عَرِيسَ لِلْمَسْرَا .
رَاحَتِ شَمْسُ أَنْهَارِ الْأَثْنَيْنِ دَقُّو قَيْطُونَ مُعَاوِنَيْنِ
تَوَضَّأُوا وَصَلَّوْا عَادَ جَبَدُوا الْعَشَا وَبَعْدَهَا تَرَايَا وَأَيَقَسَمُوا لِيْلِهِمْ
عَلَى الْعَشَا مَا بَيْنَهُمْ ، بِالْمَشْخَرَا ضَرَبُوا الْعُودَ ، عَاوَدَ ثَانِي ضَرَبُوا الْعُودَ
وَيَا نَ شَكُونِ اللَّوْلُ أَوْشَكُونِ الثَّانِي ، وَجَا الْعُودَ فَ : التَّيْجَانِي

وَخَرَجَ مَنْ الْكَيْطُونِ يَنْوُزُ نُوَيْتُو ، يَحْرَسُ بِالْجَدِّ رَفَاقَتُو ، بَاشْ يَنْوُزُ وَقَتُّو ؟ وَبَاشْ يَنْوُتْسُ ؟ صَابُ
صَنِيعَتُو ، صَابُ جَدْرَ دَالْعَرَعَارَ غَيْرَ مَرْمِي وَطُولَ مِنْ طُولَتُو ، اجْبَدُ أَدَوَاتُو وَزَادَلُو ، يَنْقَشُ وَيَدَقُّقُ
وَيَمْرِي بِالْمَلَائِكَا ، وَكَانَ مَسْكُونُ مَعَا الصَّنْعَا مُخْلَخَلُوا الْأَفْكَارَ ، وَلَا أَبْحَالُو صَبَّارَ ... صَانَعُ تَقِي
... وَنَقِي ... وَمُعِيشَتُو مُعِيشَا مَرَا .

عَسَّ سَوِيَعَاتُوكَامِلِينَ وَنَحَتْ قَامَا تَسْبِي الْعِينِ
مَرَا خُمْرِيَا كَامِلَا وَقَفَّهَا وَقَفَا صَايِلَا

وَمَشَافِيْقُ مَنْ نُوبِتُو يَعْسُ ، وَتَكَا فَفَرِيَشُو نَعْسُ وَالْتَاَجَرُ مَنْ حِيَتْ شَافَهَا ... اَجْمَدَ فِيْهِ الدَّمُ ،
أَوْفَهَى ، وَتَرَاجَعَ دَغِيَا وَعَرْفَهَا ، دَاتَ مَنْ الْعَرَعَارُ صَنَعَهَا دَاكُ الْجَنُ ، وَبَدَّ يَخْمَمُ أَوْ يَتَمَكَّنُ وَيَعْدَهَا
مَشَا كَايَجَرِي لَصَنَادَقُو ، جَبَدَ قَفْطَانُ خَضَرَ دَا الْمُوْبَرُ وَقَمِيصُ مِنَ الْحَرِيرِ وَالسَّبِينِيَا وَزَوَاقَهَا مَشَجَرُ
، وَسَقَلَهَا كَثِيرُ وَالْعَبْرُوْقُ أَوْعَصَابَتُو دَا لَوْبَرُ وَالشَّرْبِيلُ الْكَبِيرُ لَبْسَهَا .. نَبَتْهَا .. وَزَيْنَ لَهَا .. خَلَاهَا
فِيْنَ صَابَهَا لِلتَّبَهَارُ ، وَفِيْقُ الْبَاعُمَرُ ، بَنُ الزَّيْنُ يَعْسُ النَّوْبَا ، وَيَلْقَى لَمَرَا



فَهَا فِيْهَا يَافَاهِمِينَ دَارَتْ بِهَ الدُّثْيَا فَ : حِينَ

زَكَا رَاسُو دَغِيَا وَزَادَ لِيْهَا وَخَزَرَ فِيْهَا مَلِيحُ ، طَيَّرَ سَبْنِيَّتَهَا الرِّيحُ وَعَلَى رَاسُو غَادِي تَطِيحُ ،
غُمَاتُو ، فَرَعَاتُو ، وَهُوسَاتُو ، وَقَلَّتْ لِيْهِ الرِّقَاجُ زَادَ تَفَاكَمُ لِيْهِ الْمَزَاجُ

أَوْ مَنْ هَازِي مُحَالَ وَأَشْ بَاقِي يَفَلَّتْ

اتْلَاحَقَاتُ فِيْهِ انْفَاسُو وَطَاحَ فَ : الْوُطَا كَايَلَهَتْ

لَوْكَانَ شَاهِدُوهُ وَنَاسُو مَسْكِينُ كَيْفَ كَايْتَمَرَتْ

اشْحَالَ عَادَ عَرَا رَاسُو

وَمَنِ شَافَ فَ : جَنَابُو صَابَ اِمَامَنْ شَلَاخُ الْعَرَعَارُ الْكِبَارُ أَوْ الصِّغَارُ

ابْحَالَ مَنْ جَاءَ أَوْ مَرَمَقَ لُو وَعَرَفَ الْجَرَا

عَادَ وَلَلَّ عَنُو لَعِيَا وَعَادَ مَسْكِينُ اِنْهَارَ وَعَاوَدَ اَرْفَعَ الْاَبْصَارُ

بَاشَ يَنْظُرُ هَازُ الْخَشْبَا وَجَاتُو حُكْرَا

كَيْفَ حَتَّى يَتَفَرَّغَ بِالْخَوَا وَهُوَ عِيَارُ مَا بُحَالُو عِيَارُ

وَيَاشُ مَنْ كِيدَ يَرَدُّ الصَّاعُ بَأْلَفَ عِبْرًا
 بَدَا يَخْمَمُ كَيْفَاشُ وَيَاشُ خَصَّ يَأْخُذُ بِالنَّارِ مَنْ خَسِيسُ التَّجَارِ
 عَلَى اللَّيِّ مَا خَبِرُوا وَتَخَانَفَاتُ فِيهِ الْحَسَرَا
 وَبَعْدَ سَاعَا ضَرْبٍ كَفُوفُوا الْأَرْضَ ضَرْبَتْ تَطْهَارُ تَيْمَمُ بِاخْتِصَارِ
 وَدَارُ لِلْقَبَلَا يَرْجَا خَالِقُو عَظِيمِ الْقُدْرَا
 وَغَيْرُ كَبَرٍ وَسَجْدَ سَجْدًا سَمِعَتْ عَطَسًا بِجَهَارِ أَحْيَاتُ بَنَتْ الْعَرَعَارِ
 وَغَيْرُ سَلَمٍ طَاحَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ عَذْرَا سَمَرَا
 كَالِ لِيهَا نَبْغِيكَ تَفِيْقِي عَدِيمِ الْيَضْمَارِ أَوْ الدَّيْبِ النَّجَارِ
 وَغَيْرُ فَاقُوا شَعَشَعَ لَحْمَاقُ فَ : الْاِثْنَيْنِ بَمَرَا
 شَكُونُ مَنْ حَقُّ يَأْخُذْهَا مِنْ اِثْلَاثَا يَذْكَارُ وَاهِيَا هَلْ الْاَفْكَارُ
 يَالْوَدَّ بَايَاهِلَ لَعَلُّوْمُ نَعَمُ الْفَرَا
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّغِيرِ وَالسَّلَامُ فَ : الْاَشْعَارُ عَمَ سَايَرَ الْاَبْرَارِ
 وَالْجَوَابُ يَصِيْبُوْا مَنْ رَادُ فَ : "الْبَيَّاتُ الْعَشْرَا"

اللازمة:

هَـاَذْ هِيَ ، مَا هِيَ غَيْرُ مَنْ جَذَرَ دَالْعَرَعَارِ نَحْتُ مَا هَرَّ عِيَارُ
 تَمَّ وَلَحَمَ رَجَعَتْ وَحَيَاتُ وَلَلَاتُ مَرَا

شغل هذا السؤال الكثير من الناس مدة ليست بالقصيرة ، بل وجدتهم في حضيرة الملحون عندما التحقت بها في الاربعينات ، لا يزالون يرددون : "شَكُونُ مَنْ حَقُّ يَأْخُذْهَا" تماما كسؤال من سبقت الى الحياة البيضاء أم الدجاجة ؟ ولقد قال عبد الواحد العصفوري لشيخنا الجليل سيدي ادريس متضاحكا فكر معنا ياسيدي ، من أحق بهذه المرأة من الثلاثة ؟ فقال له سيدي ادريس : ولماذا تريدني أن أفكر في شيء ما كان ، وإن يكن ؟ فقال العصفوري والبيضة فالدجاجة ؟ فقرأ سيدي ادريس قوله تعالى : "وجعلنا من الماء كل شيء حي"

وبصرف النظر عن الفكرة التي قامت عليها هذه القطعة الأدبية الدارجية ما دمنا لم نعثر حتى الآن عن الأبيات العشرة التي تحمل الجواب ، بل ولا نعرف حتى هل هي سرابة من عشرة أبيات ؟ أو اعروبي في عشرة أبيات ؟ أو أنها عشرة أبيات من قصيدة ما من قصائده ؟...

بصرف النظر عن الفكرة ، يبقى الابداع كمرآة ساطعة تظهر فيها بجلاء مدينة الصويرة على عهد السلطان المقدس ، مولانا الحسن الاول تغمده الله برحمته .

في النحت من غير صويري ما يطوق اجدر دالعرعار الهشيش ، كما يصنع بالعرعار شي عجائب تبهر جمع العقول

الصناعة التقليدية ، الحضارة ، الرواج ، الفرص المتاحة ، الطموح الذي لا تضيق معه الفرص

... كان مجادلي يوف كل افراح مواولي ، وتجر دغيا دغيا غناه أتاي وصار من اللباب ، يبيع ويشري ف : الثياب .

وذاك الوصف الجميل النبيل لدعابات أوقات المرح وسويغات الانس ، وذاك التشخيص الدقيق للحظات الفزع المفاجيء والروع المباغت .

اتلاحق في انفسو وطاح ف : الوطاح كايلاهت

ورحابة الترحيب ، وكرم الضيافة ، ودفىء التألف .

يجي حتى العندنا ، أويدخل في وسط جمعنا ، وحداه نهروه ليه

على كل حال ربما لا يستغني من يؤرخ للصويرة ، أو يترجم لها عن شعر محمد بن الصغير الصويري ... لانه يأتي من قلب أحياء الصويرة وأسواقها وبيوتاتها ...

وسوف يأتي معنا ذكر بن الصغير مرة ثالثة ، عندما نعرض للهجا وتتناول من ضمن ما سوف نتناول فيه ، تراشق فن الرزون الصويري أما الآن فإلى لمسة أخرى من لمسات الثقافة العالمية في الملحون إنه الموضوع الذي قامت عليه رسالة الغفران .. لابي العلاء المعري ، و "الكوميديا الالهية" ل : دانتي ، موضوع ما بعد البعث ، والحشر والحساب .

وقد سبقنا الإشارة الى أن "الترجمة" لا تكون فقط في "النثر الفني السوسي" وإنما تكون أيضا في الشعر العمودي لمبيت وفي "مكسور جناح"

وهذه المرة مع "لمرما الثلاثيا" من الشعر العمودي الموزون المقفى

كان راجل معا مرتوف : الدنيا عش راني تابعين الشيطان

لا صلا لأزاکا لا صوم عايشين على المنكر

ويصف هذا المنكر في أبيات ، فيصور بيت الزوجية لهذين الزوجين وقد تحول الى حانة خمر وقمار تقع فيها من القادورات البشعة ما يجعل الشرفاء من الناس يتمنون إحراقهما في الدنيا قبل الآخرة .

ونحن نترك كل ذلك الوصف ، لننتقل مع الشاعر الى حيث يقول

نَهَارَ مَا تُؤْهَدُونَ بِزَوْجِ يَا الْفَاهِمَ تَمَكَّنْ خَلَّوْصِي عَرِيَّـانَ
كَانَ خَادُو رَجُلٍ مَسْكِينٍ حَايِزُو عَنَدُو فَا : الدَّارُ

وينشأ الطفل اليتيم في بيت صلاح وورع ... ويحفظ القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ، ويتعلم من العلوم ما يصلح الحال والمال ... ويفتح الله عليه ... فيصير من السبعة بالصفات السبع .

اقْرَأَ الْقُرْآنَ تَفَقَّهُ فِي عِلْمِ دِينِ الدِّيَّانِ بَدَأَ يَقْرَأُ الصَّبِيَّـانِ
وَكَا يَحْدُثُ وَيَوَاعِظُ فَا : الْعِبَادُ وَيُرْتَلُ الْاَسْوَارُ

وهنا يقف وقفة خاشعة أمام فضائل القرآن ، وأسرار القرآن ، يختتمها بقوله :

نُورَ رَبِّي فَا : قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ سَرُّو رَبَّانِي بِهِ تَصْلَحُ الْاَزْمَانُ
عَزَّنَا فَا : الدُّنْيَا وَفَا : الْآخِرَى اَيْنَجِي فَا : الْمَحْشَرُ

ونفخ في الصور ، وانتهى كل شيء وقال الله ولا شيء معه : لمن الملك اليوم ؟ ليحيب عن سؤاله بنفسه جلت قدرته وتعالى عظمته : " الله الواحد القهار " .

ونجدنا مع الشاعر الفيلالي فيما بعد البعث

جَا انْهَارَ الْمَوْقِفِ لِعَظِيمِ وَالرَّجَالِ اَوَسَّوَانِي شَاخَصِينَ بَا : الْاَعْيَانِ
فَا سَايَرُ الْاَنْبِيَاءِ وَتَبَاعَهُمْ شَلًّا رَأَتْ عِيَّانَ

وينتهي يوم الحساب ، وتمتلئ الجنة بأهلها والنار بأهلها ... ويحدثنا الشاعر عن الشاب حافظ القرآن الذي نشأ في عبادة الله ، وهو يمرح في الجنة بين الحور :

فَا حَرِيْنٌ نَادَاتُ حُورِيًّا وَقَالَتْ لَوْ اَيَّا بَانِي يَا السَّاكِنُ لَجَنَانِي
رَأَاهُ يَمَّا كَانَ اَمْعَا بَابَاكَ حَارِقَاهُمْ نَارَ الْحَرِّ

ويضحك الشاب من قولها ، ويشير الى الاسرة التي تبنته ، وهو يحسبها أسرته الحقيقية . وتتفاضى الحورية عن ضحكك وتؤكد :

ابـأَكْ فِي أَشَدِّ الْحَالَا ، أَمْكَ فِي شَرِّ أَمْحَانِي فِي غَمُوقِ النَّيِّرَانِ
وَسُؤْلِ اللَّيِّ رَبَّأَوْكَ بِالْأَثْنَيْنِ يَعْطِيُوكَ لَخْبَرُ

ويستفسر عن جلية الامر ... ويأتي الجواب مصدقا لما قالته الحورية :

كَالْلُّ لَوَاهُ أَوْلَدِي الْبَاكُ وَسَطُ النَّيِّرَانِ أَمْعَا أَمْكَ فَا : التَّمَحَّـانِ
مَا أَحْتَا الْأَرْبَنَّاكَ يَا الْمَحْبُوبُ مَنْ صَفَرُ

وَمَا كَرَمْنَا رَبِّي إِلَّا عُلَّ الْخَيْرِ أَوْ الْإِحْسَانِ اللَّيِّ أَعْمَلْنَا بَنَّا
أَنْهَارَ مَاتُوا وَحَسَنَّاكَ فِي مَعِيشَتِ دِيكَ الدَّارُ

ويتقترح المحسنة على الشاب حامل القرآن ، أن يتشفع لوالديه عند الله ويتوسل إليه بالقرآن الكريم ...

زَاوُكَ فَجُودُ اللَّهِ عَلَى الْبَاكِ وَمَكَ بِأَثْنَانِ بَجَاهُ حَقِّ الْقَرْعَانِ
مَا يَخِيبُ سَائِلَ رَبِّي كَرِيمٍ يَسْمَحُ أَوْ يَغْفَرُ

ويتوسل الشاب الى ربه الكريم أن يعتقهما من النار ويدخلهما الجنة برحمته ويقول الله : لك أن تخرج أحدهما ... عليك أن تختار ... ويمضي الشاب الى حيث النار ... ويقترّب منها ... فتبتعد عنه . ثم يقترّب منها فتبتعد عنه ، وخازن النار في حيرة مما يجري ... لا الشاب تراجع عن النار ، ولا النار التهمته ... ويعلق الشاعر على المشهد :

"حَيْثُ مَا شِئِي مَنْ أَهْلُ النَّارِ كَاتِبَعْدُ بَلْعَانِي" ويتساعل هو أيضا فِي حِيرَةٍ لَكِنْ يَا إِخْوَانِي بَاشْ
عَرَفَاتُو ؟ أَمْرٌ غَرِيبٌ بَايْنُ يَحِيرُ الْفَكْرُ

ويفترض افتراضات :

وَأَشْ شَمَا تُوصَابَتْ رِيحَتُو رَوَائِحِ الْجَنَانِي ؟ أَوْ هُوَ نُونُورَانِي ؟
غَيْرَ بِالشُّوْفَا عَرَفَاتُو ، وَكَاتَشُوفُ بَغِيرُ بَصَرُ

ويأتي الامر الالاهي بالسماح للشاب بأن يدخل النار ليخرج منها من يختار من أبويه ...

ويبدأ في البحث عنهما ... وتثير انتباهه بعض الوجوه من أصحابه ومعارفه كان يحسبها في الدنيا وَجُوهَ الْجَنَّا ولكن سرعان ما نسيها في غمرة البحث عن أبويه ... وأخيرا يجد الام ... ويعرض عليها أن تخرج ... لكنها تمتنع :

سِيرَ خَرَجَ بُوكَ أَوْلَدِي اشْحَالَ قَاسًا لَمَحَانِي عَلَّ اللُّقْمَا وَاحْزَانِي
وَالْيَالِي وَهَرِيدَ الْمَا فَ كُلَّ لَيْلٍ وَكُلَّ نَهَارٍ
اشْحَالَ مَنْ مَرًّا كَانَ مَرِيضٌ وَيَمْشِي جَسْمُو فَانِي كَا يِعَانِي وَيَنَانِي
بَاشَ يَاتِي لَنَا بِالْقُوتِ مَا تَخْلِيْهَشَ فَ : النَّارُ

وينزل عند إرادة والدته ، ويذهب للبحث عن والده ... ويجده ويخبره بما دار بينه وبين أمه ، ويعرض عليه أن يخرج معه ...
فيأتي هو أيضا :

أَمِمْتَكَ يَا وَلَدِي لِيهَا جَرِي عَلَيْكَ الرُّضْوَانِ حَارَقَاهَا النَّيْرَانِي
جَرِي عَنَّقَهَا عِنْدِي هِيَ أَوْلَا بَجَنَاتِ الرُّضْوَانِ
يَا كُدُوْزَتِي تَسْعُ شَهْوَرٌ فَوْسَطُ بَطْنُهَا فَانِي وَالْدَهْرَ عَاوَدَ ثَانِي
وَمَا رَضَعْتِي مَنْ بَزُوْلَةٍ حَلِيْبَهَا صَافِي الْأَعْيَارُ

ويحتار الشاب بين والدته ووالده ، ويلجأ مرة أخرى إلى ربه الكريم ويرحم الله ضعفه ، ويتكرم عليه بعنقهما معا .. وفي طريقه بهما إلى الجنة ... يتكره أهل الجنة ، من روائح النار التي تفوح منهما ... ويأتي الأمر الإلهي بفصلهما في "وادي الكوثر" سبع مرات ... ومرة أخرى يقع نظره بالصدفة على أناس كانوا في نظر غيرهم كفرة فجرة لا مال لهم إلا النار ...

وبعد ... إذا سلمنا بأن الفكرة التي قامت عليها قصيدة بن الصغير تسربت إلى مدينة الصويرة ... من تجار الشواطئ ، الذين كانوا يجوبون البحار المغربية جينة وذهابا - وللفنيقيين آثار لم تزل قائمة بالجزيرة إلى الآن - أو تسربت من القوافل التي كانت تمر بالصويرة سواء تلك التي تمضي من الشمال إلى الجنوب ، أو تلك التي تأتي من الجنوب إلى الشمال ، أو جاءت مع أفواج اليهود الذين تساكفوا مع المسلمين ، بل فاقوهم عددا في بعض الفترات ... إذا سلمنا بشيء من ذلك ، فإننا لا نسلم أبدا بأن الفيلاي بن الفيلاي قد جاعته الفكرة من هذه الجهة أو تلك ، أو بهذا السبب أو ذاك .

فهو بالتأكيد ما قرأ : "الكوميديا الإلهية لدانتي - ولا سمع عنها ... لا ولا أطلع على "رسالة الغفران" للمعري ، ولا بلغه خبرها ... فالمسار غير المسار ، والطرح غير الطرح ، والقصد غير القصد ... ولا أثر فيها لاية أيديولوجية ، وما قلت عنها أنها لمسة من الثقافة العالمية ... إلا لأن الشاعر الممتاز ... قد تصل إبداعاته إلى مستويات عالمية ، وهو ما برح قريته أو : "كصره" ، فالإنسان الممتاز ، ممتاز في أي زمان ومكان ، وبكل لغة ولسان .

فلقد كان قصد القصيدة في بادئ الأمر ، ترغيب الآباء في تعليم أولادهم القرآن ، كما تفهم من بيت القصيد ، أي اللازمة أو "الحربا"

يَا لَيْلِي عَنَّاوُ تَرِيكََا حَلَالُ تَقْرَأُ الْقُرْآنِي رَاهُ فَضْلُو فَضْلَانِ فَضْلُ ف : الدُّنْيَا وَفَضْلُ الْآخِرَى أَكْثَرُ يَا هَلْ لَفَكْرُ

ولا شك عندي أن هذا البيت هو أول ما خطر ببالي ... وبشيء من التأمل فيه رأى أن عليه أن يبين بعض أفضال القرآن على أهله في الدنيا ، ففعل وأوضح أنه يصلح الحال والمال ، ويصلح ما فسد في الزمان وييسر العيش النظيف ، ثم رأى أن يوضح بعض أفضال القرآن في الآخرة ... فحاول ... فإذا به في هذا السياق ... فاستمر فيه وانساق معه الى النهاية ولكاني بالقصيدة كلها ماقامت إلا على تداعي الافكار و الفكرة عن الفكرة من بدايتها الى نهايتها ، وهي في مجموعها لا أثر فيها لاي لغم .. ف : الشاعر مثلاً لم يجد في الجنة أصحابه ، وفي النار خصومه ... بل وجد العجب ، وجد في النار من كان بعض الناس يعتقدون فيهم الخير ، ويرون أنهم من أهل الجنة ، ووجد في الجنة العكس تماماً ...

ثم أنه جعلنا في بداية القصيدة نتكره من الابوين ، ونشمنز من مآتيهما وفي نهايتها نتعاطف مع الشاب ونتمنى أن يعتقهما الله من النار بفضلها ، وأن يدخلهما الجنة ورحمته .

بل وفرحنا له ولهما بالخروج ، ثم فوجئنا معه بتكره أهل الجنة لروائح أهل النار ، وأصبحت القضية وكأنها قضيتنا ، أو على الأقل هكذا تكون مع هذه القصيدة ، ونحن نستمتع إليها بأصوات فيلالية شجية رخيمة ، وبإلقاء معبر يوصل المعنى الى أعماق أغوار النفس ...

حسبنا هذا القدر من الترجمات والحديث عليها ، بل حسبنا هذا القدر من الحديث عن الأغراض ، لأن معظم شعر ما تبقى منها ومعظم نثره ... هو للمتأخرين ، وسوف نفتتح به الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله . لنبني حاضر الملحون على أسس ماضيه ، ولنتأكد على أن الصلة بين حاضره وماضيه هي صلة وصل ... لاصلة فصل .





البديع في فنون الملحون

✱ البديع في فنون الملحون ✱

إن إشغال الفكر بالبديع يكاد يكون ضياعاً، لأن عهد البديع ولى وأنقضى ... ولكن هذا لا يعني أن الكتابة عنه وخاصة في الملحون هي عديمة الجدوى ، لاسيما إذا علمنا أن البديع ، كان إلى الامس القريب قد سجل في الادب الشعبي من التحف الرائعة ما الله به أعلم ، وأرى أن لا أغفلها في هذا الكتاب . وأن النقاد العرب قد أسهبوا في الكتابة عن بديعيات الادب العربي ، سواء في المشرق أو في المغرب في حين بقي بديع الملحون في زاوية النسيان ، ولذلك احببت أن يطل القارئ ولو إطلاقة قصيرة على هذا الجانب الذي كان في وقت مضى مهما بالنسبة للإبداعات الملحونة

ولقد عرف الملحون كل المحسنات اللفظية والبديعية بدون استثناء وستناولها جميعا في هذا الفصل ، ولو بنفس الاختصار الشديد الذي تناولنا به الجوانب الاخرى

التضمين

ضمن أهل الملحون شعرهم بعض الآيات من القرآن الكريم ، يقول مريفق في الحسناء التي يرمز بها إلى "العروية" ، وقد جاعتنا من شبه الجزيرة العربية منتطية صهوة جوادها ، تماما كما وصفها "بجيوأت" في قصيدة : "الضيف"

مَكْتُوبٌ عَلَى جَبِينِهَا : "أَلَمْ نَشْرَحْ" وَحُرُوفُ الزَّيْنِ شَرَحٌ وَبِكُلِّ فَصَاحَا

سَعَدَ اللَّيَّ حَبَهَا بِقَلْبُو : "قَدْ أَفْلَحَ" يَنَامُ أَفْرَحَتْهُ عَلَى جَنْبِ الرَّاحَا

هذا عن التضمين الحرفي ... أما تضمين المعاني ، فحدث عن البحر ولا حرج .

استوحى السي التهامي من قول الله عز وجل : "وَالْتَفَ السَّاقُ بِالسَّاقِ قَوْلُهُ :

"وَالْتَفَ السَّاقُ مِنْ الْفَرْقَا بِالسَّاقِي وَرَجَايَا فَالْجَلِيلُ لَكَرِيمِ الْبَاقِي

ووظف المشهد القرآني للكيفية التي غرق بها فرعون :

"رَمَانِي فَ : الْبَحُورُ وَجَمَعَ لَمَلَاقي"

وضمنوا شعرهم أمثال سائرة .. اقرأوا هذا المثل البدوي ، وقد تكرر عند مريفق في أكثر من قصيدة :

هَازُوكُ يَضَايِفُوكُ يَاوَلَدَ الْعَرِيْفُف ؟ مَا فِيهِمْ غَيْرُ : فَمُ صَيْفٌ وَكَلْبٌ خَرِيْفُ

وهذا المثل ... وهو أيضا من البادية ... "الصَّبْعُ لَعُوجٌ مَاوَاتَاوَهُ الْخَوَاتِمُ"

وقد سبق تضمينه في لامية العلمي ... بل ضمنوا شعرهم بعض الامثال العربية ... وأيضا مريفق في الحالية :

كُلُّ مَنْ قَالَ مِنْ مَطِيرَا مَلِيَتْ لَمَـرَاسُ قُلْ صَدَقَتْ حَـدَايِي وَلَا تَغْـلَاكُسُ

وعند لعميري في أول الاغراض

في "حِصَاً يَبِضُّ" ليس نَفَعَاتُ حِيلًا

التجريد

يجرد الشاعر نفسه من المسألة ، ويتحدث بضمير الغائب ، كما لو أن الواقع ليس واقعه ، وإنما هو واقع غيره ، فإذا اطمأن الى أنه أثار انتباه المستمع ، وأنه اهتم بالمسألة الى حد أن اندمج معه فيها وانفعل بها ، وبدأ يتعجل النهاية ... حينئذ فقط ... يقول له : "أنا المعنى بالامر"

نجد مثل هذا التجريد عند "التهامي لاذغري" في "طالق المسروح مثلاً" ، استعمل ضمير الغائب لا في المقطع الاول ... ولا في المقطع الثاني :

دِيمَا مَدَامْعُو مَجْرِيَاً تَجْرِي عَلَى الْخُدُودِ سَخِيَاً
أَلِيْعَتُو .. وَتَزَلَعُو .. وَدَمُوعُو .. وَكَيْتُو وَوَجَاعُو .. وَفَرَايَحُو وَسَهَرُو ، وَمَحَانُو ف : الْهُوَى وَعَشَقُو ،
وَأَشَوَاقُو وَالشَّغَابُ .

وَالْتَلَحَّاحُ أَوْتَقَطِيعُ خَاطِرُو ، وَلَهِيْبُو وَمَحَاوِرُو وَفَقْدُو ، وَغَرِبَتُو .. وَالنَّوَّاحُ وَخَدُو مَثَلُ الْمَلِيُوحِ بَيْنَ
الْعَدَا ، مَنْ تَخَمَّامُو ... مَعَا غَرَامُو .. طَارَ مَنَامُو .. مَنْ نِيَامُو ..
هَائِمٌ مَهْمُومٌ مَنْ هَجَرَتُو نَائِحٌ ، يَشْفِي النُّصَارَا وَلَا مَثَلُو حَمَامٌ ف : السَّنَوَّاحُ مَنْ فَقَدَ لَا مَثُو
مَجِيُوحٌ .. فَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَغْرُدُ مَسْكِينٌ مَا يَصِيبُ الصَّبْرَا مَنْ اللَّيْ تَقَاطَعُو الْآرِيَاخُ .

☆☆☆

نَارُو افخَاطِرُو مَكْدِيَاً فِي قَلْبٍ مَهْجَتُو مَكْمِيَاً
وَحَدُو عَلَى اجْمَرَ يَتَكَلَّبُ ، فَانِي عَلَى اللَّهِيْبِ مُصَلَّبٌ ، بِمَحَاوِرِ الْجَفَا مُتَعَذِّبٌ قَلْبُو هَمِيمٌ .
هَائِمٌ وَالْهَ عَطَشَانٌ .. مَنْ فَرَّاقُ احْبَابُو وَلَهَانٌ .. حَالَتُو عَدَاتُ الْيَرْقَانُ ، مَا يَطِيقُ صَدُودُ الْهَجْرَانُ
وَقَتَّ مَا يَتَكَلَّبُ ، يُوقَعُ فِي غِيَارُو .. مَنْ تَمَرَّارُو قَوَا كَدَارُو .. فَوْقَ اسْيَارُو
مَا يَحْنُ وَلَا يَشْفَقُ .. مَا يَرُوفُ ، وَمَصْمَمٌ يَا لَطِيفُ مَا يَطْلُقُ سَرَاحُ مَا دَارَ دُونُ : دُونِ الرُّوحِ
قَلْبُو مِنَ الْحَجَرِ وَالْهَنْدِ وَصَمَّ أَوْحَدِيْدُ زَادَ قَصَاحُ

فإذا كان المقطع الثالث يباغتنا بقوله : "شللا نصيف صاير بي" أي أنه يصف حاله هو ... وليس حال غيره .
ونجد مثل هذا التجريد عند الحاج ادريس ، في مثل قصيدة زيتب :

أَهْ عَلَى مَنْ شَافَ وَنَكْوَى بِالْجَمْرِ اللَّهُابُ مَنْ نَارَ الْخَدِّ الْمُنِيرِ كَيَّ عَلَى
جَرَحِ صَنِيبِ

جَرَحِ بَسِيفِ سَقِيلِ عَنَتْرِي مَسْقُولِ مُهَدَّبِ
أَهْ عَلَى مَنْ كَانَ شَوْفَ عَيْنُو لِبْلَاهِ سَبَبِ وَلَا صَابَ أَشْوَمَ لِيَعْتُو دُونَ الْوَصْلِ
طَبِيبِ

وَالْهَاجِرِ خَلَاءَ رَائِحِ وَقَائِمِ يَتْعَذَّبِ
أَهْ عَلَى مَجْرُوحِ جَائِحِ وَنَائِحِ عِنْدَ الْبَابِ دَمْعُوفُوقِ الْخَدِّ مَا فَتَرَ
مَثْلَ الْمَطَرِ سَكِيبِ

يَشْبَهُ قَيْسَ فَ : حَالِ غُرْبَتُو مَفْقُودِ مَغْرَبِ

فهو حتى الآن لا يتحدث إلا بضمير الغائب ، وأن الآهات الثلاث التي افتتح بها الابيات الثلاثة كانت وكأنها عن غيره ،
فإذا ما اطمأن إلى أن المستمع بدأ يهتم بالقضية ... وبدأ يتساءل : من هو هذا التعس الذي عاش هذا الواقع ، سارع الى
القول في البيت الرابع :

حَالِي مَنْ حَالُو لَا يَشَابَهُ لِيْ فَ : عَذَابِ مَنْ فَكَّدَ اللَّيْ حَبَّهَا تَرْكَنِي نَحْضَرُ وَتَغِيْبِ
ضَبِيَّا تَلْعَبُ بَ : الْأَسَدُ لَعَبُ الْخَمْرِ بَ : اللَّبِ

هذا هو التجريد كما تعارف عليه شيوخ الملحون الأوائل ... بل وكما عرف به ناقد عربي كابن كثير في كتابه "المثل السائر"
وهو - في نظر شعراء العصر من أمثال عبد المجيد وهبي ، وبوشعيب مجبور وأمثالهما - تجريد شكلي متجاوز ... إذ التجريد
الحق هو تجريد معنى الصورة من الصورة نفسها ، وعرضه للناس على حدة . تجريد المضامين من أشكالها وطرحها بمفردها
تجريد الاحساس من الاحساس ، تجريد المشاعر من الشعور ، تجريد الخلجات من الاعماق التي تختلج فيها ، ومحاولة
استخراج كل ذلك من قلب ظلمات أغوار النفس ، ونشره في العراء ، تحت أشعة الشمس

والحق أن بعض شعراء العصر - وسنتعامل معهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله - نفذوا الى المرتبات وعانوا

منها بمشاهدات ، فهم لا ينتظرون بالنظر بقدر ما يبصرون بالبصيرة

فالمنظورات عندهم إذا لم تفضي إلى مشاهدات ، فهي لا تستحق أن ينتظروا إليها . ألهمهم الله إلى ما يحبه ويرضاه ، فلقد زودوا الملحون المعاصر ، بكل ما يمكنه من البقاء في محله الرفيع ، بين سائر الفنون المعاصرة ، كما كان في كل عهود الزاهرة ، ولتعد إلى البدیع وكما كان في الماضي .

"الجناس" ويعرف بين أهل الملحون بالتجنيس . وهو اللفظ المشترك أو بعبارة أوضح : أن يكون اللفظ واحدا ، والمعنى مختلفا

فعندما يقول أبو تمام مثلا :

فأصبحت "غرر" الأيـام مشرقة

باليمين تضحك من أيـامك "الغرر"

تكون "الغرر" الأولى استعارة من غرر الوجه ، و "الغرر" الثانية مأخوذة من غرة الشيء ، وكذلك عند ما يقول شاعرنا الكنتوز :

مَا شَفُّكَ تَعْدَايَ وَلَا "مَحَانِي"

سِيفُ الْجَفَا "مَحَانِي"

تكون "محاني" الأولى جمع محنة ، و "محاني" الثانية : لم يترك لي أثر .
وعندما يقول البحري :

إذا "العين" راحت وهي "عين" على الهوى

فليس بسر ما تسر الأضـالع

تكون "العين" الأولى : العين المعروفة ، و "العين" الثانية "الجاسوس" ، وكذلك عندما يقول شاعرنا امتيرد :

"كَتَافِي" مَنْ الْهَجَرَ يَا شَارِدَ الْعَفَا خَفُّ حَمَلِ الْجَفَى اللَّيْ هَذَّ "اكتَافِي"

وَأَنعَمَ لِي بِالسَّرَاحِ مَنْ قَيَّدَ "اكتَافِي"

تكون "كتافي" الأولى بمعنى : كفاك ، والثانية بمعنى : كتفائي أما الثالثة فتعني قيدي

وهكذا أشرك "الجيلالي" امتيرد ثلاث معان في لفظة واحدة لم تتغير ، ولست أريد أن أطيل في الاتيان بالأمثلة والنماذج ، إذ خير الكلام ما قل ودل .

وحسبي أن أسجل هنا : أن القصيدة التي تسمى بهذا الاسم : "قصيدة مجنسة" تكون جميعها مجنسة ، ولا يخلو أي بيت من جناس ، أضف الى هذا أن الجناس في "القصائد المجنسة" يلزم أن يكون في آخر لفظة في الصدر ، وآخر لفظة في العجز هذا إذا لم يكن البحر ثلاثيا أو رباعيا ، فما فوق ، أما إذا كان كذلك ، فالجناس يكون في لفظة قافية كل شطر من الاشطار الثلاثة ، أو الاربعة ، أو ما فوق ، ذلك في حين ، أن الجناس في الشعر العربي يكون دائما حيثما اتفق ، وأينما تيسر ، هذا باختصار هو الجناس ، أو التجنس في الشعر الملحون ، ومن أراد المزيد فليراجع "القصائد المجنسة" . غاسق الانجال للكندوز راحة المهج للزفري . الهيفا للجيلالي متيرد . الهيفاء للحاج ادريس ، ومجنسات أخرى لشعراء آخرين .

"التلزم" إنه لزوم مالا يلزم ، ولابي العلاء المعري فيه صولات وجولات وكذلك الحاج أحمد الغرابلي في "ملিকে" وبين سليمان في الرعد ، والعميري في "الغربة" والكندوز في أكثر قصائده وغيرهم كثير .

ومن أمثلة هذا النوع من البديع ، أعني لزوم مالا يلزم ، هذه الابيات من قصيدة مليكة للحاج أحمد الغرابلي :

أَيْلًا وَفَى مِيعَادُكَ

رُوحِي نَهَبٌ لَفْدَاكَ

نَنَكِي أَعْدَايَ وَعَدَاكَ

☆☆☆

نَبْغِي تَوَدُّنِي وَنَوَدُّكَ

وَزَيَارَتِي اجْعَلْهَا وَرَدَّكَ

حَتَّى حَبِيبٌ مَا هُوَ بَعْدَكَ

يَأْمَنُ قَوَامٌ قَبْدَكَ

مَرْهَافٌ اسْقِطْ هَازِمٌ اعْدُوكْ

وَيَحْدُ نَاسٌ حَسْبُوكْ

تلاحظون أن كل شطر من هذا المقطع ينتهي ب : "الدال" قبل "الكاف" فإذا كان في مقطع آخر يعوض "الدال" ب : "الراء" ويترك "الكاف" على حاله كقافية رئيسية ثابتة ويقول :

مُحَاسِنُكَ وَسَرَارُكَ

فَتَنَةٌ لِكُلِّ مَنَّ رَاكَ

وَبِهَآكَ لَيْسَ يَسْتَدْرَاكَ
لَا زِلْتُ أَرْتَجِي بِشَأْرِكَ
يَأْنِي لِمَنْزِلِي بِخَبْرِكَ
وَيَفِيدُنِي بِصَحِّ امْرَارِكَ

وهكذا يمضي بالقصيدة من بدايتها الى نهايتها الكاف هو الكاف والحرف الثاني ، الذي يلزمه يعوض بأخر في كل مقطع ومنهم من يلتزم بحرفين اثنين لا يتغير أي حرف منهما في كل القصيدة ، وذلك ما فعله أحد المتأخرين في قصيدة القلب :

الْيَوْمَ أَقْلِبِي رَأَيْدُ نَسْأَلُكَ
تَسْأَلُ وَالْ مَنْ تَعَذَّبُ بِعَذَابِكَ يَا قَلْبُ وَرَيْتُ لِي لَهْلَاكَ
لَلَّهِ أَحْكِلِي شَأْنِي جَرَاكَ
وَرَوِي قَصِيَّتَكَ يَا قَلْبِي نَصْغَاكَ لَا يَنْبِي مَا عَنِّي الْآنَ
أَنَا الْمَمْلُوكُ أَنْتَ اللَّي مَالِكُ
إِلَى سَعْدَتِي نَسْعُدُ وَيَلَا نَبْلِيَتْ لَا غَنَا نَبْلَا بِيْلَاكَ
شَوْفُ لَجَسْمِي مِنْ حُرْقَتِكَ هَالِكُ
وَالْعَقْلُ يَا قَلْبِي سَاكِنُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ أَوْ الْاَنْجَمِ أَوْ الْاَفْلَاكِ
وَالدَّمْعُ فِ : خَدِّي شَاقُ مَسْأَلُكَ
هُوَ أَدُ مِنْ جَفَوْنِي غَلِيَانُ تَقُولُ طَابَ عَنْ صَهْدٍ لَهَيْبُ صِلَاكَ

ومن بديعيات الشعر الملحون كذلك "النشْب" ، وهو أن يكون أول الشطر يبتدى بأخر الشطر الذي قبله كما فعل بوزيان في قصيدة المحبوب .

أَمِنْ تَلُومِي شَعَلْتُ نَارَ ادْخَالِي ادْخَالِي كَاوِي بِفَرْقَةِ الشَّمْلَالِ
شَمْلَالُ مَنْ فَرَّاقَهُ لُعْقِيلُ مَشَالِي مَشَالِي وَالنُّومُ ضَجُّ مَنْ الْاَنْجَالِ
الْاَنْجَالُ عَلَى الْخَدِّ دَمْعُهَا سَلْسَالِي سَلْسَالِي يَهْوَى كَمَا الْمَطَرُ هَطَالُ

أو أن يكون أول البيت يبتدىء ، بأخر شطر من البيت الذي قبله أو ما قبل الآخر ... مثل ما فعل التهامي لدغري في قصيدة "فارحة" :

سَأَلْتُكَ بِبَهَاكَ يَا لِرَأْيِي مَالَكَ سَكْرَانُ دُونَ رَاحٍ
وَنَا عَقْلِي مَعَاكَ رَاحٍ بِأَيَّتْ مِنْ لَيْعَةِ الْقِرَائِي
سَاهِرٌ وَالنَّاسُ رَائِحَةٌ
بِأَيَّتْ مِنْ لَيْعَةِ الْقِرَائِي
عَقْلِي بِهِ وَكَأَنَّ مَا ارْتَوَى
وَبَرْدٌ غَيْرُ رِيحٍ
بَيْنَ التَّنْهَادِ وَالْجُودِ
كَأَوِي بِجَمَارٍ لَافِحَةٍ
بِالشُّوقِ نَكَمَدُ الْجُورَاحَ
وَنَصَارَعُ دَقَّةَ اللَّمَّاحِ
وَالْفَلَّاحِ مَا بَغَى يَسَامُحِ
وَلَا يَدْرِي أَمْسَامُحَةٍ

وَالْقَالِبُ مَا أَبْغَى يَسَامُحِ ... وهكذا .. سلسلة أبيات متصلة الحلقات من أول القصيدة الى آخرها .

أما التصريع "لا من ناحية الشكل ، ولا من ناحية المضمون ، لا تخلو منه اية قصيدة من قصائد الملحون على الإطلاق .

أقول التصريع "من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون لعلمي : إن التصريع من ناحية الشكل ، هو أن تكون القافية من البيت في الصدر والعجز معا ، وعلى هذا قامت قصائد الملحون جميعها ، وليست في مطلع القصيدة فقط . كما هو الشأن في الشعر العربي ، وإنما في القصائد كلها . ومن أولها إلى آخرها ، ومن دون أدنى تكلف أو تصنع وهذه وحدها إن دلت على شيء ، فإنما تدل على سعة القدرة في أفانين الكلام عند جميع شعراء الملحون .

أما التصريع من ناحية المضمون ، ففيه مراتب منها :

أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه ، غير محتاج الى صاحبه الذي يليه .

مثال ذلك ، قول امرئ القيس :

أفأطم مهلاً بعد هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرماً فأجملني

فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه ، غير محتاج الى ما يليه ومثله قول : "عبد القادر العلمي" يناجي خالقه
بَابُ الْإِجَابَةِ عِنْدَكَ مَا تَسُدُّ بِقِفَالِ

مُخَارَظَتِكَ مَفْتُوحَةً لِلْسَّاعِي بِحُجَالِ

ومنها : أن يكون المصراع الاول مستقلاً بنفسه ، غير محتاج الى الذي يليه ، فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطاً به
كقول المتنبي مثلاً :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

أو كقول المدغري :

يَا الْعُرْصَةَ صَوْلِي ، صَوْلِي بِطَيْبِ الْأَطْيَابِ سَاكِنَكَ سَيِّدِي وَلَدَ السَّاكِنِينَ طَيِّبَةَ

فالمصراع الاول في كلا البيتين ، غير محتاج للثاني في فهم معناه ، لكن لما جاء الثاني ، صار مرتبطاً به
على العموم ، التصريح بكل مراتبه المعروفة في الشعر العربي ، له نماذج كثيرة في الشعر الملحون ، بل ان قصائد الملحون
جميعها نماذج له .

وهذه القصيدة لعبد القادر العلمي خير دليل :

يَا لَلِّي قَلْبُهُ بَعْدَ زِيَانٍ عَاوَدَ شِيَانٍ يَا لَلِّي عَدَّتِي مَن شُورِي حَذِرَ نَاْفَرٍ
يَا كَمَا دَخَلُوا مَا بِنَاتِنَا الْعَدِيَانِ يَا كَ مَا عَوَّلْتِي مَن جَانَّبِي تَسَاْفَرٍ
قَصَدْتُ شَاطِئَ نَهْرِكَ زَعَمًا نَعُودَ رِيَانٍ مَشَارِيكَ نَدِيرَهَا وَنَعُودَ بِكَ ظَاْفَرٍ
أَحْسَنْتَ فِيمَكَ النِّيَّةَ وَقَرَّيْتُ فِيمَكَ الْأَمَانَ حَيْثُ كُنْتُ تَاتِيَنِي كُلَّ يَوْمٍ زَايِرٍ
إِلَيْكَ حَزَّتْ أَكْتَافِي وَحَيَّيْتُ بِكَ فَرَحَانَ عَلَ الْكَلِمَةِ وَالطُّاعَةَ مَا نَخَالَفَ أَمْرَ
حَاجَتِكَ نَقْضِيهَا دَغِيًّا بِشَوْفِ الْأَعْيَانِ مَعْنَتِكَ نَفْهَمُ دُونَ الرُّمُزِ وَالْأَشْيَاءِ
إِلَى حُضْرَتِ تَحْضُرَ لِي مَعَاكَ الْأَدْهَانَ إِلَى تَغِيْبٍ نَدْهَلُ وَيَغِيْبُ لِي الْخَاطِرُ

بَاشْ نَطْفِي نِيرَانَكْ مِنْ صَمِيمِ الْاَكْثَانِ
نَارُ حُبِّكَ مَا تَطْفِئُهَا مِيَاهُ وَيْـدَانِ
مُحِبَّتِكَ يَشْهَدُ لِي بِهَا الْإِنْسُ وَالْجَانُ
جِيتْ نَكْتَمُ حُبُّكَ مَا قَادَ فِيهِ كُتْمَانُ
لَيْعَةُ الْقَلْبِ سَفُورَتُهَا فِي الْوَجْهِ تَبَانُ
تَزُورُنِي حَتَّى يَشْرِقَ مِنْ ضِيَاكَ الْمَكَانُ
تُرُوفُ حَتَّى يَبْدَأَ حَالِي مَعَكَ يَرْيَانُ
إِلَى هَذَاكَ عَلَى الرَّحْمَانِ يَا الْفَيْضَانُ
إِلَى اخْطَأْتُ ، أَوْ اغْلَطْتُ مَعَكَ يَا الْفَتَانُ
دَرْتُ مَذْحَكَ مَا بَيْنَ بَدْرٍ أَرْضَنَا شَانُ
فَرَحْتُ سَاعَةَ زَرْتِنِي يَا هَلَالُ الْمَكَانُ
نَكَدْتُ سَاءَ شَرِبْتِنِي اَكْوَرَسُ هَجْرَانُ
يَاكَ الْوَفَا الْعَفَّةُ مِنْ شَرْوُطِ الْإِحْسَانُ
يَا أَلِي مَا مَيَّا لِي مِنْ مَدِيحِكَ لُلسَانُ
وَيَاشْ يَبْرُدُ مِنْ قَلْبِي حَرَّهَا الرَّافِرُ
وَلَا تَحْدُ جَمْرَهَا مَوْجَاتُ بَحْرٍ زَاخِرُ
مَا بَقَا لِي مَا نَكْتَمُ بَحْتُ بِالسَّرَايِرِ
وَلَوْ نَكْتَمُ عَشْقِي حَالُ الْعَشِيقِ ظَاهِرُ
وَاللُّسَانُ يَخْبِرُ بِالنُّعْتِ وَالْإِشْرَايِرِ
تَغِيبُ حَتَّى مَا يَبْقَى مِنْ بَهَاكَ أَثَرُ
وَحَيْثُ تَهْجَرُ يَرْجِعُ سَعْدِي مَعَكَ خَاسِرُ
رَدَّ سَيْفُ صَنْدُوكَ لَجَوَاهُ يَا الْقَاصِرُ
رَأَيْتُ قَطَعْتِي قَلْبِي بِسَيْفٍ بَاسِرِ
كَيْفَ يَفْخَرُ بِمَدِيحِ الزَّيْنِ كُلُّ شَاعِرِ
بَتَ ذِيكَ اللَّيْلَةَ مِنْ دُونِ خَمَرٍ سَاكِرِ
بَاتَ دَمْعِي فَوْقَ خُدُودِي سَكِيبُ كَاطِرِ
وَالسَّمَاحَةُ مِنْ بَعْدِ الْقَلْبِ طَبَعُ وَافِرِ
وَأَشْ تَعَذَّبِي يَطْلُعُ لَيْكَ فِيهِ الْإِجْرُ
هذه واحدة عشرات الالاف ، من قصائد الملحون المبعثرة هنا وهناك فمادّا في هذه القصيدة يا ترى ؟

لا جدال في أن فيها عاطفة صادقة ، وحرارة انفعال جد مرتفعة ، وتعبيرا عن هذا الالاف كاقوى ما يكون التعبير . أضف الى ذلك التصريح الرائع الذي يتجلى في كل شطر من أشطارها .
أعيدوا قراءتها يا أعزائي القراء ، لتلاحظوا أن ليس من بين أشطارها شطر واحد لا يظهر معناه كاملا الا ببعض الذي يليه أو كل الذي يليه كما هو الشأن مثلا في هذا البيت للمعري :

يغادر غايه الضرغام كيما ينأزع ظلي رمل في كناس

يعتبر في عرف أهل الملحون رديء التصريح ، وأرد أمنه في فهمهم هذا البيت لبشار :

حـــــوراء ان نظرت اليك سقتـــــ
ك بالعينين خمـــــرا

ويعلقون عليه بقولهم : "ماكفاه تمزاق المعنى قطع الكلمة"

وخلاصة القول ، هي أن فن القول قد خضع لشعراء الملحون ، ودان لهم بالطاعة دون غيرهم ، فاستعملوه وأحسنوا استعماله .. لكن بالدارجة .. انما ماذا يضير الشعر والادب اذا كان بالدارجة أو بالسوسية ، أو بتمازيغت الشعر والادب ، هو الشعر والادب في أي زمان ومكان ، وبأي لغة ولسان ... هو :

هَبْهَ هَآذَ الشَّعْرَ لِلْعِبَادِ وَهَبَهَا مَوْلَاهُمْ رَوْحَ وَرَحْمَةٍ لِلْقُلُوبِ وَضِيَاءَ نُورِ الْاَفْهَامِ
بَرْدَ وَسَلَامٍ اَوْنُسِيمٍ فِيهِ لِلرَّوَّاحِ نَوَاهُمْ فِيهِ الرَّاحَةُ لِلنَّفُوسِ لَا تَحَاسِبُوهُ وَهَامِ

رحم الله السي اسماعيل ، لقد عرف كيف يعرف بالشعر ، في بيتين اثنين فقط أنها قصيدته "لمزركشة" تلك التي اعتبرها شخصيا لوحات رائعة من معرض الكون الهائل ، تحدث فيها عن البحر ، والليل ، والمطر والشعر ، والحب ، والحياة ، والناس والشقاء والبؤس ، وعن السعادة والهناء والامل ، واليأس .. و .. أشياء كثيرة ، لابد أن أطلع القراء عليها عند تناولي للشعر المعاصر إنشاء الله .

بقي أن أقول عنها أنها من لزوميات السي اسماعيل ، ولكن التزم ما خلق الا لها ... وأن تصريح أبياتها في منتهى الروعة .. وبها ويأتمثلها من القصائد الخالدة ، كتب الخلود للشعر الملحون .

ومن بديعيات الشعر الملحون "السجع" أو التسجيع على حد تعبير أهل الملحون .

يقول التهامي المدغري في قطعة : "طالق المسروح" وهي قطعة من "أدب السجع الملحون" كما سبق القول "رَحْمِيَّة" ، وسَّالِي فِيهِ ، عَالِجِيَّة ، وَذَاوِيَّة وَسَّاعِيَّة "كَافِيَّة" ، لَا تُحَافِيَّة ، تُعَالِي لِيهِ ، مَعَ الطُّفْلَاتِ لِلرَّسَامِ وَيَقِفُ هُنَا ، وَأَحْسُ بِهِ يَلْهَثُ مِنْ كَثَرِ مَا هَرُول ، وَيَبْطِئُ الْجَرَسُ الْمَوْسِيقِي وَيَطِيلُ جَمَلُ السَّجْعِ شَيْئًا مَا .

تَعَالَوْا لِي بِجَمِيعِكُمْ ، تَتَوَصَّلُ بَيْنَهَا زَيْنُكُمْ حُرْمَةُ مَوْلَاكُمْ مَنْ أَنْشَأَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
وَلَاخُنِي فِي عَشْقٍ هَوَاكُمْ ، وَدَرَانِي يَسِيرُ بِهَاكُمْ إِلَى آخِرِهِ .

ويقول "بلقاسم" في "مينة" وهي أيضا قطعة من أدب السجع الملحون

"مِينة فِي رِيَاضِي كُلِّ أَنْ ، تَتَمَآيَلُ مَا بَيْنَ الْأَغْصَانِ ، فِي حَرَائِجِ بَلْعَمَانِ"

بَيْنَ وَدَدٍ وَيَاسٍ وَسُوسَانٍ ، وَالْأَغْصَانِ يَنْتَبِهُوا تَبْهَانِ ، بِأَهْتِنِ أَحْدَاهَا

تَجْمَعُ الْأَلْوَانُ ، فَاقْتِ بِالْقَدِّ الْخَيْرِزَانِ ، وَالْبَانَ امْنِينَ تَبَانِ ، وَسَطِّ

بُسْتَانِي بَيْنَ أَغْصَانِ ، كَايْتَنْدَقُ لِيهَا .. إِلَى آخِرِهِ .

الاشتقاق في الشعر الملحون .. أو التشقيق كما يسمى عندهم . ومثال ذلك قصيدة "مسعودة للتهامي المدغري

قُولُوا لِمَسْعُودَةٍ يَا طُلُوعُ كَوَاكِبِ الْأَسْعَادِ"

أَنَا مِنْ سَعْدِي "سَعَادَتِكَ وَنَتِ مَسْعُودَةٍ" وَنَتِي "سَعْدُ السَّعُودِ" وَنَتِ هِلَالُ اسْعُودِ"

فهو يشتق من اسم المحبوبة : "كواكب الاسعاد" و"سعدة" أي حظه من ساعاتها "ثم أنها مسعودة" أي محظوظة ، وبالتالي ، هي "سعد السعود" الذي يبشر بالربيع ، وهي هلال السعود .

وهكذا يمضي في شحد قصيده بمعطيات هذه المشتقات ، وهو لا يعدو التغزل في حبيبته ، والتغني بمحاسنها ، ومفاتها ، فهو من مواليد ليالي كواكب الاسعاد ، ولهذا مسعودة من "سعدة" أي من حظه ، وحيث أنها : "مسعودة" أي محظوظة ، كان من نصيبها هو ... ومن هو ؟ وهنا يمضي في التعريف بنفسه كشاعر مبدع وكانسان خلاق ، وكعقري ملهم .

يرى أن الشعر والحسن توأمان وأن التغزل بمحاسن الجميل ، تعويذة لتلك المحاسن ، وهكذا الى أن ينتهي القصيد .

كذلك فعل المدغري في قصيدته "مسعودة وكذلك أيضا فعل أحد المتأخرين في "فاطمة" اشتق من اسمها "القطام" .

وذهب يقول : إذا ما أقطموا الطفل عن لبن ثدي أمه ، عوضوه له بشيء آخر ... وأنا : أنا الذي ليس لي سواك ، ولا أستطيع أن أحب غيرك ، فبماذا يا ترى أعوض هواك ؟

أَنَا قَطْمُونِي عَلَى هَوَاكَ أَبَاشَةُ الْأَرْيَامِ

وَنَتِي مَقْطُومَةٌ عَلَى عَذَابِي يَا فَطِيمَا وَيَلَا كُنْتُ أَذْنَبْتُ فَأَيْنَ عَفْوُ صِيْلَةٍ لَكَرَامِ ؟

كان هذا هو فن البديع كما اتفق النقاد العرب على تسميته منذ القدم ، ومن الفنون البلاغية أيضا ، تجسيم مالا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد ... وسوف نكتفي بأغنية ملحونة واحدة "سرابا" .. كنموذج للدلالة على وجود هذا الفن في الملحون كثيرا من سائر فنون البلاغة ... ما ذكرت منها وما لم أذكر .

فَصَلِّ الرَّبِيعَ أَقْبَلَ وَالْوَقْتُ زَيَانٌ وَعَلَامَاتُ الْخَيْرِ لِلْوَرَى بَانُو

جَادُ الزَّمَانِ وَضَحْكُ ثَغْرِ السَّلْوَانِ

من هنا نبدأ "وضحك ثغر السلوان" أو "السلوان" أو "السلوا" أو "السلوى" ماهي الاحالة شعورية مريحة جسمها الشاعر ، وجعل لها الثغر ... وتركها تضحك تماما كما تعامل البحري مع "الربيع الطلق" في هذا البيت :

"أتاك الربيع الطلق يَخْتَالُ ضاحكا" من الحسن حتى كاد أن يتكلم " ، فهنا جسم البحري الربيع الطلق وجعله يَخْتَالُ ويضحك ، هناك جسم رجل الملحون "السلوان" وأكسبه الثغر ، وجعله يضحك ، وكلاهما لا يجسم لا "السلوان" ولا الربيع .

جَادُ الزَّمَانِ وَضَحْكُ ثَغْرِ السَّلْوَانِ وَالنُّكْدُ تَفَاجَأَ وَزَالَتْ أَحْزَانُو

وَبَطَّاحِ الزَّهْرِ عَلَى كُلِّ الْأَلْوَانِ تَسْبِي مَنْ رَأَاهَا بِشَوْفَتِ أَغْيَـانُوْ
وَالْأَرْضِ غَيْرِ حُورِيًّا مِنْ رَضْوَانِ لَبَسَتْ مِنْ ثُوبِ الدِّبَاجِ حِجْـجَـانُوْ
"صَبَحَتْ" بَارِزًا فَ: كَسَاوِي حَسَانِ دَامَ اللَّهُ جَمَالَهَا وَحَسَـانُوْ

وهنا أيضا يجعل من الأرض ، العروس الحسناء ، وقد تزينت بأفخر الأزياء ، وتزينت بأتمن الحلي .. و .. "صبحت" بَارِزًا لفظ "صبحت" لا علاقة له بالظرف الزماني على الإطلاق ... بل هو اصطلاح يطلق على تقليد ... الصبوحى " أو "الصباح" هو الحفل الذي يقام للعروس البكر المصون وقد جعل منها زوجها امرأة .. ربما لا يقام حفل "الصبوحى" أو "الصباح" إلا بعد الظهر ويبقى اسمه "الصبوحى" ويعد أن يأتي الفطور " من دار لعروسة" وبعد أن يقدم الزوج لزوجته هدايا "الصبوحى" ... يبدأ الاستعداد لـ "البرزا" أو "أبران" وهو تقليد آخر من تقاليد "العرس المغربى

وشتان بين "بارزا" في البيت الأخير وبين تبرجت في هذا البيت لابن الرومي ، والأرض هي الأرض لا عند شاعرنا ، ولا عند ابن الرومي

تَـبـرـجـت بـعـد حـيـاء و خـفـر تـبـرجـ الانثـى

الحفر هو الخفر : "النكافات" "الثقلات" "لوزيرات" إلا أن العروس عندنا تكون "بارزا" في حياء .. وحتى إذا ما جاءوا بالزوج لينظر إليها وهي في أكمل زينتها ... لا تنظر إليه ، لا تحييه ، بل لا تبتسم له حتى مجرد ابتسامة ...

لكنها عند ابن الرومي "تبرجت بعد حياء" وهذا كله لا يهم ... المهم هو أن شاعرنا جسم الأرض وجعلها العروس البكر المصون "صَبَحَتْ" بَارِزًا فَ: كَسَاوِي حَسَانِ " وابن الرومي جسم الأرض وجعلها غانية من الغواني الحسان وقد تبرجت بعد حياء وخفر ... والشعر يقبل هذه الصورة كما يقبل تلك والمعلول ليس إلا على صدق التعبير ، وجمال العرض وأن تكون كل صورة في إطارها الحقيقي

مَهْمَا نَظَرْتُ بِأَعْيَانِي فَ: كَمَالَ زِينَتِهَا وَمَحَاسِنَهَا بِأَخْ كُلِّ مَكْنُونِ
طَبَّعِي مِنَ الصَّغَرُ فَـأَنِي وَقْتُ الرَّبِيعِ تَوَجَدَنِي مَا بَيْنَ الْحَرَاجِ مَشْطُونِ
نَنْشِي الْفَاطُ وَمَعـْـأَنِي وَأَهْلَ الْهُوَى يَعْرِفُونِي مَاهِرَ مَنْ أَصْحَابِ لَفْنُونِ
وَالْيَوْمَ هَزَنِي سُلْطَانُ الْغِيَوَانِ وَنَطَقَ مُوَلَايَ الرَّبِيعِ بَلَسَـانُوْ

لاشك قد لاحظ القارئ الكريم عند البحتري قوله عن الربيع : حتى كاد أن يتكلم " لكن الربيع هنا تكلم .. بل أطال في الكلام :

دَوَاوُ قَالَ لِي : عَوْلُ يَا إِنْسَانِ تَقَطَّفَ وَرَدًا رِيـاضَنَا وَسُوسَـانُوْ

وأطال في الكلام :

شَوْفَ الرِّيَاضِ فَاحَ وَزَهَرَتِ الْأَغْصَانُ كُلُّ غُصْنٍ يَهْجِي بِ : رِيحَتْ أَفْنَانُو
وَأَطْيَارُ نَاطِقًا فَ : دَوَّاحُ الْبُسْتَانِ وَكُلُّ عَشِيقٍ أَفْشَا سَرَّارُ كَتَمَ أَنْو
لِلَّهِ كَيْفَ مَــــا تَزَهَا يَا حَسَنَ يَأْمَنُ سَاكِنُ ف : الْأَسْيَارُ غِيَوَانُو

كل ذلك قاله الربيع ، واستمع إليه شاعرنا ووعاه ... ونقله إلينا بالحرف الواحد قاله بلسان حاله ، أو لنقل ... يعطر زهوره ، بزقزقة عصافيره ، برنين نحله بتراقص فراشاته ... ولن يقول كل ذلك مولاي الربيع ؟ للانسان ... والانسان في نظر مولاي الربيع هو الرقيق الشعور ، المهرف الاحساس :

"اللَّي سَاكِنُ ف : الْأَسْيَارُ غِيَوَانُو" هذا نموذج من الابداعات الملحونة التي استعمل أصحابها هذا الفن من فنون البلاغة وأجادوا استعماله ... تجسيم ما لا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد .

ولعمري أن مثل هذه الابداعات ، جعلت العوام من هواة الملحون ، يجيدون الاستماع الى القراءن ، وهذه وحدها فضيلة وأنعم بها من فضيلة .

استمع بنعيسى اسوآيني في مقهى بلفيلالي بسلا ... الى مقرر الاذاعة يقرأ قوله تعالى : "والليل إذا يسري" فضحك وقال : "أَبْحَالُ إِلَى اللَّيْلِ عَنَدُو الْأَخْتِيَارُ إِلَى بَقَا يَسْرِي يَسْرِي ، وَيَلَا مَا أَبْقَاشِي مَا يَسْرِي ... الله يرحم البري :

يَسْرِي لِي ف : الْأَسْفَاقُ سَرَى اللَّيْلُ ف : الْأَفْـَاقُ

تفطن البستاني الامي الى ما في الاية الكريمة من جمال ... بل واستحضر من محفوظاته التي جعلته يتذوق هذا الجمال النموذج المناسب ، وبسرعة فائقة استمع لكحيلتي وأنا معه في "الفرناتشي" الذي يعمل فيه - الى قوله تعالى "حمر مستنفرة فرت من قسورة" فقال : وَاللَّهِ إِلَى اتَّخِلْتَهُمْ مُطَنِّشِينَ فَرَارِيبَهُمْ وَمُغْلِّشِينَ وَذَنِبَهُمْ ، وَكَأَيُّزَعْرَطُوا وَالسَّيِّعَ وَرَأَهُمْ " واللله إنه مجرد قطاب ف : الفرناتشي ولا يقرأ ولا يكتب .

ودخل علينا ابن الفيلالي مرة - ونحن بدار الحسن بن زايرا - يقول : علمني هذا الشطر الازموري : "انفاس الصبح اشأم من عيير الجنة" كيف أتذوق وتلدد قوله تبارك وتعالى "والصبح إذا تنفس"

أما الاستعارات ، والتشبيهات ، والتعبيرات المجازية

أما الروى و الاخيلة والصور ، فكل "الربيعيات" "العشاقيات" و "الخمريات" وكل قصائد الاصائل والبكور ، والصبوح والغبوق ، هي نماذج لها .

وقد أثبتت منها في فصل الاغراض الكثير من النصوص الكاملة .

بقي أن أشير فقط : الى الاسم الذي أطلقه الشيوخ الاوائل على هذا الارث الحضاري الثمين : "الملحون" فما معنى كلمة "ملحون" ؟

ربما كان يتعين علي أن أشير هذه الإشارة الى الاسم منذ البداية ... الا أنني فضلت أن أجعل القراء يتعرفون على حقيقة المسمى ، قبل أن أطلعهم على الأقوال التي حاول أصحابها تأويل الاسم الذي يطلق على هذا المسمى والآن وقد تم لي بعض ما أريد ، وتعرف القراء على حقيقة الملحون ولو باختصار شديد ، نرجع الى الاسم : "الملحون" .

ذهب بعضهم الى القول : أن كلمة "ملحون" تعني الخطأ اللغوي ... فما دام غير خاضع لاصول النحو وقواعد الصرف ، فهو القول "الملحون" أي القول "المغلوط" أو القول "المخطوء" ... وأنا أرى أن "الخطأ اللغوي" لا يمكن أن يظهر إلا من خلال الصواب اللغوي . نقرأ قصيدة شعرية فصيحة ، أو قطعة أدبية فصيحة ويكون في القراءة بعض الخطأ .. فذلك هو اللحن أما الملحون فلهذا الخطاب فيه هي الدارجة المغربية ، وتلك طبيعتها .

نعم أن الدارجة المغربية هي الابنة البكر - أي الاولى - للعربية الفصحى ولقد ورثت عن أمها سائر مقومات التعبير العربي ، وقيمه ، وخصائصه وخصوصياته .

إلا أنها تحررت وبصفة نهائية من كل قيود النحو ، وأصبحت لا يحكمها إلا "المنطق" الذي ينبثق عنها في الاستعمال اليومي السريع ، والذي يمكن أن نعتبره "فقه الدارجة المغربية" ولغة هذه طبيعتها ... لا يستساغ أبدا أن نعتبر آدابها مغلوبة أو مخطوءة .

وذهب البعض الآخر الى القول أن كلمة "ملحون" أصلها من "اللحن الموسيقي" فهو القول الملحون ... أي الملحن بتشديد الحاء ...

ولا أنكر أنني سبق وأن اقتنعت بهذا الرأي بل وروجت له في مستهل حياتي العملية ... يوم أن كنت لا أزال اخذ المعلومات من أفواه الشيوخ ، وأعمل بها دون أن أجرو حتى على مناقشة أصحابها ، لكن الآن ، وأنا أستجوب القصيدة ، فتبوح بأسرارها ، واستنطق السرابية ، فتفصح عن مكنوناتها ، تعين علي أن أعيد النظر في كل المعلومات التي أخذتها من هنا وهناك على ضوء المعلومات التي بدأت أجدها في الإبداعات نفسها .

فمثلا أول من وجدنا كلمة . "ملحون" في بعض آثاره الشعرية ... هو مولاي عبد الله وأحساين ... ويرجع عهده الى العصر السعدي ... نقرأ له "الهدونا" فنجدده يقول في بعض أبياتها :

وَالْكُلُوبُ كُلُّ مَلْحُونٍ أَوْفَ : النَّظَامِ مَوْزُونٍ

ويقول في ختام وصية له

"مَلْحُونٌ" فَ : الْمَعَانِي مَوْزُونٌ عَلَا نِظَامَتُ النَّظَامِ

وكلمة "ملحون" في البيت الاول كما في البيت الثاني لا تشير أبدا الى الالحن الموسيقية ، وإنما تشير الى ما في هذا القول من فصاحة وبلاغة وبيان .

وهكذا فإن القول الملحون هو القول البليغ ، الواصل المقنع .
ومولاي عبد الله واحساين الذي ثبت أنه كان يفصل بين الناس في قضاياهم اليومية ، وأنه كان يفتيهم في شؤون دينهم
ودنياهم ... لا أظنه كان يجهل معنى الحديث النبوي الشريف :
"لعل أحدهم يكون "الحن" بحجته من أخيه فاقضى له"
صلى الله على الصادق الأمين ، وعلى اله وصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .





مطبعة الجماعة الإسلامية
الشارع الرئيسي

الإيداع القانوني رقم 1993/982